صلاة العارفين ومعاني العاشقين

الدكتور الشيخ علي سليمان

دار المحجة البيضاء

مكتبة غريب طوس

صلاة العـــارفين

ومعاني العاشقين

© جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

٢٠١٥م - ١٤٣٦هـ

ISBN 978-614-426-428-7

الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال

ص ب ١٤/٥٤٧٩ . هاتف ٠٣/٢٨٧١٧٩ . ٠١/٥٤١٢١١

تلفاكس ٠١/٥٥٢٨٤٧ . E-mail almahajja@terra net lb

E-mail & FB info@daralmahaja com

www daralmahaja com

صلاة العارفين
ومعاني العاشقين

الدكتور الشيخ علي سليمان

دار المحجة البيضاء

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه الناشر في الخلق فضله والباسطِ فيهم بالجودِ يدَهُ، نحمَدُه في جميع أموره ونستعينُه على رعاية حقوقه وأداء مفترضاته وواجباته ونشهد أن لا إله غيرُه وأن محمداً عبدُه ورسولُه أرسله صادعاً وبذكره ناطقاً فأدّى أميناً ومضى رشيداً وخلّف فينا رايةَ الحق من تقدّمها مرَقَ ومن تخلّف عنها زهق ومن لزِمَها لحق، ألاَ وأنّ مثَلَ آلِ محمدٍ كمثَلِ نجوم السماء إذا خوى نجمٌ طلع نجمٌ، فكأنكم قد تكاملت من اللّه فيكم الصنائع وأراكم ما كنتم تأملون.

لما كان الإنسان في تكوينه مبنياً على صورة القدم فكانت صورة القضاء والقدر قانوناً لا طاقة للمرء على احتواء أسرارها واكتناه أبعادها فكيف بفكّ طلسماتها فعلم أنه لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً إلّا بما ملّكه عز وجل فبادر العاقل بتوفيق المولى عز وجل بالسجود والركوع لمولاه الغنيّ الحميد فكان بطبعه النقي يقنت داعياً لتحقيق رغباته العميقة ويميل إلى ما يطمئنه ويكمله ويُسعده ويزيّنه ويسدّ حاجاته فمال بالإرادة والتعقل مطمئناً لآيات اللّه عز وجل الباهرة وما شرعه في كتابه بما أمر ونهى، فالنفوس الهادئة مالت لتلبية الدعوة واستجابت لنداء الرسالة والإمامة يدفعها موج العقل من أعماق النفس المضطربة، ولهذا كانت الصلاة راحةً وسكينة للنفوس ورمزاً لصلة الرقيقة بصاحب الحضرة الذي يزيد من اتصل به صفاءً وحضوراً وتسلسلت الجوانح تصفو من الجوارح بالوضوء والطهارة واللسان يُعرب عن مشاهدة الأكوان بالقراءة والكتابة والرسم والمشاهدة، فكانت صلته بعوالم الحس واللمس وشيئياته هي الحروف المعجمية

والكلمات المعبرة لما في الأذهان والآيات كاشفة لصور العيان، سورٌ بيّنات تُجمل المفصلات وتحكم الآيـات فانسـابت المتشابهات لتحرّك المتقاربات والمتداخلات ولسـان القرآن ميزان الحركات والسكنات وقسطاس الحروف ﴿وَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (الاسراء: ٣٥) فالنبوة إجمال العلم ومجمع الأنوار والإمامة إكمال العمل والولاية تمام فصاحة الإيجاد ونعمة البيان وكون الترجمان، فكانت الروابط (نبوة وإمامة) ولاية، مثلثة السمع والبصر والفؤاد على ضلع الجسد والنفس والعقل ولهذا كان السلف يحضون على تعلم اللغة العربية المستوعبة للأسماء وصور المسميات وكان أُبيُّ بنُ كعب يوصي بذلك ويقول: تعلموا العربية كما تعلمون حفظ القرآن. وفي رواية (تعلموا إعراب القرآن كما تعلمون حفظه) والمراد بإعرابه هنا معرفة معاني ألفاظه والحض على ذلك لضرورة إعتماد اللغة في فهم القرآن، تقول: عَرُبَ عن رأيه أي كان فصيحاً عربياً مبيناً، وعبر عن الشيء أي أخبر عنه من غير زيادة ولا نقصان، وهكذا تعبُرُ الكلمات إلى المخاطب ليقع التفاهم ويصحّ الغرض ويتحقق المطلوب ولذلك كان الأوائل يفسرون الآيات بمفهومها اللغوي وأساليب العرب في المخاطبة والمألوفات لسانٌ يكشف ولهجة تهدف، وقد لا يقتصر في بيان الدلالة اللغوية على المفردة في مدلولها اللغوي بل يتعداه أحياناً إلى الجمل المركبة ولا يخرج عنه إلّا بدليل أو بحجةٍ وهذا يتنوع في أساليب العرب من مجاز واستعارة وتشبيه وكنى، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾ (الإسراء: من الآية ٦٠) قال الصحابي أُبيّ أي عصمك منهم، ولهذا كان الصحابي أُبيّ ينعى على الذين يرددون ألفاظ القرآن بدون فهم ومعرفة لمعانيه فيقول: (ما بالُ أقوامٍ يقرأ عليهم كتاب اللّه لا يدرون ما قرئ عليهم فيه ولا ما ترك، هكذا كان بنو إسرائيل خرجت خشية اللّه من قلوبهم فغابت قلوبهم وشهدت أبدانهم، ألا وإن اللّه لا يقبل من أحد عملاً حتى يشهد بقلبه ما شهد ببدنه). قال أبو الحسن الرضا ﵇ قال النبي ﷺ: قال اللّه عز وجل

ما آمن بي من فسّر برأيه كلامي، وما عرفني من شبهني بخلقي وما على ديني من استعمل القياس في ديني، وقال ﷺ: من ردّ متشابه القرآن إلى محكمه هدي إلى صراط مستقيم، ثم قال: إنّ في أخبارنا متشابهاً كمتشابه القرآن ومحكماً كمحكم القرآن فردوا متشابهها إلى محكمها ولا تتبعوا متشابهها دون محكمها فتضلوا.

ومن المعلوم أن القرآن نزل بلغة العرب ولسانهم ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ﴾ (إبراهيم: من الآية ٤) وأن ما جاء فيه من استعمالات للأساليب اللغوية كان موافقاً بالطبع للغتهم لا يخرج عنها ﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ (إبراهيم: من الآية ٤) ولهذا تعددت القراءات بتعدد الألسن واللّهجات واختلفت رسماً وتنوعت لهجاتها تبعاً للأجناس والمناخ وتأثير البيئة واعتبر بعضها شاذة ومع ذلك فقد ذهب العلماء إلى الإحتجاج بها من جميع وجوهها في المباحث اللغوية، فالماء والهواء والتراب من بسائط الطبيعة له دور خفيف أو ثقيل في تحريك مخارج جواهر الألفاظ ولهذا لا تستطيع تجاوز اللّهجات لارتباطها بعلةٍ أصيلةٍ وما ورد من قراءات وإن شذّت كانت مصدر إغناء لعلماء العربية فيما يؤصلون من قواعد لأنه محفوف بالروايات من أمامه وورائه، فما وصل إلى البشرية من ألوان وألسن وصور وكليات وجزئيات قطرة من المحيط الأطلسي الكوني الذي يدفع بصور البدائع والروائع ويفيض بالنعم على نقطة الكعبة المقدسة وهي تشعّ على الأم الحانية فتطوف لذلك الشعوب والأمم، فتأمل المعلقات والدواوين فأهل العربية تميّزوا بحرف الضاد كيف يستشهدون بأقوال الشعراء في ذلك العصر ومن بعدهم لالتصاقهم بالحياة البدوية البسيطة، (خرج إليكم من علمنا حرف الألف لو انعطف لانعطفتم) وهذا يدل على مطابقة الحرف للمبنى واللفظ للمعنى والصورة للعقل، فجمال الإبداع العياني تترجمه جلالة المعاني وجزالتها اللفظية ولا تحتويها آليةُ الألسن واللّهجات على كرور الدهور، قال النبي ﷺ: أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أني من قريش

وأرضعت في بني سعد) فنسبة البشرية إلى النبي كنسبة الجسد إلى الروح لأنها المدبرة له والحافظة لقيامه وقعوده، وبمحمد ﷺ صار للأمة العربية وللبشرية شأن وكملت أحلامها بنبوته ومن قارب الشيء يُعطى حكمه، لأن ظهور النبيﷺ لتكميل النفوس وإنضاج النشأة لتقبل النداء وتسمع الدعاء فالقرب منه للصفة المشعرة بالإتحاد الروحي، كما أشار بقوله: (أتيتُكم بالسهلة السمْحَةِ البيضاء) فالسهولة بأساليب الحياة والمعاطاة والسماحة بالأخلاق ـ إشارة إلى وحدة الأخوة في الإنسانية بالرقة واللطافة والبياض إلى ظهور الحقائق من تحت تيجان تلك الحجب الرقائق وبريق حروف الألسن ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ (البلد: ٩) وحيث كانت نشأته من نور الرقة واللطف الرحيم وختم النبوة بنشأته المقدسة، فبعْثتُه لتكميل النفوس على اختلاف استعداداتها وحفظ المصالح الصورية والمعنوية فبرزت أنواره ليستفيد الكل من إشراقه (نحن معاشر الأنبياء أُمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم) ولا شك أن أنوار الملكوت نازلة كملوك لإغاثة الملهوفين وإغناء الفقراء وحفظ الخلائق أجمعين وأن شعاعه ينبسط على المستعدة المتجردة لأن طريق المظهر ينفتح لمن يقرع بابه المفتوح للساعين العاملين والمساكين يجدفون مركبهم قبل العيبة، واستفاد من البشير النذير القريب والبعيد والرحيم والغليظ والأجنبي والنسيب لأن واهب العلم بالأفق المبين ما هو على الغيب بضنين كما أخبرت الخطفة ذات البريق بقول الباقر ﷺ: إن اللّه تبارك وتعالى لم يدع شيئاً تحتاج إليه الأمة إلّا أنزله في كتابه وبيّنه لرسوله وجعل لكل شيء حدّاً وجعل عليه دليلاً يدل عليه وجعل على من تعدّى ذلك الحدّ حدّاً.

أخبر الصادق ﷺ بأصل ما يجب على الناس من طلب معرفته ونطق الكتاب بتصديقه فشهد بذلك محكمات آيات رسوله لأن الرسول وأهل بيته لا يعدو شيء من قوله وأقاويلهم حدود القرآن، فإذا وردت حقائق الأخبار والتمست شواهدها من التنزيل فوُجد لها موافقاً وعليها دليلاً كان الإقتداء بها فرضاً لا يتعداه إلّا أهل العناد.

صورة الكون في جملة الإنسان الذي هو صورة انطوائيته فمن محتوياته محيط وجزيرة، فالمحيط هي القوى والمبادئ لا يعلم تفاصيلها ومفرداتها إلّا الله عز وجل: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ (المدثر: من الآية ٣١) منها ما يرى ومنها لا يرى، فالذي يُرى ثبت موقعه كالجزيرة مثل العين والأنف واللسان والأذن واليد والرجل،،،، وأما الباطنة فالمحيط مثل الدماغ والقلب والكبد والطحال يحيطها النور والهواء وأمهات الأكوان ولكلٍ قوة وصفة تقبض وتبسط تفعل وتنفعل لها حولٌ وقوةٌ وطاقة (وجنود لم تروها) هي بمثابة الأشخاص العلوية المتجردة عن المادة الممدة بنظامها الجزر اليابسة فمن آثارها كان الماء والخضرة وسائر الألوان فمنهم عالم بما فيه وأكثرهم أهل تلقي وانتفاخ وبدانة، وإذا تجمّدت الحيوانات تصير صخراً فتدخل في علم الحفريات، كما الماء يتحول إلى تراب فمصدر التحول هو الماء الذي به حياة كل شيء فمن تطهر بالقبول وأقبل أي توضأ وصلّى فقد دخل في التصفية والمسير، قال النبي ﷺ (أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أني من قريش وأرضعتُ في بني سعد) لأن الضاد قبل النقطة فنما حرفها بالزيادة والصاد لم تقبل النقطة ولكنها انتهت بالنقطة، فالقديم إذا تجلى تلاشى الحادث غائباً في نوره يطلبه ليكتمل به، فالنقطة مكملة للحرف بنظرها إليه فلو زالت لحدث النقص فالكمال للنقطة، فهذا التأويل هو إرجاع الصور إلى الأوضاع الشرعية إلى مآلها فترقد في فجوات الحقائق التي لها وكشف تلك الحقائق من وراء كهوفٍ ورقيم تحت تلك الصور وبيانها بقراءة الحروف واعوجاجها في عالم لا يصمت لسانه فيكون تبيين تلك الحقائق معرّى عن الأشكال والحجب الصورية موكول إلى المظهر الأعظمي الأنوري الأروحي الفارقليطي ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ﴾ (النجم: ٥٦).

الصلاة

تعريف الصلاة:

في اللغة: صلّى صلاةً أي دعا، قال رسول الله ﷺ: (إذا دُعي أحدكم إلى طعام فليُجبْ، فإن كان مفطراً فليأكلْ وإن كان صائماً فليُصلِّ) أي فليدعُ لهم بالخير والبركة.

وفي المصباح: (الصلاة الدعاء، سُمِّيت بها هذه الأفعال لاشتمالها على الدعاء، وهل سبيله النقل فتكون الصلاة حقيقة شرعية في هذه الأفعال، مجازاً لغوياً في الدعاء، لأن النقل في اللغات كالنسخ في الأحكام أو يقال: استعمال اللفظ في المنقول إليه مجاز راجح وفي المنقول حقيقة مرجوحة فيه خلاف بين أهل الأصول).

الصلاة إذا أُضيفت إلى الله بمعنى: إفاضة الرحمة والمدد الساري والفيض الجاري وهي مقامات التجلي بأبوابها الكاشفة لجملة الحقائق فتثبت الموجودات بتجليه وتكتمل الأجسام بنوره، في الحديث النبوي (إذ وصل إلى الحضرة نودي قف يا محمد إنّ ربك يصلي) وإذا أُضيفت إلى الملائكة العالين وهي كشف سترات الغيب بمعنى الرحمة والإستغفار للمؤمنين وتزكيتهم بالوجود فتعمهم أنوارها قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ (الأحزاب:٤٣).

أما في هذه الآية ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ (هود: ٨٧) أصلاتُك في هذه الآية بمعنى دينك.

فالصلاة لتذكير المؤمنين بحضرة الأُنس بأنواع القربى والكشف والإظهار لمعاني الدين عملياً وسُنَن المذهب لإقامة العدل والنظام الكامل.

قال الحكيم: الصوم لجام النفس الشهوانية يروضها على حسن انقياد النفس الناطقة، والصلاة لجام النفس الغضبية على طاعة النفس الناطقة.

واشتقاق كلمة صلاة من التصلية بمعنى صَلَيْتُ العود بالنار إذا ليّنته وقوّمتهُ لأن المصلي يلين بالحنو والعطف ويسعى في تعديل ظاهره وتقويم باطنه كالخشب الذي يُعرض على النار ليُقوَّم، وفي العبد اعوجاج لوجود نفسه الأمارة بالسوء، وسُبُحاتُ وجه اللّه الكريم التي لو كشف حجابها لأحرقت من أدركته، يصيب بها المصلي من وهج سطوة التجلي والصفة الربانية ما يزول اعوجاجه بل يتحقق معراجه فالمصلي كالمصطلي بالنار، ومن اصطلى بنار الصلاة وزال بها اعوجاجه لا يعرض على نار جهنم، وصليت اللحم إذا شويته، وهذا هو سر توجه العبد إلى اللّه وقصده إياه ليقوّم ميله إلى الباطل واعوجاجه الحاصل من حبِّ الدنيا والنظر لغير اللّه، كما أن النظر إلى وجه اللّه والتوجه بنوره إلى قبلته يهيج الحرارة الحاصلة من حركات الصعود والقرب من شمس الحقيقة ويعدل قوام الإنسان كما في الخبر: قوموا إلى نيرانكم التي أوقدتموها على ظهوركم فأطفئوها بصلاتكم) فبإزاء ذلك يذكر العبد الرحمة مستشعراً لطف مولاه على عباده وهذا التذكار هو اصطلاء العبد ببارقةٍ من أنوار الحق ولأجل ذلك الإصطلاء كان لصدر الرسول أزيز كأزيز المرجل.

كما أنّ ترك الصلاة هو استهتار بها فيجرّ إلى الذلّ والهلاك لقوله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ (المدثر: ٤٣).

ولمّا كانت صفات المزاج الجسدية كالغضب تطالب الشخص بالزيادة والبخس فيما يجب عليه ويُحسّن الغضبُ له وضع نفسه فيما ليس له، كانت الشريعة تأمر بالصلاة التي هي أولى من أثر الخلاص من سلطان الغضب، لأن

فصول الصلاة بخشوع مع سلطان الغضب يسهل على الشخص احتواء سورة الغضب وتعينه الصلاة على استدراك ما فرط منه، والصلاة جامعة الإقرار بالربوبية وطاعة الفعل في توجه النفس وترك النفس استعمال الحواس وتهيّؤها للروحانيات فترك الإشتغال بطاعة الجسد والتخلي عن المعاصي والإقرار بالذنب والمسائلة بالصفح والعفو ولذلك يرفع يديه بالتكبير مستعيذاً مما يخاف فطلب الإستغاثة منه والمعونة، كما الصوم يكسر الشهوة الغالبة ويقضّ من سورتها لأن الشهوة تعدل بالنفس عن الغرض المصيب إلى سائر الأشياء الملذوذة بمقدار رغبتها، فالجسد يشتاق بطبيعته وتميل شهوته لما ليس له، فكان المطلوب الذي تحرّكنا إليه الشريعة بالعلم كالصلاة والصوم هو العدل، والإنسان يعجز عن الإخبار بجملة ما تفيدنا الشريعة وانما يعرف بمقدار ما لحقه منها وما جهلنا من حكمة الشريعة غامض عن العقول فحكمة الشريعة أوجبت ذلك لأن الإنسان من ماهيتين روح وجسد ظاهر وباطن، فالروح جوهر حيّ ناطق، وميّت وهو الجسد المؤلف من التراكيب ذو الامتزاج والطبع الغضوب والمُشتهي، فصار بماهيتيه الجوهرين متحركاً والحواس والجوارح خدم الشخص وهي جسمانية لأنها معينة للطبع وشرّ الأسباب فيه الغضب والشهوة ولذلك تبرز من طبيعة ناره الغضب والإنتقام والشهوة فجاءت الشريعة رحمة من الباري ولغرض المداواة وكسر عاديات الشياطين، فإذا كانت الصلاة من الصلة كانت مرادفاتها = الإتصال، الآصرة، العروة، الميثاق، العلاقة. ومن اشتقاقها: الوصلة والصلة والوصال والصولة والصلاٰ ويكون ضدُّ الصلاة = القطع، الصرم، البتر، البتُّ، الهدم.

فالإتصال الجسد بالروح يعني متصلين بعد الإنفصال، والصلة من إيصال العطاء المرغوب والصولة حركة قاهرة والصلاٰ أي حنا ظهره خضوعاً وخشوعاً وخلف ذلك التجلي والتنزل والتدلي والدنو من الرحمة والحنان فتظهر عليه الصفات والأسماء ويتحلى المؤمن بسمائية بلوغ الأجلين.

في الآية ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: من الآية ٤٠) فالصلوات في هذه الآية هي كنائس اليهود، وفي المفردات للأصفهاني: ويُسمى موضع العبادة الصلاة، ولذلك سُمّيت الكنائس صلوات.

قال الفارابي: (صلّت السماء بدورانها والأرض برجَحانها والماء بسيَلانه والمطرُ بهطلانه، وقد يصلّي له ولا يشعر ولذكر اللّه أكبر).

أي الكافر والفاجر كلٌّ يصلي تكوينياً فقط ولا يشعران بذلك، أما ذكر (اللّه أكبر) وهو أن يدرك الشيء ويدرك الإدراك وإلاّ ماذا أكبر المصلي.

في المصطلح الشرعي:

الصلاة هي التي جاء بها الشرع من عمل عبادي بهيئتها الكلية وصورتها الإجمالية من أجزاء مشروطة وقوانين مضبوطة من التوجّه إلى القبلة والوقوف والركوع والسجود وسائر حدود الصلاة، مقيدة بقواعد وموانع وقواطع.

وهذه العبادة لها أنواع كثيرة تحتها مختلفة الأوصاف والأجزاء والشرائط، ففريضة الصلاة اليومية أعلاها وأفضلها.

قال الشبلي قدسه اللّه:

الشريعة أن تعبده والطريقة أن تطلبه والحقيقة أن تراه.

وقال: أفضل الذكر نسيان الذاكر في مشاهدة المذكور.

عن أبي حمزة الثمالي قال رأيت علي بن الحسين عليه السلام يصلي فسقط رداءه عن منكبيه فلم يسوّهِ حتى فرغ من صلاته، فسألته عن ذلك؟ فقال عليه السلام: ويحك أتدري بين يدي من كنتُ! إن العبد لا تقبل صلاة منه إلّا ما أقبل فيها، فقلت جعلت فداك هلكنا، قال: كلاّ إن اللّه يتم ذلك بالنوافل.

ولذلك قالوا للصلاة جسمٌ وروحٌ، جسمها الحركات والأفعال والألفاظ وروحها النية والتفكر بلحاظها.

وأما القول: (اللّهم صلِّ على محمد وآل محمد) فإن كانت من باب الإنشاء فهي دعاء وتذكير بمقام النبي وأهل البيت الطاهرين وأما من باب الإخبار فهي للتنزيه والعصمة ودلالة المدد المتصل، عن الصادقعليه السلام قال: قال رسول اللّهصلى الله عليه وآله: صلاتكم عليَّ إجابة لدعائكم وزكاة لأعمالكم.

فهو مستغنٍ باللّه عن جميع ما سواه فالرحمة الإلهية والخيرات الربانية دائمة الفيض عليه بسبب قربه ومنزلته من نور اللّه عز وجل.

وقال النبي صلى الله عليه وآله: إن البخيل كلَّ البخيل الذي إذا ذكرتُ عنده لم يصلِّ عليَّ.

يظهر من ذلك أن الصلاة على محمد صلى الله عليه وآله عبادة للّه تعالى كما أمر عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ (الأحزاب: ٥٦) فالعبد بسبب الصلاة على النبي ينال الرحمة الخاصة وإن كان أخذ نصيبه من فيض الرحمة العامة بالنظر إلى سائر البرية ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧) فهذا التعبد بالنبي وآله لظهور الصفات الحسنى فيهم من علمٍ لدني ومعجز وقدرة التي هي صفات ربوبية بالتشريف لهم من اللّه عز وجل، قال أمير المؤمنين عليه السلام (وأكثروا من الصلاة على نبيكم وآله لكي تستضيئوا بنوره وتسعدوا بفضل كرامات اللّه له ولآله).

قالوا في الفلسفة: إن نظر العلة إلى المعلول نظر الإفاضة والإشراق ولذا فإفاضته لها إضافة إشراقية، وأما نظر المعلول إلى العلة نظر التعلق بمبدأ وجوده وخزانة فيضه ولذا فكل ما عنده من النور هو نظر تعلقي (منسوب للتعلق) محض لا أنه نور استقلالي، ولذا يقال عند التعلق صفة في تعلقها بالموصوف.

عن ابن نباتة قال: سمعتُ ابن عباس يقول: قال رسول ﷺ: ذكر اللّه عز جل عبادة وذكري عبادة وذكر علي عبادة وذكر الأئمة من ولده عبادة.

أصل الذكر في اللغة: التنبيه على الشيء، ومن ذكّرك شيئاً فقد نبّهك عليه إذا ذكّرته فقد نبهّت له، ومعنى الذكر هو حضور المعنى في النفس ثم يكون القلب وبالقول وليس شرطه أن يأتي بعد نسيان.

* * *

أكوار في الصلوات وأدوار في الفرائض

الفرْض والواجب: فرض اللَّه تعالى على العبد وأوجبه عليه، فالواجب يجب في نفسه من غير إيجاب خارجي لأنها حركة عقلية موجبة للنفس التي اطمأنت للخطاب الإلهي المقوّم لجوهر النفس فتندفع لفعل الواجب، أمّا الفرض لأنه متعدٍ من الأعلى الذي فرض عليك، ولهذا تقول إنه واجبٌ في العقل ولا تقول فرضٌ في العقل ولهذا أطلق الفقهاء على السنّة المؤكدة أنها واجب بمعنى التأكيد الفعلي، وقد يأتي الفرضُ والواجبُ بمعنى سواء أي مترادفان لأن مدلولهما واحد، حينما تقول صلاة المغرب فرض وواجب، وقد ورد: وجب الشيء وجوباً إذا ثبت ولزم وكل واقع لازم، ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ (الأحزاب: ٣٨) أي ما أوجبه اللَّه عليك فهو دليل قطعي لأنّ القرآن حجة ظاهرة. ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا﴾ (الحج: من الآية ٣٦) الوجوب يعني الثبوت والوقوع أرضاً، ويأتي الواجب من جهة العقل لأنه يحضُّك على فعله ومعرفته، وفي المفردات: الفرض كالإيجاب لكن الإيجاب يقال اعتباراً بوقوعه وثباته، والفرض بقطع الحُكم فيه.

في الحديث القدسي، قال رسول اللَّه ﷺ: إن اللَّه قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرّب إليّ عبدي بشيءٍ أحبُّ إليَّ ممّا افترضتُ عليه، وما يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبّه، فإذا أحببتُه كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصرَ ه الذي يُبصِرُ به، ويده التي يبطش بها، وإن سألني لأُعطينه، ولئن استعاذني لأُعيذنّهُ، وما ترددتُ عن شيء أنا فاعله تردُّدي عن قبض نفسِ المؤمن، يكره الموتَ وأنا أكرهُ مَسَاءتَهُ.

ويدخل تحت لفظ (افترضت عليه) جميع فرائض العين والكفاية، وظاهره

الإختصاص بما ابتدأ اللّه فرْضيَّته، ويُستفاد من الحديث أن أداء الفرائض أحبُّ إلى اللّه عز وجل، فالفرْضُ كالأصل والأُسِّ والنفلُ كالفرع والبناء، وفي الإتيان بالفرائض على الوجه المأمور به إمتثالُ الأمر واحترام الآمر وتعظيمه بالإنقياد إليه واظهارُ عظمة الربوبية وذُلِّ العبودية فكان التقرّبُ بذلك أعظم الأعمال، والذي يؤدي الفرض قد يفعله خوفاً من العقوبة ومُؤدي النفلِ لا يفعله إلّا إيثاراً للخدمة فيُجازى بالمحبة التي هي غاية مطلوب من يتقرب بخدمته.

(يتقرَّبُ إليَّ) التقرّب طلبُ القرب وهو حركة انفعالية تدل على الجذب وفي إسنادِ (يتحبّب إليَّ) وعند العارفين: مطاوع قرّبه فتقرّب (دعاه فأجابه أو ناداه فلبّى مولاه) ففعل المطاوعة يدل على القبول والإستعداد لتلقي الإشراق بحركة العمل والفعل وعند الصوفي القشيري: قُربُ العبد من ربه يقع أولاً بإيمانه ثم بإحسانه، وقُربُ الربّ من عبده ما يخُصُّه به في الدنيا من عِرفانه وفي الآخرة من رِضوانه وفيما بين ذلك من وجوه لطفه وامتنانه.

وقد استشكل في الحديث:من المعلوم أنّ الفرائض أحبُّ العبادات إلى اللّه فكيف لا تُنتج المحبة؟ وظاهر الحديث أن محبة اللّه تعالى للعبد تقع بملازمة العبد التقرّب بالنوافل! الجواب عند بعض الفقهاء من السنّة: أن المراد من النوافل ما كانت حاويةً للفرائض مشتملة عليها ومُكملةً لها، ويؤيده رواية أبي أمامة: إبن آدم إنك لن تُدرك ما عندي إلّا بأداء ما افترضتُ عليك.

فمعنى الحديث أن النوافل لا تُستكمل إلّا بالفرائض وما سُميت نافلة إلّا لأنها زائدة على الفريضة، فما لم تؤدَّ الفريضة لا تحصل النافلة فمن أدّى الفريضة ثم أتبعها بالنافلة وأدام ذلك تحقق عنده التقرّب بل التحبّب. فتبين من ذلك أن المراد بالتقرب بالنوافل أن تقع ممن أدى الفرائض لأن الفروع مستتبعة للأصول، والحسنات بنات الإيمان.

في الحديث (كنت سمعَه.. وبصره.. ويده.. ورجلَه..)

وفي حديث: (كنتُ له سمعاً وبصراً ويداً ومُؤيداً) وقد استشكل في هذا الحديث من وقوع التشبيه والتمثيل وكيف يكون الباري تعالى سمْعَ العبد ويده ورجله الخ!؟ الجواب أن العبد لا يصغي إلّا لما يُرضي اللّه ولا يرمي ببصره إلّا إلى ما أمره، وهكذا...

وإذا لازم العبد العبادة ظاهراً تحقق الإسلام وباطناً تجوهر الإيمان ووقر في الصدر وهذه المراقبة في العبادة هي الإحسان في العبادة الحضورية وفنى نفسه في صفات مولاه حتى يُصفّى من الكدورات ولا يُشغله شيء في تحقيق مرضاة مولاه فهو إذاً يسمع باللّه وينظر باللّه، الخ،، لأنه محا صفات الرسم وثبّت ذاتيات الإسم، وهذا هو محو صفات العدم والغيب والإستغراق في صفات الوجود الشهودية.

عن أبي شعيب محمد بن نصير يرفعه إلى الإمام الصادق ﷺ قال: أورعُ الناس من وقف عند الشبهة، أعبدُ الناس من أقام الفرائض، أزهدُ الناس من ترك الحرام، أشدُّ الناس اجتهاداً من ترك الذنوب.

الفرض جمع فروض وهو ما قدّره اللّه على العباد ﴿فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ﴾ (الأحزاب: من الآية ٣٨) ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ (القصص: من الآية ٨٥) والفريضة جمع فرائض بمعنى المفروض فأوامر اللّه تسمى فرائض لأنها مقدرة على العباد، والواجب مقطوع لانقطاعه عن الشبهة وعدم احتماله الزيادة والنقصان، قال رسول اللّه ﷺ ليلة أسري بي دنوت من ربي فقال لي: يا محمد فيمَ يختصم الملأ الأعلى؟ قلت له: ربي لا أدري، فوضع يده بين كتفي فأحسست ببرد أنامله بين ثوبي، فعلمت ما في السموات وما في الأرض، فقال لي: فيمَ يختصم الملأ الأعلى؟ قلت له: في الكفارات والدرجات، قال لي: يا محمد وما الكفارات؟ قلت له: إسباغ الوضوء عند السبرات، وأعمال الأقدام للجماعات، قال: وما الدرجات؟ قلت له: إطعام الطعام وإفشاء السلام والصلاة

والناس نيام، ثم قال: يا محمد إذا صليت فقل في الصلاة: اللّهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تتوب عليَّ وإذا أردت في الناس فتنةً فاقبضني إليك غير مفتون اللَّهم إني أسألك حبك وحبَّ من يحبك وحب عملٍ يقربني لحبك.

كان الجنيد في مجلسه، فسأله أحد أصحابه: يا أستاذ متى يكون اللَّه عز وجل مقبلاً على عبده؟ فلُهي عنهم ولم يجبهم، فألحوا عليه، فالتفت إليهم وقال: واعجباه! يقف بين يدي ربه بلا حضورٍ ويقتضي بهذه الوقفة إقبالاً.

في الحديث: عبدي أمن الجميل أن تناجيني وتلتفت يمينا وشمالاً ويكلمك عبد مثلك تلتفت إليهِ وتدعني؟ وترى من أدبك إذا كنت تحدّث أخاً لك لا تلتفت إلى غيره فتعطيه من الأدب ما لم تعطِني فبئس العبد عبدٌ يكون كذلك.

روزة الصلاة ومكانتها

قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ (النساء: ١٠٣).

﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٥).

عن جابر قال: قال رسول اللّه ﷺ: بين الرجل وبين الكفر تركُ الصلاة.

ومن وصيته لمعاذ: وأظهر أمر الإسلام كله صغيره وكبيره، وليكنْ أكثر همك الصلاة إنها رأس الإسلام بعد الإقرار بالدين.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: علّموا صبيانكم الصلاة وخذوهم بها إذا بلغوا ثماني سنين.

وبالإسناد عن سليمان بن خالد عن أبي جعفر عليه السلام قال: ألا أخبرك بالإسلام، أصله وفرعه وذروة سنامه؟ قلتُ: بلى جعلت فداك، قال: أما أصله فالصلاة وفرعه الزكاة وذروة سنامه الجهاد.

عن أبي جعفر عليه السلام أن رجلاً ذكر له رجلاً قال: إنهتَكَ سِترهُ وارتكب المحارم واستخفَّ بالفرائض حتى أنه ترك الصلاة المكتوبة، وكان متكئاً فاستوى جالساً وقال: سبحان اللّه ترك الصلاة المكتوبة عند اللّه عظيم.

وبالإسناد عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: إن اللّه افترض على أمة محمد خمس فرائض: الصلاة والزكاة والصيام والحج وولايتنا.

عن أبي جعفر ﷺ قال إن أول ما يحاسب به العبد عن الصلاة، فإذا قُبلت قُبل ما سواها وإن رُدّت ردّ ما سواها، إن الصلاة إذا ارتفعت في وقتها رجعت إلى صاحبها بيضاء نقية تقول حفظتني حفظك اللّه، وإذا ارتفعت في غير وقتها بغير حدودها رجعت إلى صاحبها وهي سوداء مظلمة تقول ضيعتني ضيّعك اللّه.

وبالإسناد عن عجلان أبي صالح قال: قلت لأبي عبد اللّه ﷺ أوقفني على حدود الإيمان؟ قال: شهادة أن لا إله إلّا اللّه وأن محمداً رسول اللّه والإقرار بما جاء من عند اللّه، وصلاة الخمس وأداء الزكاة وصوم شهر رمضان وحج البيت وولاية ولينا وعداوة عدونا والدخول مع الصادقين.

وعن أبي جعفر الباقر ﷺ في حديث قال: بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلّا اللّه وأن محمداً عبده رسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام شهر رمضان وحج البيت.

وعن هشام بن سالم عن أبي عبد اللّه ﷺ قال: ما كلّف اللّه العباد إلّا ما يطيقون، إنما كلفهم في اليوم والليلة خمس صلوات وكلّفهم من كل مائتي درهم خمسة دراهم وكلفهم صيام شهر في السنة وكلفهم حجة واحدة وهم يطيقون أكثر من ذلك.

ورد عن رسول اللّه ﷺ: لا صلاة لمن لم يطع الصلاة، وطاعة الصلاة أن ينتهي عن الفحشاء والمنكر.

ورد في الحديث (وبالصلاة تنالون الرحمة) فصلاةُ المخلوق لخالقه هو استدعاؤه من ربّه إفاضة الرحمة وطلبه إستدامة الإشراقات النورية والفيوضات الربّانية على النفس، حتى يحصل الإتصال للروح بالرقيقة النورانية فيكون الدعاء هو تصحيح العبودية والتطهر من أوساخ الغفلة وخمول الفترة ومن أوثان النفس وتفريعاتها فيكون جهاد النفس في سبيل اللّه تعالى الموصل إلى الطريق المستقيم، فتصحّ نسبة العبودية للّه تعالى بالصلاة وسائر العبادة، وبهذا تثبت للعبد صلواته

على النبي الكريم لقوله (إني أباهي بكم الأمم) وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٦) فالمصلّي هو الموجد كل الموجودات والممدّ بالكمالات الفيضية ومالئون بتجلياتهم صور الجلال والجمال على النبي لعلوه وقربه من مولاه وهذه رتبة التشريف ومنزلة الربوبية التي استحقها عندما لحظه بالنور الكلي وخصّه بالوحي، فالذين آمنوا خبتوا لقبول الإشراقات لأنهم أجابوا دعوة الداعي فتحققت نورانية الصلاة المشرقة لاستعدادهم وقوتهم لقبول الجملة والتفصيل للظاهر بالفيض العميم فهذه صلاتهم التي كملوا بها إذ لو لم يقبلوا لما ظهروا واهتدوا وبهذا يشيد البنيان بأمر الصلوات وينغمس العبد بعبودية الدعاء فيغتنم الزيادة والنوافل والسنن بزيادة الرحمة كما ورد في الحديث (وأكثروا من الصلاة على نبيكم وآله لكي تستضيئوا بنوره وتسعدوا بفضل كرامات اللّه له ولآله) ومن هنا يأتي الأمرُ بالصلاة على النبي وعلى آله الطاهرين بالتسليم لما بلّغ الرسول ﷺ لوصيّه بإمرة المؤمنين (السلامُ علينا وعلى عباد اللّه الصالحين) فإذا استوت نارُ صلاتك وقع الإنسُ وثبت اللطفُ وهذه جذبة شوقية لمظهر التأنيس وهذا هو الإصطلاء للعبد ببوارق أنوار تجلي الحق ولهذا في كربلاء كان صوت الدعاء كأزيز المرجل.

جاء في الحديث: أن رزام مولى خالد بن عبد اللّه سأل الإمام الصادق عليه السلام بحضرة أبي جعفر المنصور عن الصلاة وحدودها؟ فقال جعفر الصادق عليه السلام: للصلاة سبعة آلاف حدٍ لست تفي بواحدٍ منها، فقال: أخبرني بما لا يحل تركه ولا تتم الصلاة إلا به؟ فقال عليه السلام: لا تتم الصلاة إلا لذي طهرٍ سابغٍ وتمام بالغٍ، غير نازع ولا زائغ، عرف فأخبت فثبت، هو واقف بين اليأس والطمع والصبر والجزع كأنه الوعد له صنع، والوعيد به وقع، بذل عرضه وتمثل غرضه، وبذل في اللّه المهجة , وتنكب إليه المحجة، غير مرتغم بارتغام يقطع علائق الإهتمام بغير من له قصد، إليه وفد ومنه إسترفد، فإذا أتى بذلك كانت هي الصلاة التي

تنهى عن الفحشاء والمنكر فالتفت المنصور إلى أبي عبد الله ﷺ وقال: يا أبا عبد اللّه لا نزال من بحرك نغترف وإليك نزدلف، نتبصر من العمى ونجلو بنورك الظلماء الطخياء فنحن نعوم في سبحان قدسك وطامي بحرك. (الحديث).

في هذا الحديث ذكر الإمام الصادق ﷺ أنّ للصلاة سبعة آلاف حدّ فإذا رقيت السبعة تصير تسعة وأربعين، والصلاة تقام في اليوم خمس مرات وفي السنة عددها (١٨٠٠) فالعدد القائم (١٨) فإذا ضاعفناه يكون (٣٦) وينفرد الواحد يبقى (٣٥) ويُرقّى العدد فيكون (٧٠) وهي للّه سبعون حجاباً من نور وظلمة واحد وعشرون حجاباً ظلمانياً كونياً وتسعة وأربعون حجاباً نورانياً (القلم) واحد وعشرون وبه مدار الصلوات تجري بمداد النون قدرة الأمر بالوجوب فتنكشف الصلوات الخمس، فهذه حقائق الإتصال والإرتباط والجمع والفرق وما بينهم من تقريب النوافل وتوحيد الفرائض، وهذه الوصلة التي تجمع المتصلين بعد وقوع هبطة الإنفصال، تقول صلَّ الشرابَ أي صفّاه، فبالصلاة تنحني كل عظام الجسد وتصلّ عند الركوع والسجود من جهة العبد، وأما من جهة الحق وصلة بعبده كالتجلي والتنزّل والتدلّي والدنو برحمته وفيض إنعامه ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۞ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۞ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ (النجم: ١٠) قوس الركوع وقوس السجود وهو التنزّل والنزول بالأسماء الظاهرة نزولاً والمعراج بالصفات باطناً وبهذه الحضرة يخلع على عبده من شراشر ترقي الأسماء وفناء الصفات فاصطفاه واحتباه ولهذا يصول العبد على الأعداء ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ (البقرة: من الآية ١٢٥).

ذكر المولى الصادق ﷺ في حديثه مقدمات الصلاة في الجملة: الطهر السابغ , أسبغ الوضوء: أي ثنى الغسلة أو ما يروي منه الأعضاء من الماء، فإسباغ الوضوء يعني إتمامه وإكماله على ما فرض اللّه وإكماله على ما سنّه رسول اللّه ﷺ ومنه: أسبغوا الوضوء أي أبلغوه مواضعه وأكملوا كل عضو أي اعرفوا حقّه ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (لقمان: من الآية ٢٠) كما تقول سبغ الثوب

أي اتسع وصفاً، والطهور يعمّ الغسل والوضوء والتيمم لإزالة النجس والعوارض.

قال تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ (التوبة).

قال الصادق ﷺ: إن اللّٰه عز وجل جعل التراب طهورا كما جعل الماء طهورا.

هذه الأحاديث تدل على التلازم بين الظاهر والباطن والجسد والروح، فالحديث (الطُهُور نصف الإيمان) والنصف الآخر هو عمارة الباطن بالأعمال الصالحة وتنقيتها من ذميم الأخلاق والأسواء وإصلاحها بمحامد الصفات.

قال ذو النون المصري: طوبى لمن تطهّر ولزم الباب، طوبى لمن تضمّر للسباق وطوبى لمن أطاع اللّٰه أيام حياته.

إن النفوس الناطقة من الجواهر الأعلوية يشغلها عن عالمها هذه القوى البدنية ومتطلباتها فإذا قويت النفس بالفضائل وتوضأت روحانياً طهّرت قوى البدن وغلبتها فتتخلص أحياناً من أدران المادة وثقل الأوساخ بالماء الطاهر وهي تتلقى أوامر الشرع حتى تتصل بقراءة الآيات وتلاوة السور فتنتقش فيها صور أنوار الصلوات لتجردها من لوازم الأعراض والحجب وتنجو من الأضغاث والأخلاط التي تحصل من مجاورة الكسل وخيالات الشيطان وهيئات النفس.

وفي مصباح الشريعة للصادق ﷺ: سمي المستراح مستراحا لإستراحة النفوس من أثقال النجاسات واستفراغ الكثافات والقذر فيها).

والمؤمن يعتبر عندها أن الخلاص من الدنيا بترك التعلق بحطام الدنيا كذلك تصير عاقبته فيستريح بالعدول عنها ويتركها، ويفرغ قلبه ونفسه عن شغلها ويستنكف عن جمعها وأخذها استنكافه عن النجاسة والغائط والقذر، ويتفكر في نفسه المكرمة في حال كيف تصير ذليلة في حال، ويعلم أن التمسك بدينه هو القناعة والتقوى التي تورث له راحة الدارين فإن الراحة في هوان الدنيا والفرار من غرام التمتع بها وفي إزالة النجاسة من الحرام والشبهة.

ولذلك يتستر ويختلي الذي يريد أن يقضي حاجته لإظهار الحياء والإحتشام من عين الناس لأنه على حالة نفسية خسيسة كأنه لا يحب أن ينظر إليه أحدٌ ولذلك يتخفى ويتلثم كي لا يُعرف في ذلك الحال، فإذا كان على هذه الحال في الحياء من النجاسات الظاهرة ودفعها فكيف لا يكون كذلك مع النجاسات الباطنة ودفعها، كما أن النجاسات الظاهرة يحصل له بخروجها منه الإستراحة ورمي الأثقال ويحصل له القابلة في الدخول في الصلاة، لقول الصادق ﷺ: إذا أخرج النجاسات الباطنة عن باطنه يحصل له الإستراحة المعنوية ويسكن قلبه من دنسها ويخفُّ لبُّه من ثقلها ويصلح للوقوف على بساط الخدمة والتأهل للمناجاة.

قال ذو النون: ما أعزّ اللّه عبداً بعزٍ هو أعز من أن يدلّهُ على ذلّ نفسه، وما أذل اللّه عبداً بذلٍّ هو أذل له من أن يحجبه عن ذل نفسه.

قال الرضا ﷺ: من بال حذاء القبلة ثم ذكر فانحرف عنها إجلالاً للقبلة وتعظيماً لها لم يقم من مقعده ذلك حتى يغفر له.

إذا لم يرضَ سبحانه وتعالى بمواجهة بيته الحسي المركب من الأحجار والطين بأن يواجه بالنجاسات مع أن بينه وبينه المسافات البعيدة فكيف يرضى بأن يكون بيته المعنوي ومحل معرفته ومحبته ملطخاً بنجاسات المعاصي، كما في الحديث (لا تسعني سمائي ولا أرضي ولا عرشي ولا كرسي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن).

ولذلك أمرنا الشارع أثناء التخلي والمستراح بالإنحراف عن القبلة وتجنبها على الحالتين، إشارة إلى تعظيمها لأنها بيت اللّه وتنزيهها حتى عن المواجهة بالبول والغائط، لتبقى النفس منشغلة بالطاعة ومحلاة بالأخلاق ومنشغلة بالآداب الحسية والمعنوية.

وينبغي أن تذكر بتخليك لقضاء الحاجة نقصك وحاجتك وما تشتمل عليه

من الأقذار والنجاسات في باطنك وظاهرك، لقول أمير المؤمنين ﷺ ابن آدم أنّى لك الفخر أولك نطفة وآخرك جيفة وفي دار الدنيا حامل الجيف والنجاسات. وقال ﷺ ما من عبدٍ إلّا وبه ملك موكل يلوي عنقه حتى ينظر إلى حدثه ثم يقول له الملك يا بن آدم هذا رزقك فانظر من أين أخذته وإلى ما صار فينبغي أن يقول عند ذلك اللّهم رزقتني الحلال فجنّبني الحرام.

وكذلك يكره الأكل على الخلاء إشارة إلى أن المأكول ينبغي أن يعظمه وأن يقبل عليه وأن يجلس له على أحسن الأحوال لأنه تعظيم لنعم اللّه تعالى كما لا يصحّ جمع النقيضين.

قال العارف باللّه الفضيل بن عياض، عن قوله تعالى:

﴿إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٦) قال: الذين يحافظون على الصلوات الخمس.

ورد في الأخبار: عن بعض أزواج النبي ﷺ إنها قالت كان رسول اللّه يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة فكأنه لا يعرفنا ولم نعرفه شغلاً باللّه عن كل شيء.

وكان علي ﷺ إذا حضر وقت الصلاة يتململ ويتزلزل فيقال له ما لك يا أمير المؤمنين؟ فيقول جاء وقت أمانة عرضها اللّه على السموات والأرض فأبين أن يحملنها وأشفقن منها.

وكان علي بن الحسين ﷺ إذا حضر للوضوء اصفرّ لونه، فيقال له ما هذا الذي يعتادك وقت الوضوء؟ فيقول ما تدرون بين يدي من أقوم.

قال زين العابدين ﷺ: فأما حق الصلاة فأن تعلم أنها وفادة إلى اللّه وأنك قائم بها بين يدي اللّه فإذا علمت ذلك كنت خليقاً أن تقوم فيها مقام الذليل الراغب الراهب الخائف الراجي المسكين المتضرع المعظم من قام بين يديه

بالسكون والإطراق، وخشوع الأطراف ولين الجناح وحسن المناجاة له في نفسه والطلب إليه في فكاك رقبتك التي أحاطت به خطيئتك واستهلكتها ذنوبك ولا قوة إلا باللّه).

وسميت الصلوات بالحدود لأنّ حدّ الشيء غايته ومنتهاه، والحدّ ما يميّز الشيء عن غيره وجواره، والمحدود أي المميز والمعيّن ولا اشتباه فيه، وحدوده أحكامه من الفروض والمحرّمات، وحدّ الشيء بمعنى المنع والفصل بين الشيئين فكأن حدود الشرع وأحكامه فصلت بين ما يحلّ ويحرم وما يؤتى ويجتنب، فحدّ الصلاة ما تُعرف به ويستدل عليها، كما أنّ تارك الصلاة وجاحدها يؤدَّب ويُحَدُّ، والحرمة: ما وجب القيام به وحرم التفريط فيه فهي كالحق بمعنى الواجب، ويجوز أن يكون المراد بالحرمة ما حرم فيه لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ (الحج: من الآية ٣٠) وحرماته تعالى حقوقه وفروضه التي لا يحلّ انتهاكها أو التفريط بها، وتعظيمها أي القيام بها والمحافظة عليها وقيل هي ما نهى عنها وحرّم الوقوع فيها وتعظيمها مجانبتها وترك ملابستها.

وتأتي الحدود بمعنى المحارم الممتنع ارتكابها ومقاربتها لقوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ (البقرة: من الآية ١٨٧) فالأحكام تشمل الواجبات والمحرمات وغيرها واذا أطلقت كلمة الحدود يكون لها توابع ومشتملات وجوانب ولذلك يحسن إطلاق لفظ الجنب واللازم والتابع والفرع على أحد المضافات لقوله تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ (الزمر: من الآية ٥٦) أي أحكام اللّه والجنب تأتي كما قال الباقر‹ع› (نحن جنب اللّه). والمحدود مَنْ أُقيم عليه الحدّ، والمحدود بمعنى ما له بداية ونهاية عند ذلك الحد وهو أن يكون الشيء له وجود يتم عنده فيبتدئ من ذلك الحدّ وجود شيء آخر فإذا عرفت الحدّ فقد تحققت النسبة، فالمحدود أي ماله مقدار زمني ومكاني يُعرف به ولهذا فالصلاة لها وقت

موسّع ومضيّق يتحدد بذلك الشيء ويمنعه من غيره، فحدّ الصلاة أجمع للمعنى فحدّها أن يترقى الخلق في سيرهم إلى اللّه بالمعرفة سالكين طريقة المراقبة ويرقبون الغاية لينتهوا بالحركات وصولاً إلى مطالبهم وهذه من حدود الصلاة المقدارية والمعنوية.

* * *

العبـادة

العبادة مصدر عَبَدَ يعبُدُ عبوديةً.

مرادفات عِبادة = نُسك، تعبُّد، إعتكاف.

أضداد عبادة = تهتُّك، خَلاعة، عُهر، فُجور، فِسقّ.

فالعبادة الإلتزام بما أمر المعبود بعد أن وهب للمكلّفين الإستطاعة الوافية بالقدرة على إقامة التكاليف والقدرة على تركها (إن اللَّه كلّف يسيراً ولم يكلّف عسيراً) وقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ (الطلاق: من الآية ٧) وبهذا يكون التكليف من تمام الجود على أهل الوجود من فيض نعيمه الدائم الوارف بالسرمدية المُدخل جنات الصفاء والمُخرج من ظلمات الجهل وعتمة الأخلاط إلى نور العقل بلذّة البقاء وذوق الخلود، وبهذا تتمكن النفوس الممكنة من القيام بآداب الإسلام مع شهود النقص والضعف في شخصك وأن تترك الخيرة لنفسك وتلتزم بطاعة مولاك بما أولاك ومنَّ عليك بالتكليف بإقامة الدين والحفظ على الحدود ووفاء العهود وعبادة الظاهر الموجود ومعرفته وأن تصبر على العبادة حتى تحصّل المفقود من نفسك لقوله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ (مريم: ٦٥).

قال عيسى بن عبد اللَّه لأبي عبد اللَّه الصادق ﷺ جُعلت فداك ما العبادة؟ قال: حُسْنُ النية بالطاعة من الوجوه التي يُطاعُ اللَّه منها، أما يا عيسى فلا تكون مؤمناً حتى تعرف الناسخ من المنسوخ، قلتُ جعلتُ فداك وما معرفة الناسخ من المنسوخ؟ قال: أليس تكون مع الإمام مُوَطناً نفسك على حُسنِ النية في طاعته، فيمضي ذلك الإمام ويأتي إمامٌ آخرُ فتوطنُ نفسَك على حُسن النية في طاعته؟

قلتُ: نعم، قال: هذا معرفةُ الناسخ من المنسوخ.

والعبادة هي أن تتخلّص من ظلمة الإعتراض وتُزيل خلافة الجهل بتزكية النفس بالعبادة والتقديس والتسبيح من الجنس الكلي في الطاعات لتفكّ النفس من أسباب الهبوط في تراكيب الدوران ومجاورة الشيطان وبذلك تصحّ التوبة في متابعة الهدى ومن تحت شجرة هذه العبادة تتفرع الفروض وتزهر النوافل والسُنَن والمستحبات فتبصر الأنظار وتسمع بوعي وتهتدي بالعقل فتسلك بالهدى النجدين، فروح العبادة غير محصورة بصورة ولا بوقتٍ لأنّ المؤمن في عبادة ولو كان على فراش النوم، اللّهم أيقظ الناعسات في مراقد الغفلات ليذكروا اسمك ويقدسوا ذاتك لتكتمل الحصة من العلم والصبر واجعل الفتوة حليتنا والإشراق سبيلنا إنك بالجود الأعم، قال الصادق ﷺ: إن الناس يعبدون اللّه على ثلاثة أوجهٍ، فطبقة يعبدون اللّه رغبةً في ثوابه فتلك عبادة الحُرصاء وهو الطمع، وآخرون يعبدون اللّه فَرَقاً من النار فتلك عبادة العبيد وهي الرُهبة، ولكني أعبُدُه حباً له فتلك عبادة الكرام.

وروي عن أمير المؤمنين ﷺ: طوبى لمن أخلص للّه العبادة والدعاء، فلم يشغل قلبه بما ترى عيناه ولم ينسَ ذكرَ اللّه بما تَسمعُ أُذناه ولم يُحزن صدرَه بما أُعطي غيره.

فالعبادة تجري على معانٍ منها: الطاعة والقيام بما شرّع اللّه على ألسن أنبياءه ورسله، ومنها المعرفة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦) أي ليعرفوني، كما أنّ ترك الشبهات والكسل محفز للنشاط والإجتهاد بالطاعات، لأنّ المعرفة لا تصحّ إلّا بإقامة الفرائض فتعرف النفس صانعها وخالقها فتقيم التوحيد والإسلام له والإيمان به.

قال رسول اللّه ﷺ: إن هذا الدين متين فَأَوْغِلوا فيه بِرِفقٍ ولا تُكرهوا عبادة اللّه إلى عِبادِ اللّه فتكونوا كالراكب المُنْبَتّ الذي لا سفراً قطَعَ ولا ظهراً أبقى.

وفي رواية أخرى، قال النبي ﷺ: يا علي إنّ هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغّض إلى نفسك عبادة ربك، فإنّ المنبت (يعني المفرط) لا ظهراً أبقى ولا أرضاً قطع فاعملْ عمل من يرجو أن يموت هرماً، واحذر حذر من يتخوّف أن يموت غداً.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام للحارث الهمذاني:

وخادع نفسك في العبادة وارفق بها ولا تقهرها وخذ عفوها ونشاطها، إلّا ما كان مكتوباً عليك من الفريضة، فإنه لا بدّ من قضائها وتعاهدها عند محلّها.

فالعبادة كما ورد: فعلُ ما يرضي اللّه، والعبودية: الرضا بما فعله اللّه تعالى.

والعجب في العبادة هو الزهو بها واستعظام العمل بإقامتها واستكباره بفعلها ويرى نفسه خارجاً عن حد التقصير وغيره في النقص وهذا مفسد للعبادة لأنه حجاب القلب عن الربّ ومانع له من التوفيق والمعونة وصادّ عن الوصول إلى حقيقة التوحيد والإخلاص في الأعمال، لقول الصادق عليه السلام: قال اللّه عز وجل لداود: يا داود بشّر المذنبين وأنذرْ الصدّيقين، قال: كيف أبشّر المذنبين وأنذر الصديقين؟ قال: يا داود بشّر المذنبين أني أقبل التوبة وأعفو عن الذنب وأنذر الصديقين أن لا يعجبوا بأعمالهم، فإنه ليس عبدٌ أنصبه للحساب إلّا هلك.

العبادة على ضربين: بدني ومالي.

أمّا المالي فمنه مكرّر في كل سنة أو كل شهر أو كل مناسبة كالزكوات والصدقات والنفقات بحب اللّه تعالى، وعبادة مرة في العمر كالحج، وتكرار العبادة للمداومة على الذكر كي لا ينسى الإنسان وهذا من باب إماطة الأذى عن الطريق، لأنّ في العبادة بذل شيءٍ من المال أو من البدن لإماطة الأذى وهو بذل المال عن خزانة القلب كي لا تشغله عن أحوال الآخرة وهو الطرح لتخفيف الأثقال عن سفينة النفس الجارية في أمواج بحار الدنيا، فهذا الطرح لا يوجب

درجة سوى خفة حاصلة بسبب النقص وتلك الخفة ليست سعادة أخروية بل هي زوال شقاوة فقط لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ (سبأ: ٣٧) فالمقرّب إلى الحضرة الجمالية هو الإيمان والعمل الصالح وقال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (التوبة: ١٠٣) فالصدقة التي هي تزكية النفس هي سرّ التخلية والتي تطهّر من النجاسة وتمحو بنات الرذائل وأمها جبلة الدنيا ومقتنياتها، وتُزيل الأذى عن طريق الصلاة، والتزكية التي هي سرّ التحلية وتطييب النفس بالمسك والكافور.

فمن أسرار الزكاة تزكية السرّ بإخراج النفس الناطقة من أرجاس علائق نقص القوى رحيضةً نقيةً صفيّة كما يخرج الثوب من مساحيق الغسل والحتّ والقرص ودفعه بالعصر والدقّ، لقول الإمام (إن اللّه لا ينظر إلى صوركم بل ينظر إلى قلوبكم).

فالعبادة لها روح وبدن: فالبدن هو الصورة وظاهره الحركات المحسوسة والسكنات الظاهرة والأفعال، فإذا كانت العبادة بالألفاظ والأصوات وعند حدود القشور فهي رياء لوقوفها عند المناظر وطلب المظاهر، وهذا من الشرك الخفي لقول النبي ﷺ: الشرك في أمتي أخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء.

أما روح العبادة المراقبة للنفس تتمثل بالإخلاص الكامن والنية الباطنية الموصولة بعالم العقل ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ (الكهف: من الآية ١١٠) فرسوم الطاعة البدنية قناطر إلى العبادة الروحانية لأنها معابر إلى رياض الإخلاص الباطني لقول النبي ﷺ (الرياء قنطرة الإخلاص) كما أن صدق الفعل تبعاً لصفاء النية.

فأفضل العبادات البدنية الصلاة لكون روحها أشفّ وشخصها ألطف وأعمّ، فنقاء الروح يدل على اعتدال مزجة الجسد وبالعكس، فمن كان بيته مشرقاً فعلى قدر شروق السراج فيه وهذا التلازم له إشارة عينية ودلالة عقلية.

أما روح الصلاة فهي المعرفة لكون معروفها لرب العالمين الذي معرفته أفضل المعارف وأوجبها على المؤمنين، ولهذا لا تسقط الصلاة عن أحد كما أنّ المعرفة لا تسقط في وقتٍ ما، لقول عيسى في القرآن الكريم: ﴿وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ (مريم: من الآية ٣١) فالحياة ديمومتها بالتخلية والتحلية (الزكاة والصلاة) قال النبي ﷺ (فالإيمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها قول لا إله إلّا اللّه).

فهذه القشور لها ألباب كما الأبدان لها أرواح فعلى قدر المعرفة والفهم الصحيح يكون الحدُّ للظاهر واللُّب وهذا المقصود بذلك لقوله تعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٥) التلاوة هي التفصيل بلسان النبوة للكتاب المجمل وأثبت الجملة والتفصيل بإقامة الصلاة التي فيها الكمال العلمي والعملي وإصلاح المعاش ونبت الأخلاق وزهرة الآداب التي بها يحصل الشرف الملكوتي وتتبرأ من الفحشاء والمنكر التي بها علقة الخبائث والكدورات التي ينتج منها السيئات الشرعية فبإقامة الصلاة تنتهي عن الهيئات المظلمة ويتخلص القلب من الفضول الثقيلة والغفلات المسكرة وروحها هو الحضور في مقامات التمكين والبقاء ولذكر اللّه أكبر فذكر القلب الذي هو الرئيس وأشرف الأعضاء يعلو على كل ظاهر ولقلقة، وحاصل العبادة فأقم الصلاة تحلية وذكر اللّه أكبر تجلية وكشف، فبالصلاة انفصلت دار الإسلام من دار الكفر وصحّت بها الملة وبالهجرة بُني مسجد المدينة في دار أبي أيوب، وهذا يشمل العوام والخواص الظاهر والباطن القشور واللباب، فالظواهر تُسلم صاحبها من الشبهة، وتصفية

البواطن تدل على صدق الشهادة وصحة قبول القلب بإثبات الحقائق، ولهذا قبل الشرع تقليد العامة بالمواظبة على الشواهد المؤثّرة على حواسهم وإن لم يقدروا على الإستدلال لتسلم قلوبهم من الحيرة والشبهة والشك، ولهذا كانت أعضاء الوضوء للعامة شواهد وحدود وللخواص مساجد وكشوف لقوة النور ولهذا ورد (نور الحق إنما لا يدرك لشدته وقوة نوريته) ولهذا اختفت دور نينوى ورسومها لمّا حلّ بها الحسين بن علي عليه السلام لأنه زيتونة الضياء صاحب الجذبات والعلل وموحد الجمعيات وسراج الكون ودراري التفصيلات، وأقرّ العارفون لمشاهدة الحق بالأسماء والصفات يوم عاشوراء عند فناء الأشكال والهيئات واضمحلال الرسوم وهي منجذبة إلى غرة الإمام وبوجهه لائحات بأسرار صفوته فأعجز العوام والسقط وأخرس نعوتهم، كما سجدت كل الأعضاء والتراكيب لتوحيد رب العالمين.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: أفضل الناس من عشق العبادة وعانقها وأحبّها بقلبه وباشرها بجسده وتفرّغ لها فهو لا يبالي على ما أصبح من الدنيا على يسرٍ أم على عسرٍ.

قيمومة التكليف بالعقل

كَلِفَ يَكْلَفُ كلَفاً الشخصَ: أحبّه وأُولِعَ به.

كلف الأمرَ احتمله على مشقة. كَلِفَ وجهُهُ: أصابه الكلَفُ.

كلّفَ يُكلّفَ تكليفاً الأمرَ: أوجبَه أو فرضه عليه أن يعمله.

ولهذا سُميت الأحكام الشرعية بالتكاليف لما في الأديان الإلهية من الراحة والطمأنينة للنفوس بالقيام بواجباتها والإلزام بمعرفتها والإلتزام بتطبيق تعاليم الدين وأحكامه كي لا تخرج النفوس من تحت سلطان العقل وتنفر كالثور بقرني الجهل والكفر. فالمكلِّفُ هو اللّٰه الخالق الرازق والمكلَّفُ هو المخلوق المرزوق الذي وهبه القادر القدرة والإستطاعة على إقامة المفترضات وفعل الواجبات فكان التكليفُ علاقةً مستكملة للمكلَّفين يُلزمها الخالق مخلوقاته إلتزامياً بحركة الإختيار والإرادة لتتم السعادة والفوز بالآخرة.

ولّما كان اللّٰه عز وجل خلق الخلق وهو غنيٌّ عنهم فلا تنفعه طاعتُهم ولا تضرّه معصيتُهم فكانت حكمته بالغة في إيجاد خلقه بتفتح عقولهم على الهدى لإيصال النفوس إلى السعادة الأبدية ولا يكون ذلك إلّا بالإستئهال والإستعداد ولا يحصل إلّا بتكليفهم بما فيه الفوز بتلك السعادة ولا يصحّ التكليف إلّا بالإختيار وإرادة المكلَّف فيكون التمييز عن بيّنة بين الظلمة والنور والشر والخير والمعصية والطاعة، لأنّ عمل غير المختار كلا عمل، خلق العباد وجعل فيهم آلة الإختيار الصالحة لكل من أراد القبول والإنكار وسلك باختياره النجدين ثم حصر ذلك بالأمر والنهي والطاعة والمعصية، بأن وضع لهم قانوناً ينظم به أمر معاشهم ويصلح معادهم ونصب لهم الميزان

والأئمة المعصومين وأيدهم بالدلائل الباهرة والحجة الظاهرة، فهذه السلطنة أوجبت الإلجاء في التكليف لعدم تمكن النفوس الشريرة من إبداء ما في كمونها من طينة العدم والنقص من المخالفة والمباينة لتعلّقها بأصلها المظلم العدمي وفي ذلك ثبت عدم لغوية الإيجاد وعبثية الخلق لفوات الغرض المطلوب، فالإرادة التكوينية من الخلق تسير وفق القوانين القضائية والحكمة الربانية، والإرادة التشريعية تجري أحكامها بانتظام الفرائض بعد أن يُعرّف اللّه عز وجل الخلقَ الحقائق بحججه الظاهرة والباطنة وقد استقل العقل بعد حصول الإشراق ولزوم البيّنة من الرسل والكتب والملائكة بلزوم تحصيل جلب النفع والإستصواب ودفع الضرر المحتمل والعقاب، ويكشف لهم عن بينات مراحلها وهي تمرّ في طرق وجوب التحصيل لتستلهم معاني أندية الولاية وصور الخطابات النبوية.

فاللّه سبحانه وتعالى ما فرض على الخلق من المعرفة والتوحيد والعبادة إلّا بعد أن وهبهم إستطاعةً وافيةً بالتكليف والقدرة على ترك ذلك من خلال حركتهم الإختيارية، ولأنّ هذا التكليف تمام الجود على الموجود لأن به يحصل النعيم وتنعم الحياة بحركة عقلية ونفس طيبة لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ (البقرة: من الآية ٢٥٧).

عن أبي عبد اللّه الصادق عليه السلام قال: (إن اللّه عز وجل خلق الخلق فعلم ما هم سائرون إليه وأمرهم ونهاهم فما أمرهم به من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى الأخذ به، وما نهاهم عنه من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى تركه، ولا يكونون آخذين ولا تاركين إلّا بإذن اللّه).

إن التكليف لا ينفك المخلوق منه في رتبة من مراتب وجوده من العرش إلى الذرة في كل رتبة بحسبها في الدنيا والآخرة بل لا يمكن الإيجاد إلّا على طبق الحكمة فكيف يتمّ بدون تكليفٍ لأنه إيجاد قبيح وعبث بدون التكليف،

حتى أن أهل الجنة مكلَّفون بما يشتهون كما أن أهل الدنيا مكلفون بما يكرهون، فعالم الإيجاد نعمته بالتكليف الأولي لمّا قال عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٧٢) فلو لم يقبلوا السمع وقوة الردّ على السؤال لم يوجدوا بالتحقيق فالمطاوعة فطرية لدنية كقولك كسرته فانكسر لأنه من طبيعة جبلتهم، ومتوقف عليهم ظهور الإنكسار وحركة الإنفعال ولذلك وقع التكليف وعلى أثر ذلك ترى المخالف والمؤالف يصلي ويحج ويصوم، الخ،،،.

واذا عرفتَ أن كل مخلوق بالقوة يتوقف في ظهوره على قابليته، وقابليته هي الممكن الساكن الذي فيه صلوحه، إذاً تتوقف قابليته المبرّزة شخصه على إمكانه المستعد مع وجود السبب وعلة الإيجاد في تحقيق التكوين والإيجاد، فتكون إرادة المخلوق هي التي يتوقف عليها في الظهور ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ (البقرة: من الآية ٢٨٦).

قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (الإسراء ٤٤) هذه الآية دلالة قطعية على أن الكلّ داخل في عالم التكليف بحسب الإستعداد والقابلية ولذلك يسبّح للّه شكراً على نعمة الإيجاد وحمداً على معرفته في الطلب والجهد في العبادة، وما من شيء إلّا يسبح هنا بمعنى العبودية والطاعة، فهذا التسبيح هو السير في خاصيّته التي له والتي تدل على التوحيد في مراتب النشآت صمتاً ونطقاً وان كانت الحجة في ذلك صامتة ولكنها بالتدبير ناطقة ويدخل الجماد والنبات والحيوان والإنسان، ولكن لا تفقهون تسبيحه لأن الإطلاع على سرّ السرائر والماهيات فوق النظر والعقل وانما يفقه من كان له قلب أو ألقى السمع وهو الوصول في تحقق كمال نشأتها وبروزها بعجيب الصنعة والخلقة والتدبير، فالإنسان

يستمد قوته الغذائية من الحيوان والنبات، والحيوان يستمد قوته من النبات والنبات يستمد قوته النامية من الجماد الذي هو مستمسك بالعناصر كالماء والهواء والنار والتراب التي ترفد الكل ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ (الرعد: ١٥) حينما ترد لفظة السجود بالتلازم يكون الركوع، فالصلاة والسجود والركوع هنا بمعنى العبودية والطاعة والمعرفة، فالسجود صورته الكونية كمثل حركة النبات لأنه ملتصق بالأرض والركوع كمثل حركة الحيوان لأن وجهه إلى الأرض والقيام للإنسان لأنه من الإستقامة واقف كالألف القائم غير منحني ولا مسطوح (الواحد) فكلٌّ يكون في عبوديته مناسباً لحاله التكوينية والتشريعية، فالسير إلى اللّٰه هو بالتقرّب إليه بالأعمال المرضية ومشاهدة آثاره ومعرفة مقاماته بأسماءه وصفاته، والسلوك هو طيُّ الطريق والمراحل أثناء التنزيه والتجريد، ولمّا كان التكليف فيه كُلفة ومشقة على النفس بدايةً فبالرياضة الروحية على الطاعات والمداومة الجسدية على حفظ العبادات والمناسك تصير الكُلفةُ لذةً وراحةً وثمرةُ ذلك الحصول على وصل المحبوب.

قال الصادق ﷺ: إذا نظرت في جميع الأشياء لم تجد أحداً في ضيق ولم تجد أحداً إلّا وللّٰه عليه الحجة، وما أمروا إلّا بدون سعتهم، وكل شيءٍ أُمِرَ الناس به فهم يسعون له، وكل شيء لا يسعون له فهو موضوع عنهم، ولكن الناس لا خير فيهم.

وقد عرّف العلماء العقل: هو قوة إدراك الخير والشر والتمييز بينهما والتمكن من معرفة أسباب الأمور وذوات الأسباب وما يؤدي إليها وما يمنع منها، وهو بهذا المعنى مناط التكليف.

وجاء تعريف آخر: هو ملكة وحالة في النفس تدعو إلى إختيار الخير والنفع، واجتناب الشر والمضار وهو غير العلم فإن هذا فطري والعلم كسبي، وهذا تعريف بالإجمال.

وروي عن الإمام علي ﷺ (إن العقل لإقامة العبودية لا لإدراك الربوبية) المراد بالأمور العقلية التي لا تحتاج فيها إلى نص الشرع هو أن العقل يحكم للزوم تحصيل المؤمن المعرفة والإقرار للتجلي والمسارعة إلى إقامة التكليف وفعل الواجبات، وترك الغوص في درك عالم الغيب ليدرك حقيقة الربوبية فذا غير مكلف بها المسلم، لأن المخلوق حادث لا يصل بنفسه إلى إدراك القديم.

وقد جاء عن العلماء: أن للإنسان شأناً به يتمكن من السير من القوى الكامنة فيه بنحو الإستعداد إلى الفعلية، إلى أن يسير بهذا السير إلى التمكن من العقل المستفاد، فيستحضر المعارف النورية العقلية عند حقيقته وتلك الكمالات والأنوار العقلية قد ظهرت من العقل الفعال الكلي فإن اللّه جعله سبباً لخروج النفس الناطقة الإنسانية من القوة إلى الفعل، ثم إن صاحبه إذا أنس بأمور مدركة أولية فيوجب هذا الأنس تحريك تلك المادة الإستعدادية إلى درك أمور نظرية فتقدر النفس حينئذٍ على الصعود إلى العقل فيصير عقلاً بالملكة.

وعن محمد الباقر ﷺ أنه قال: يؤمر الصبيان بالصلاة إذا عقلوها وبالصوم إذا أطاقوه، فقيل له: ومتى يكون ذلك؟ فقال: إذا كانوا أبناء ستِ سنين.

قال رسول اللّه ﷺ مُروا صبيانكم بالصلاة إذا كانوا أبناء ست سنين واضربوهم على تركها إذا بلغوا تسعاً وفرّقوا بينهم في المضاجع إذا بلغوا عشراً).

وأحوال الأطفال والأولاد متفاوتة الإستعداد وتختلف في البنية والطاقة والعقل وعلى قدر ذلك يُعلّمون ويوجّهون في التعلم والإكتساب لتنمو ملكة الميزة فلا تسبقهم عاداتُ السوء والإهمال والجاهلية وإن كان الأطفال غير مكلفين وانما أمر الإسلام بذلك على جهة التربية والتأديب لتجري العادة وينشأ عليها الصغير فيأنس ويعتاد ذلك، فالمبادرة قبل أن تسبقهم قساوة القلب وظلمة الإهمال.

عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر ﷺ قال: لما خلق اللّه العقل استنطقه؟

ثم قال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، ثم قال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحب إليّ منك ولا أكملتك إلّا فيمن أحب، أما إني إياك آمر وإياك أنهى وإياك أعاقب وإياك أثيب.

وحيث حقيقة الصلاة عبارة عن توجه النفس بكليتها بنور العقل بكينونته الملهمة السيرَ إلى اللّٰه عز وجل فتكون المرتبة الثانية للقلب بمثابة المسجد والبيت بكل أعضائه للصلاة والعبادة صامتاً وناطقاً، ولا بدّ أن يكون هذا المكان طاهراً من ألوان النجاسات فالحديث (جنّبوا مساجدكم النجاسات) مثلها كالإعجاب والحسد والكبر وحب الرئاسة.

وعن أبي عبد اللّٰه ﷺ قال: إن الثواب على قدر العقل.

وعن أبي جعفر ﷺ قال: أوحى اللّٰه إلى موسى: أنا أواخذ على قدر ما أعطيتهم من العقل.

عن عمار الساباطي عن أبي عبد اللّٰه ﷺ قال: سألته عن الغلام متى تجب عليه الصلاةُ؟ فقال ﷺ: إذا أتى عليه ثلاث عشرة سنة، فإن احتلم قبل ذلك فقد وجبت عليه الصلاة وجرى عليه القلم، والجارية مثل ذلك إن أتى عليها ثلاث عشرة سنة أو حاضت بل ذلك فقد وجبت عليها الصلاة وجرى عليها القلم.

في الحديث عن أبي عمر، أن النبي ﷺ قال: إن الرجل ليكون من أهل الجهاد ومن أهل الصلاة والصيام وممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وما يُجزى يوم القيامة إلّا على قدر عقله.

فعالم العقل هو موضوع عالم الإنسان المكلّف الجزء النوري الذي من أجله ترتب الأمر والنهي على النفس لأن العقل هو الصورة المتممة، فالجزء العقلي هو المتمم للنفس الروحانية لأن النفس أسيرة في الجسم، وفي عالم الشهادة كثرت الأحكام والفتاوى وتشعّبت الآراء فازدادت الفرقة في قوى النفس وخرج التقابل

والتماثل والتخالف فوحدة النفس يكون باتصالها في عالم العقل لأن العقل يجذب النفس الروحانية فإذا كمل شرف النفس بالعقل قامت الموازنة وظهرت الدرجة بسيطرة العقل الحاكم على الحواس بالأعمال الحسنة والضوابط الشرعية، وإذا لم يظهر العقل بعدله بطلت الإستقامة واختلت الموازنة فوقعت الكفّارات والإفتكاكات والقربات وكانت النفس موضع اختلاف الكثرات والفرقة والقلة والجمع فتنهمك القوى بمجاورة قيود شتات الجسم وهذا هو نفوذ أحكام الإختصام حتى تطهر النفس، لقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ (صٓ: ٦٩).

وقال الصادق ﷺ: لا تتم الصلاة إلّا لذي طُهرٍ سابغ وتمام بالغ غير نازع ولا زائغ عرف فأخبت فَثَبت.

قد يـأتي التمام للصورة الظاهـرة والبلوغ للصورة الباطنة أي الرشد أو الحلم، وأما الإعتبار الحقيقي فالتمـام هو الإقرار بالنبوة والبلوغ العمل بالرسالة وفي التأويل هو الإقرار بالإمامة لعلي وأولاده عليهم السلام لقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ (المـائدة: من الآية ٣).

ولكون البلوغ هو أنه تَبلّغَ النداء فعندما أجاب صاحب الدعوة تحققت بُلغتُه فتكون انعقدت في نفسه حياة نطفة الإجابة ومنية الإقرار ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ (المائدة: ٦٧).

وهذا ما عناه المولى الصادق ﷺ (عرَف فأخبت فثَبتَ) أي عرف الحق بالعين والبصيرة وأجاب الداعي إليه فانقاد واستسلم بالسمع فأخبت طائعاً فثبت على المعرفة مستيقناً وهي معرفة الفصل في الأعمال والصور والوصل بالطاعات والعبادات.

وفي حديث هشام عن موسى بن جعفر عليه السلام قال: يا هشام إن لله على الناس حجتين: حجة ظاهرة وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة وأما الباطنة فالعقل.

وقال النبي صلى الله عليه وآله: ما أدّى العبد فرائض اللّه حتى عقل عنه ولا بلغ جميع العابدين في فضل عبادتهم ما بلغ العاقل، والعقلاء هم أولو الألباب الذين قال اللّه تعالى فيهم: ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (آل عمران: من الآية ٧).

قال أمير المؤمنين عليه السلام: العقل شرع من داخل والشرع عقل من خارج) أي مبين للطريق المسير كالسراج المضيء لتنجو من العثرات والزلات وورد في حديث: العقل وسط الكل.

قال علي عليه السلام إن العقل لإقامة رسن العبودية لا لإدراك الربوبية.

فالمؤمن يأخذ علمه عن طريق الشرع من الآيات والسنن والسير من القرآن النفسي إلى الكتاب الأفاقي بلسان التجويد وهذا هو التطهير الوارد في الشرع بسير المتابعة للنبي والأئمة الطاهرين، وهذا لا يدركه إلّا من سلك طريقهم لقول أمير المؤمنين عليه السلام (قلوبهم في الجنة وأجسادهم في العمل) وقال(صحبوا الدنيا بأبدانٍ أرواحها مُعلّقة بالمحلّ الأعلى).

قال الكاظم عليه السلام: يا هشام إن اللّه عز وجل أكمل للناس الحجج بالعقول وأفضى إليهم بالبيان ودلهم على ربوبيته بالأدلاء.

وقال المولى الهادي عليه السلام: أول نعمة اللّه على الإنسان صحة عقله وتفضيله على كثير من خلقه بكمال العقل وتمييز البيان وذلك أن كل ذي حركة على بسيط الأرض هو قائم بنفسه بحواسه مستكمل في ذاته، ففضّل بني آدم بالنطق الذي ليس في غيره من الخلق المدرك بالحواس فمن أجل النطق ملّك اللّه ابن

آدم غيره من الخلق حتى صار آمراً ناهياً وغيره مسخراً له: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ ۗ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الحج: من الآية ٣٧) ثم قال ﷺ: كل ذلك دليل على أن اللّه تبارك وتعالى لم يكلف عباده إلّا ما ملّكهم استطاعته بقوة العمل به ونهاهم عن مثل ذلك فهذه صحة الخلقة.

وقال الشيخ الأصفهاني في كتاب النشأتين:

إعلم أن العقل لن يهتدي إلا بالشرع والشرع لن يتبين إلّا بالعقل..

﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٣).

* * *

النيـــة فـــي العبـــادات

نوى من مرادفاتها = بعُد، شطَّ، نأى، ويقابلها = قرُب جاوز دنا.

نوى من مرادفاتها = عزم إعتزم عمد قرّر، وضدها = تردد تقاعس توانى تكاسل.

النية شُعبها = القصد الغاية الإرادة الغرض المرمى المقصد.

النية هي ما انعقد عليه القلب لوقوعها على وجه الإخلاص ومدار ذلك في الفعل وقصد العمل لقول النبي ﷺ (نية المؤمن خير من عمله ونية الكافر شرٌّ من عمله، وكلُ عاملٍ يعمل على شاكلته) هذه النية لا تحصل بمجرد الإرادة بالقرنة بل لا بدّ لها من الميل والإقبال على العمل وقمع ما يضادّها من الصوارف والأشغال وهذا لا يتيسر إلّا بصرف القلب عن الإنشغال بالأمور الدنيوية وتطهير النفس من الصفات الذميمة الدنيئة وقطع النظر عن الحظوظ العاجلة وتوجيه القلب إلى المولى عز وجل والقصد إليه بالنيّة وذلك لا يتيسر إلّا لمن وفقه اللّه وانكشف قلبه بالعرفان واستقرّ باليقين لقول أمير المؤمنين ؑ (تخليص النية من الفساد أشدّ على العاملين من طول الجهاد). ولذلك يتكشف قول الرسول ﷺ (نية المؤمن خير من عمله) لأنّ النية هنا أشقُّ من العمل فتكون أفضل منه لقول الرسول ﷺ (أفضل الأعمال أحمزها).

ولذلك تأتي النية بأنها روح الصلاة المتصلة بالنور الكلي. وهذا هو السرُّ في كمون النخلة بالنواة.

قال الإمام الصادق ؑ صاحب النية الصادقة صاحب القلب السليم. وقال (لا بدّ للعبد من خالص النية في كل حركة وسكون). لأنه إذا لم يكن بهذا المعنى

يكون غافلاً وكان من الذين ذكرهم عز وجل: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ (الكهف: من الآية ٢٨) لأن سلامة القلب من الهواجس ومكافحة الأهواء تخلص النية للّٰه تعالى في الأمور كلها ويحضر القلب، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء: ٨٩) فالتوجه الفعلي إلى اللّٰه تعالى بالإخلاص له بواسطة القلب السليم.

فالنية هي العزم والإرادة والقصد ولا تكون صلابتها إلّا في الأمور الإختيارية ولا يمكن أن يتخلّف فعل إرادي عنها وبها يتمّ العمل فهي من أهمّ وظائف القلب السرية في غرفة الظلمة وتُنقي القلب بالقصد من شوائب الأنانية والإشراك فيتخلص من الشرك الخفي والنفاق في العبادات لقول الإمام ﷺ: القلب السليم الذي يلقى ربه وليس فيه أحدٌ سواه.

فالنية إنبعاث النفس وانعطافها وتوجهها وميلها إلى فعل ما فيه غرضها وقصدها أو ما يعنيها إمّا عاجلاً وإما آجلاً، وهذا الإنبعاث والميل لم يكن حاصلاً بمجرد الإرادة المتخيلة والنطق باللفظ وما إلى ذلك، بل لا بدّ من حصول الإقبال والميل بتحصيل الأسباب الموجبة لذلك الميل والإنبعاث واجتناب الأمور المنافية والمضادة له، لأن غرض النفس السامي لا يحصل إلّا بالإعتقاد وما يغلب على الهوى الشيطاني ومكائد الشهوة.

لقول علي الهادي ﷺ: السبب المهيج فهو النية التي هي داعية الإنسان إلى جميع الأفعال وحاستها القلب فمن فعل فعلاً وكان بدينٍ لم يعقد قلبه على ذلك لم يقبل اللّٰه منه عملاً إلّا بصدق النية ولذلك أخبر عن المنافقين ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ (آل عمران: من الآية ١٦٧) ثم قال: إن القلب مالك لجميع الحواس يصحح أفعالها ولا يبطل ما يصحح القلب شيء.

قال الجواد ﷺ: القصد إلى اللّٰه بالقلب أبلغ من أتعاب الجوارح.

فعمل القلب لا يكون إلّا بالقصد والإرادة بالمعرفة التي توجب الترقي والوصول إلى السعادة الأبدية، فتقدم المعرفة ثم العمل فالإيمان عمل كله، فالعلم بالأحكام والمعارف صورة علمية وروحه متولدة من العمل عن معرفة وهذا هو مقام الوصل الذي يزهر فيه مصباح القلب، وإلى هذا أشار الصادق ﷺ، قال المفضل قال لنا المولى ذات يوم: تجد الرجل لا يخطئ بلام ولا بواو خطيباً مصقعاً، وقلبه أشدُّ ظلمة من الليل المظلم، وتجد الرجل لا يستطيع تعبيراً عمّا في قلبه بلسانه وقلبه يُزهر كما يزهر المصباح).

وهذا الرجل من العلماء إلّا أنه لا نية له لأن نيته خلفها لسانه فيكون عن ذلك قلبه أشد ظلمة من الليل الحالك لأنه ترك أصل العمل فيلزمه الرياء والعجب ويكون متظاهراً بالعبادات.

ورد في الخبر: أن النية المجردة لا عقاب فيها، فكيف تكون شراً من العمل؟ وقد أجاب عن هذا الإشكال السيد المرتضى:

إن نية المؤمن بغير عمل خير من عمله بغير نية، وأفعل التفضيل تقتضي المشاركة والعمل بغير نية لا خير فيه فكيف يكون داخلاً في باب التفضيل ولهذا لا يقال العسل أحلى من الخل. ثم قال المرتضى ليست النية مجرد قولك عند الصلاة والصوم والحج أصلي أو أصوم قربةً للّه تعالى وانما النية المعتبرة إنبعاث النفس وميلها وتوجهها إلى ما فيه غرضها ومطلبها وهذا الإنبعاث إذا لم يكن حاصلاً لها لا يمكنها إختراعه واكتسابه بمجرد النطق بتلك الألفاظ وتصور تلك المعاني، وذلك الميل والانبعاث لا يحصل إلّا بتخلي النفس عن الأوصاف الذميمة والتوجه إلى الجادة المستقيمة فالنية الخالصة خير من العمل وأشق منه على ما هو موجود في الوجدان.

كما ورد: إن أفضل العبادة أحمزها ولا ريب أن العمل أحمز من النية فيكون مفضولاً.

سُئل الجنيد: ما فريضة الصلاة؟ قال: قطع العلائق وجمع الهم والحضور بين يدي اللَّه تعالى.

ثم قال: لا يكون همُّك في صلاتك إقامتها دون الفرح والسرور بالإتصال بمن لا وسيلة إليه إلّا هو.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول اللَّه ﷺ لا قول إلّا بعمل ولا قول وعمل إلّا بنية ولا قول وعمل ونية إلّا بإصابة السُنّة.

قال رسول اللَّه ﷺ: لا حسب إلّا بتواضع ولا كرم إلا بالتقوى ولا عمل إلّا بنية.

وعن أبي ذر عن رسول اللَّه ﷺ في وصية له قال: يا أبا ذر ليكن لك في كل شيء نية حتى في النوم والأكل.

وقال النبي ﷺ إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى، فمن غزا ابتغاء ما عند اللَّه فقد وقع أجره على اللَّه عز وجل، ومن غزا يريد عرض الدنيا أو نوى عقالاً لم يكن له إلّا ما نوى.

فالعمل الحسن أو القبيح هو متفرع وصادر عن النية في ذلك، لقول زين العابدين في دعائه (اللّهم وفّرْ بلطفك نيّتي وصحّحْ بما عندك يقيني واستصلحْ بقدرتك ما فسد منّي) فالتوفير هو الإكمال والإتمام الثقيل الذي يرجّح القصد ويغلب النية على الشك والحيرة لأن عون اللَّه للعبد بقدر نية العبد، فمن تمّت نيته وفّرها اللَّه بقدرها لقوله تعالى: ﴿إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا﴾ (النساء: من الآية ٣٥) ويأتي التوفير بمعنى الصيانة والوقاية من النقص والعيب، ولطف اللَّه هي الأسباب المعّدة لإفاضة الكمال وتتصرف بالخفاء لتصحح اليقين بالثبات والإستقرار باللطف والرحمة والعناية.

في الحديث القدسي (من عمل لي عملاً أشرك فيه غيري تركته لشريكي).

أُريد بتصفية العمل أن يكون لوجه اللّه وتصفية السرّ عن رؤية غير الحق في جميع الأعمال فهو الإخلاص بالنية وترك الغير مطلقاً ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ (الزمر: من الآية ٣).

قال رسول اللّه ﷺ نية المؤمن خير من عمله ونية الكافر شر من عمله وكل عامل يعمل على نيّته.

عن أبي عبد اللّه ﵇: النية أفضل من العمل، ألا وإن النية هي العمل، ثم تلا قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ (الأسراء: ٨٤).

عن أبي جعفر ﵇ قال: إن اللّه تعالى قال لآدم يا آدم جعلت لك أن من همّ من ذريتك بسيئةٍ لم تُكتب عليه، فإن عملها كُتبت عليه سيئة، ومن همّ بحسنة فإن لم يعملها كُتبت له حسنة وان هو عملها كُتبت له عشراً.

إذاً النية ليست عبارة عن الألفاظ المعربة ولا بالتمتمات المصوتة ولا عن المعاني البديعة الدالة عليها بحسن اللفظ وفصاحة التعبير وسعة المنطق وإنما هي عبارة عن الداعي الخفي والحامل على ذلك الفعل والدواعي في العبادات خصوصاً الصلاة المتكثرة في وحدة العمل والفعل الجمعي، أولها نفي الرياء بإخلاص السرية وقصد الثواب لوجهه الكريم والخلاص من العذاب والشكر للّه والحياء منه وحباً له والتعظيم له هيبةً وانقياداً وإجابة وطاعة لأمره وأهمها كونه أهلاً للعبادة، لاشك أن الرياء وحبّ السمعة والشهرة مبطل لأجر الصلاة ومزلزل للنية، وأما إذا كانت الرغبات والدواعي صحيحة من بواعث صريحة في مقام جلب الطاعات وإرادة في الثواب والخلاص من العقاب لا ينفيان الغاية من الفعل، واستحضار أسماء الأشياء قولاً باللسان لا يغني ولا يسمن من جوع قال أمير المؤمنين﵇: أدنى ما يكون العبد به مشركاً أن يتدين بشيء مما نهى اللّه عنه)إنما القصد من الأحوال الذاتية للإنسان حال الإقبال على العبادة.

فما ورد أن بعض الصلوات لجلب الرزق وبعضها لقضاء الدين والشفاء وبعضها للأولاد وغير ذلك من الغايات الدنيوية يجوز فعلها بقصد هذه الغايات الغير منافية للإخلاص والقربة.

فالأساس في كل عمل النية، وتختلف هذه النية من عملٍ لآخر على ضوء موضوعه، فاستحضارها الخلوص لوجهه تعالى كما أنّ التلفظ بالنية لا يضر بها ولا يكون بدعة فالتلفظ بالنية باللسان يكون تنبيهاً للقلب كما أنّ النطق باللسان ليس بنية وإنما هو مساعد على تنبيه اللبّ ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٢٥) وخالصة من كل شائبة تعرقل السير والسلوك إلى اللّٰه، فإن النية الغير صافية تكون قاطعة للطريق وبعبارة تهدم البناء الذي بناه المؤمن، ولأن النية شرعت لنيل القصد ولتثبت المطلب لإنطواها على أسرار وحقائق لا يصل إليها إلّا من عرف السر وتجلبب بالستر، ولذلك ورد عن الرضا ﷺ: لا قول إلّا بعمل ولا عمل إلّا بنية ولا نية إلّا بإصابة السنة وحسن الخلق سجية ونية وصاحب النية أفضل وما ضعفت نية عن نية ونية المؤمن خير من عمله، فسألته عن معنى ذلك؟ فقال: العمل يداخله الرياء والنية لا يداخلها الرياء.

وسئل الرضا ﷺعن تفسير: نية المؤمن خير من عمله؟ قال: ربما انتهت بالإنسان حالة من مرض أو خوفٍ يفارقه العمل ومعه نيته، ففي ذلك الوقت نية المؤمن خير من عمله، وفي وجه آخر لا تفارق عقله ونفسه والأعمال قد تفارقه قبل مفارقة العقل والنفس.

إن خلوص النية وشؤونها تابعة لدرجات معارفهم للحق،فوزن مكاسب الأعمال من الطاعة يكون على مقدار المعرفة، وهذا هو بذر العبودية، فالمعرفة هي الموجبة للطاعة والناشئة للعبودية، فعبوديتهم للّٰه تعالى ترتقي نتيجة تحصيل المعرفة والطاعة المترتبة عليها، فمبادئ الأفعال الإختيارية الإنسانية التي هي من

باب الحركات والسلوك إلى ما يجده المصلي مؤثراً عنده ومطلوباً لديه إنما هو الشعور والدرك الذي هو المقصود من الطلب، لأن القصد ينتهي بنية العلم بالشيء، فكان أول الفكر آخر العمل ومبدأ البغية والطلب يطوي منتهى الوصول فحينئذٍ تناسب البداية النهاية وتتمّ الدائرة بالتقاء نقطتي النية والعمل المتصلة بمقدار حضور النية الذي يتحد مع الغاية التي هي عين شعوره الإبتدائي للمقصد، ولذلك إن كان الشعور بدائرة الحس ينتهي حدُّه عند ظاهر الحركات فيكون غير محصّل المطلوب فيكون هذا الشخص سيره وحركته يدور مدار السفلانيات لأن مبدأ شعوره لم يتجاوز محسوسات شهوته وهذه عبودية ناقصة.

وإذا كان الإدراك والشعور عقلياً فالمطلوب سريان قوته بالمعقولات ومتدرجاً من طبيعة سراية الحس إلى معارج عالم العقل، ففي هذه العبودية ترك الإلتفات إلى الأغيار والقصد إلى الواحد القهار ولذلك ورد (لا يعرف الحق إلّا بالحق) وإذا عرف الإنسان هذه القصود يتبين معنى الحديث (إنّ بين اللّه وبين خلقه سبعين حجاباً من نور، وسبعين حجاباً من ظلمة) فالذي لم تتجرد نفسه من الأغشية واللبوس والقشور لم يؤدِ الأمانات المأخوذة عليه في عالم سواعية البرزخية ومن لم يخلع عنه صورة النقص والكدر لم يتدثر بثوب التكامل، كما ورد عن أكابر العارفين أبو بكر الشبلي (حدثني قلبي عن ربي).

قال الكاظمﷺ يا هشام: إن ضوء الجسد في عينه، فإن كان البصر مضيئاً إستضاء الجسد كله، وإن ضوء الروح العقل، فإذا كان العبد عاقلاً كان عالماً بربه وإذا كان عالماً بربه أبصر دينه، وإن كان جاهلاً بربه لم يقم له دين، وكما لا يقوم الجسد إلّا بالنفس الحية فكذلك لا يقوم الدين إلّا بالنية الصادقة، ولا تثبت النية الصادقة إلّا بالعقل.

عن حسين الصيقل قال: سمعت أبا عبد اللّهﷺ يقول: لا يقبل اللّه عملاً إلّا بمعرفةٍ ولا معرفة إلّا بعمل، فمن عرَفَ دلّته المعرفةُ على العمل ومن لم يعملْ

فلا معرفةَ له، ألاَ إنّ الإيمانَ بعضُهُ من بعضٍ).

إنّ تقدم المعرفة على العمل تقدم بالذات والطبع لأن المعرفة كالروح وهي الأصل والعمل كالجسد وهو الفرع والآلة فقوام العمل بالعلم كقوام الروح بالبدن، (لا يقبل اللّه عملاً إلّا بمعرفة) لأن قوام العمل (يعني العبادة كالصلاة والصوم) فبمعرفة اللّه ونيّة التقرّب إليه وقصد الطاعة والخضوع له للوصول إلى جنابه والحصول على رضوانه، فكيف يشتاق ويقصد التقرب إليه وهو لا يعرفه، فظهر أن المعرفة والنية روح العمل، لأن العمل بعبادةٍ ممّا يصفّي النفس ويطهر القلب من الأغيار فيستعدّ لقبول فيضان الصور عليه، قال رسول اللّه ﷺ: (من عمل بما علم ورّثه اللّه علم ما لم يعلم). قال المسيح ﵇: يا بني إسرائيل لا تقولوا العلم في السماء، من ينزل به إلى الأرض، ولا في تخوم الأرض من يصعد به؟ ولا من وراء البحار مَنْ يعبر فيأتي به؟ العلم محصول في قلوبكم، تأدبوا بين يديّ بأدب الروحانيين وتخلّقوا بأخلاق الصدّيقين، أظهروا العلم من قلوبكم حتى يغطيّكم.

فالنية السليمة والمرتدفة بالعمل الصادق سبباً لسعادة الإنسان وكمال القرب من الحق، أما الفعل الفاقد للنية الصادقة فلا يوصل إلى القربة لقول الرسول ﷺ (نية المؤمن خير من عمله ونية الكافر شر من عمله وكل عامل يعمل على نيته) لأنها تبرز هويته وتثبت شخصيته إذاً فالنية والإعتقاد لهما أثر من تكوينه الذي يصدر منه الفعل، فالمستقر والمستودع يحدد مراحل كيان العامل لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ (الأنعام: ٩٨) دلالة الإعتقاد المستودع إنه يزول عند الإبتلاء ويسقط صاحبه عند أول ابتلاء تعرّض له صاحبه، فالإيمان المستقر هو الإعتقاد الثابت والمداوم على العمل الصالح ليثبت بناء العقيدة على قواعد ثابتة، ولهذا نغدو تكرارات العبادات في كل يوم وليلة لترسّخ المفهوم بالمعلوم فيحصل العمل الصالح وتثبت العقيدة بلا اهتزاز ووهنٍ، ومن بعدُ ترتفع به صلاته من لغة

المحسوس إلى كينونة المعقول وبها يتحقق الصفاء النفسي ويتطابق الظاهر والباطن، فمن تطابق عمله مع اعتقاده فهو بنحو المستقر وأما المخالفة فبنحو المستودع، وهذا بيّنٌ في الصلاة اليومية فمن كانت صلاته تنهاه عن الفحشاء والمنكر فهذا دليل على القبول والإستقرار وتناله الزيادة في الرحمة وإن مالت أفعاله إلى رغباته وتحقيق نزعاته ولم تنهه عن المنكر والفحشاء فهو دليل على أنها مستودعة ومعرفته مسترجعة ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (التوبة: ٧٧).

عن النبي ﷺ: العلماء رجلان: رجل عالم أخذ بعلمه فهذا ناجٍ، وعالم تارك لعلمه فهذا هالك، وإن أهل النار ليتأذون من ريح العالم التارك لعلمه، وإن أشدّ أهل النار ندامة وحسرة رجل دعا عبداً إلى اللّه فاستجاب له وقبل منه فأطاع اللّه فأدخله الجنة وأُدخل الداعي النار لتركه علمه واتباعه الهوى وطول الأمل، أما اتباع الهوى فيصدّ عن الحق وطول الأمل ينسي الآخرة.

قال جعفر الصادق عليه السلام: إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلّت موعظته عن القلوب كما يزلّ المطر عن الصفا.

قال المفضل سألت مولاي جعفر عليه السلام: بمَ يعرف الناجي؟ قال: من كان فعله لقوله موافقاً فأثبتْ له الشهادة ومن لم يكن فعله لقوله موافقاً فإنما ذلك مستودع.

الوقت والموقوت والميقات والمواقيت

هذه الكلمات مدلولها من القرآن الكريم، وزيادة الميم فيها تدل على المبالغة السرية لأنها حرف جمع مع لطافة حرف العلة وهو أصلي في الكلمة (الواو) فزيادة المباني تدل على زيادة المعاني، وثبوت القاف والتاء المعجمتين بالنقطتين مع تغير حرف العلة للتناسب المعنوي والمادي لعلة مخرج النطق فتكمل الصورتان اللفظية والكتابية العيانية والمادية، فانطواء الحرف الألف أو الواو أو الياء بغيره لأنها أحرف الذات في ميقات، ومثال الإنطواء في بسم كيف انطوى أي احتجب الألف في الباء التي هي حرف العقل المشار إلى الألف بالذات الأحدية لأن الحق من حيث هو الأول والآخر والمحيط من أزل الآزال، ولهذا في السين تُطوّل مدّة الباء عوضاً عن الألف.

والباء هي أول التجليات العيانية والمرتبة الثانية بالكشوف، ولهذا يعرف الحرف عند العارفين بالحقيقة البسيطة لظهور الصورة عياناً وسماع النطق واحتجاب الجوهر من فرط نوره كما ورد في الدعاء (استتر بشعاع نوره عن نواظر خلقه) فإسمه تعالى (الظاهر) ذات له الظهور فبنوره الفعلي أشرقت السماوات والأرض وبهذا يتبين أنّ الحروف ثابتة والكلمات حركة لا نفاد لها ولا تناهي.

فالحرف عبارة عن التعين في العلم، ولهذا سُميت الموجودات الأولى في علم اللّه عز وجل (بالحروف العاليات) لأن الحرف أصل الكلمة والصور كلمات اللّه تعالى، فكل موجود كلمة باعتبار ظهوره وحرف باعتبار بطونه، فالعلم من المعلوم صورته ولهذا ليست الموجودات وصورها وصفاتها زائدة على ذات العالم بالعلم تعالى اللّه عن ذلك، ولهذا يقال ليس للحق محل سوى علمه سبحانه: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ (الحجر: ٢١).

الوقت من مرادفاته = الزمن والأمد والزمان والأبد والحين والأوان.

الوقت الموهوم: هو اللاتعيين في الزمن بل هو حالة بسيطة.

الوقت المعلوم : هو نسبة الحادث المتعين في سحائب الزمن تقول (وقت الظهر) في غير المتعين وهو الزمان، وليس هذا تعريفاً بالأخص بل إجراء أحكام عليها والمحمول يكون أهم كالقول (وقت الصلاة) فالوقت يعني وقت الوجوب وهو وقت لزوم الفرض، والمقصود من المتغيرات (الأوقات الخمس) من حيث الإنتساب إلى الثابت في شمس الدهور فإن حدود الوقت من حيث دور وجودها هو وقت هو ظهور لذي الوقت الذي حان فيه قيام العمل (أي الصلاة الجامعة).

ولهذا فالزمان هو مدة تعدها الحركة بلا حدٍّ ولا نهاية، والوقت نهاية الزمان المفروض للعمل، لأنّ الوقت هو الفترة المحددة من الزمان استغرقها الكائن أو الفاعل أو العامل لإنجاز شيءٍ ما فتحقق من خلالها الفعل أو العمل.

العصر من أسماء الدهر (والعصرِ) هو الزمان الطويل المؤثر الذي هو مبدأ خلق العالم إلى حيث لا حدّ ولا نهاية للمحدثات، في الحديث: (لا تسبوا الدهر فإنّ الدهر هو اللّه) وإذا قلت وقت العصر أي الزمان المحدّد الذي تميّز العصر بوقته عن غيره بالتعيين والصفة وهو تمييز الوجود الحق عن اللباس والحجب.

قال أمير المؤمنين ﵇: صلِّ الصلاةَ لوقتها المؤقتِ لها، ولا تُعجِّلْ وقتها لفراغٍ، ولا تؤخّرْها عن وقتها لاشتغالٍ، واعلم أن كل شيءٍ من عملك تَبَعٌ لصلاتك.

عن النبي ﷺ: إن الصلاة أول الوقت رضوان وآخر الوقت عفو اللّه وأين الرضوان من العفو والعفو لا يكون إلّا عن ذنب.

﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ﴾ (الحجر: ٣٨).

فالوقت المعلوم داخل في حدود الزمان أي معدوداً ومتعيناً، فالوقتُ من

حيث هو واحد متصل فإنّه من هذه الحيثية ليس معدوداً بل مبدأ العدد وأصله والذي يتعلق به ويتحدّد هو الوقت المتقسم (السنين والشهور والأسابيع والأيام والليالي والساعات) ولذلك ارتبط وقت الصلاة بحركة الفلك من طلوع وأفول وإشراق وغروب، فالوقت لا ينتهي إلى ظرف لا وقت قبله لأنّ الزمان غير متناهي المقدار، فالحركة التي يتقدر بها حركة متصلة لا مقطع لها لأنها دائرية، شعاع ينحني في سماء الأبدية وهي من وجه الإرادة الكلية، فالتحديد لوقت الظهر مثلاً يقابله الجسم الفلكي المتجدد الظهور المتبدل الهوية العيانية في كل آنٍ دائم إلى ما شاء اللّه، ولذلك قال الحكماء (لا نهاية للمكان) أما المتمكن فهو المتناهي، ولهذا فالزمان غير متناهي في المكان لأنه منفعل عن حركته فالفرع يدل على الأصل، ولهذا فوقت الصلوات تحدّده تعددية عقد الزمان (ظهر مغرب فجر) المنفصلة حسابياً من حركة جرم المتمكن الفائض، فالأوقات محتجبة بطول الزمان وعرضه مع سرانية الوقت وسافرة عن حركة المكان المحتوية الفرض والنافلة وجه الأعداد، كما الوضوء والطهارة متصلة حسيّاً بمقدمات الصلاة.

﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَـٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ (الأعراف: من الآية ١٨٧).

﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ (المرسلات: ١١) جاءت الأنبياء والمرسلون بكتبهم المطوية بيمينهم وأتت الملائكة بصفاتها الأركانية المتعينة بها كالعلم والإرادة والحياة والموت لأنّ تغير النشآت مؤقتةٌ بها عند الكشف ورفع الغطاء لإحداث أمرٍ جديد وإنْ كانت تسيّرها من خلف ألف حجاب وألف مصراع منفتق.

قال النبي ﷺ: لي مع ربي وقتٌ لا يحتمله أحدٌ.

وقال النبي ﷺ: **لي مع اللّه وقت لا يسعني فيه ملك مقرّب ولا نبي مرسل.**

أي أن هذا الوقت للصلاة وهو حضور القلب والعيان لا واسطة ولا وحي ولا ملَك ولا حجاب ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ (النجم: ٩) والنبي يستولي على

الكونين لأنّ قلبه عرش الرحمن وهي المرتبة الصرفة التي هي عبارة عن رفع الإثنينية والأغيار والفاصلة لأنه ظاهر نوره، كما أن العارف بالسير في مراتب الأسماء تحصل له الطهارة والنظافة والتجرد من غاشي الملابس المادية وخساسة الحس البدني والعُلق الصلصالية وحمأة المسنونات.

في الحديث: أن علياً عليه السلام إذا حضر وقت الصلاة يتململ ويتزلزل ويتلون من هيبة حضور الوقت، فيقال له: ما لك يا أمير المؤمنين؟ فيقول: جاء وقت الصلاة وقت أمانة عرضها اللّه على السماوات والأرض فأبين أن يحملنها وأشفقن منها.

روي أن امرأة المأمون بعثت إلى الإمام الجواد عليه السلام فقالت: إني أحب أن أراك جالساً مع ابنتي، ثم طلبت أن يُهيئوا لها، فأتت من الغد، قال الراوي فدخل الجواد عليه السلام فلما رأته زوجته أمُّ الفضل خرّت مغشياً عليها وأتاها الحيض ذلك الوقت فرجع الجواد عليه السلام وهو يقول: ﴿وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ (يوسف: من الآية ٣١) فلما أفاقت قالت يا أماه لِمَ زوجتِني هذا الرجل؟ قالت وكيف ذلك؟ قالت لها إنه يتصور لي كل يوم بصورٍ متعددة والآن لما دخل علينا رأيتُ من وجهه أنواراً علت البيت وما فيه فما قدرتُ على النظر إليه حتى غشي عليَّ.

وفي الأخبار الصحيحة: كان النبي صلى الله عليه وآله إذا أتاه جبريل وضع ثوباً على رأسه لئلاّ ينظر الناس إليه ذلك الوقت لأنهم لا يستطيعون النظر إليه من شدة أنواره ومن هذا كان النبي صلى الله عليه وآله يقول: لي مع ربي وقت لا يحتمله أحدٌ.

عن إسحاق بن عمار عن أبي النعمان عن الباقر عليه السلام قال: يا أبا النعمان لا يغرّنّك الناس من نفسك، فإن الأمر يصل إليك دونهم، ولا تقطع نهارك بكذا وكذا فإن معك من يحفظ عليك عملك، وأحسنْ فإني لم أرَ شيئاً أحسن دَرَكاً

ولا أسرع طلباً من حسنة محدَثَةٍ لذنب قديم.

قال الصادق عليه السلام: اصبروا على الدنيا فإنما هي ساعة فما مضى منه فلا تجد له ألماً ولا سروراً، وما لم يجئ فلا تدري ما هو؟ وإنما هي ساعتك التي أنت فيها فاصبِرْ فيها على طاعة اللّه واصبِرْ فيها عن معصية اللّه.

* * *

مبحث في الأوقات

الزمان والوقت:

الزمان هو عدد حركة الفلك، وعند ابن سينا هو مقدار الحركة من جهة المتقدم والمتأخر.

وعند نيوتن: الجسم المتحرك يسير خلال الفضاء في الزمن.

تحقق الذات في الزمان: هو الوقت (وعي الزمان) وكل ما قدرت غايته فهو مؤقت.

ففي المفردات للأصفهاني: الوقت: نهاية الزمان المفروض للعمل ولهذا لا يكاد يقال إلا مقدراً.

وقد يقال للمكان الموعود.

قال تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ (الأعراف: من الآية ١٤٢).

قال تعالى: ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ (الواقعة: ٥٠) ويطلق على الوقت هنا بمعنى المكان لأنه مقدار مثله، التساوي المشترك بينهما هو المقدار أي المماثلة بالكم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ (النساء: من الآية ١٠٣) أي مؤقتا مقدرا وهو دخول الكليات بصورتها اليقينية عملياً متشخصةً في قيود سلسلة الزمان ودائرة الساعة بلا تغيير في جوهرها، فلا بدّ من صورة عيانية تثبت وقت الصلاة لتصحّ بالعقول، فالتوقيت والتأقيت أن يجعل للشيء

وقتاً يختص به وتتجدد عوداته وفي ذلك بيان مقدار المدة، فكلمة (موقوتاً) أي مقدراً مؤقتاً، ولذلك صارت أوقات الصلاة المكتوبة فرضاً وواجباً معرفتها واقامتها المفروضة في الأوقات ولهذا تقول: وجب وقت الصلاة أي دخل الوقت.

وقد ورد: الدهر مدة الأشياء الساكنة والزمن مدة الأشياء المتحركة.

ويقال: الزمن مدة الأشياء المحسوسة والدهر مدة الأشياء المعقولة.

كلُّ شيءٍ قدّرت له حيناً فهو مؤقت وكذلك ما قدرت غايته فهو مؤقت ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَـٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ (الأنعام: من الآية ٣٠) فلفظة وقفوا على ربهم أي لا يكون معهم حجاب ولا حجة بل كشف لهم عن الحقيقة فرأوه بحجابه الذاتي وصفته الذاتية فقالوا هذا هو الحق، ولذلك تأتي وقت أخو وقف وحبس ووقع لأنّ فيه التعيين للزمان والتحديد لمدة الوقت لغايةٍ، فهو لا يدل على مدة مهملة وانما على مدة محددة سابقاً بفرضها الوعي والعقل، ولما كان التوقيت تقديرياً وهو في حقيقته للحوادث وليس للزمان فانه من الممكن تقديمه وتأخيره ومن هنا بزغت كلمة قدَم التي هي وسيلة للقدوم، فإذا لحظت ذلك ترى سرانية القِدَم والحدث تكشف حقيقة التجلي بإماطة الزمان والمكان.

قال الإمام ﷺ (تعالى اللّه الذي ليس له وقتٌ معدود ولا أجل ممدود ولا نعت محدود) فالوقت حِصّةٌ من الزمان واللّه عز وجل ليس له وقت فيُعدّ، والزمان معدود المتقدم والمتأخر من الحركة، ولذلك فكل ما دخل في الزمان فهو مؤقت أي معدود لأن الوقت ظرفٌ يحتوي المحدثات لأنّ الزمان هو الذي ينضجها، فالزمان يعدّ الزمانيات ويُسلكها في العدّ وما كان له أجل ومدّة فيكون ممتداً، ولهذا أقرّ الجاحدون للتجلي للزمان المطلق ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (الجاثية: ٢٤).

مسألة: الوقت هو أن تتنبه فيه من حالك من جهل أو معرفة ومن السيئة أو الحسنة، فإذا استوت معرفتُك ووقفت موقف المربوب في محلّ التوقف للتعرف ووُفقتَ بالقصد لأداء حق الإقرار بالعبودية لزمك أداء حقوق الألوهية ودخلت في الأحوال وولجت المقامات من وقت الطلوع إلى الزوال وحقوق العبودية تستولي بنورها الغالب في تلك الأوقات فتصلي الظهر ثم تميل ألوانية شمس العيان صفةً أو تضاعف ظلك فتصلي العصر فإذا غربت هيولاها وعشت الأبصار صلّى وقت المغرب فتبزغ نجوم الليل تبحث عن متعلقاتها فتصلي العشاء فيعتم الليل ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾ (الفجر: ٤) حتى يتنفس الطالع من غمده فينطفئ المصباح فيؤذن بالأوقات من أبناء الأكوان وفراشه الوثير.

قال أمير المؤمنين ﷺ: صلِّ الصلاة لوقتها المؤقّتِ لها، ولا تُعجِّلْ وقتها لفراغ، ولا تؤخّرْها عن وقتها لاشتغالٍ، واعلمْ أن كل شيءٍ تَبَعٌ لصلاتك.

وهو أن تقف أيها العبد في حق العبودية في محل التوقف للتعرّف على شوارق المظهر لتقصد بحلول الوقت باب العبادة عبودية مقصدك بمناك بعد أن تمحق من نظرك ووهمك الحسي التخاطيط والرسوم والصور الفانية في الزمان عند استيلاء بوارق سيف نور الألوهية بمحو الأظلال المنكسرة المنحنية في دخولها النور الغالب عند ذلك الوقت.

والميقات هو أن تتعرف على أصحاب المقامات مع تنزيه وصل المتشابهات ووقوع المماثلة وتحقق الحضور في الزمان والشهود في المكان المقصود حيث تكون صيحة مؤذن الحق من مكان بعيد ليس بمعنى المسافة الفاصلة بل الوصل الإيماني.

فالصلاة في أوقاتها أو ميقاتها:

فالوقت في الزمان، لأن الوقت تحديد وتعيين والزمان غير محصور أي إطلاق لأنه نور وضياء سيّال سرمدي، فلا تقول زمان الصلاة بل تقول وقت

الصلاة أي وقوع الفرض بالتحديد وثبوت الواجب بالتقييد، ولما كان التوقيت تقديرياً وهو موقع الحوادث وليس الزمان، ولهذا يمكن تقديم الوقت وتأخيره وهذا من القدّ بمعنى القطع، فالتقديم يدل على الأهمية والسبق في الطاعة ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ (الواقعة: ١١) ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾ (الحجر: ٢٤).

ولذلك فلا إشكالٌ في كون الوقت شرطاً عقلياً في تحقق صدور وقت الصلاة وصحتها في توقيتها المخصوص بها.

الزمان هو مقدار شعاعي ممتد من حركة دوران الفلك وبالقياس لا حد له، وهو الحركة الدائبة المركزية بلا تناهي.

وبالتحديد الزماني في الساعة والمكان يتحدق وقت الظهر- وقت العصر- وقت المغرب- وقت العشاء – وقت الفجر- وهذا الوصف هو التعيين والغاية وإذا سمع النداء ورأى حينونة الوقت اقترب إلى التعيّن ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ (الروم: ١٧) فكل ما كان في الزمان فيشمله الحينُ ويحدُّه الأين ويضمّه المتى، فالحين لزمان الوصف.

الوقت: قال تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (الاسراء: ٧٨).

دلوك الشمس: أي وقت الزوال أو (الظهر ومن بعده وقت العصر) وهو إزالة الشمس عن نقطة الإستواء أو التوسط في السماء للإيذان بأمرٍ وجودي، ويحدث عن ذلك تغير الظل في المكان الترابي، ويعتبر الزوال بأن الظل ما دام في الإنتقاص فهو في النصف الأول من النهار فإذا أخذ الظل في الإزدياد فهو في النصف الآخر وقد زالت الشمس وإذا عرف الزوال وأن الشمس على كم قدم نزول، يعرف أول الوقت، وبهذا تغير ظلُّ العبد عند الفرق بعد الجمع، فيرتفع الأذان فتدخل النوافل، وتقام للصلاة الواجبة وكما ورد: دلكت الشمس ودُلوكها

اصفرارها حين تزول عن كبد السماء وهو ميلُها.

قال رسول اللّٰه ﷺ: أتاني جبريلُ لِدُلوكِ الشمس حين زالتْ وصلّى بيَ الظهرَ.

أولُ أوقات الصلاة: تسمى الظهر والزوال والأولى، وبالإسناد إلى الإمام الصادق ؑقال: إنّا نأمر الصبيان أن يجمعوا بين الصلاتين: الأولى والعصر، وبين المغرب والعشاء الآخرة ما داموا على وضوء قبل أن يشتغلوا.

غسق الليل: ظلمة أول الليل وهو دخول وقت المغرب ومن بعده وقت العشاء، ويطلق على المغرب والعشاء وقت العشائين صلاة العشاء الأولى وصلاة العشاء الآخرة وتسمى بصلاة العتمة.

عن يزيد بن خليفة قال: قلت لأبي عبد اللّٰه ؑ: إن عمر بن حنظلة أتانا عنك بوقتٍ، فقال أبو عبد اللّٰه ؑ: إذاً لا يَكذِب علينا، قلت: ذكر أنك قلتَ: إن أول صلاةٍ افترضها اللّٰه على نبيّه الظهرُ وهو قول اللّٰه عز وجل: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ (الاسراء: من الآية ٧٨) فإذا زالت الشمس لم يَمنعك إلّا سُبْحتُكَ ثم لا تزال في وقت إلى أن يصير الظل قامةً وهو آخِرُ الوقت فإذا صار الظل قامةً دخل وقتُ العصر فلم يزلْ وقتُ العصر حتى يصير الظل قامتين وذلك المساء، فقال: صدق.

الفجر: وقت الصبح إيذاناً بحضور القلب بعد غسق الحجب ليبصر تجليات الأنوار ويرى انفجار الصفات.

ويرتفع الأذان معلناً عن دخول الوقت الموقوت لإقامة الصلاة، وحلول الوقت هنا يرى بالعين لأنه متعلق بحركة طلوع ونزول وأفول وغروب ومسير الشمس وصفتها ووضع الأرض الشاخصة بالتقابل والمنفعلة عن الأثر وعندئذٍ يرتفع الأذان بتكبيره وهو يطرق سمع الأُذن التي جمعها آذان ومن ثَمَّ تبصر العيون.

في الهداية الكبرى: قال الحسن العسكري عليه السلام أما صلوات الخمس فهي عند أهل البيت كما فرض الله سبحانه وتعالى على رسوله إحدى وخمسين ركعة في ستة أوقات أُبيّنها من كتاب الله تقدست أسماؤه وهو قوله في وقت الظهر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ (الجمعة: ٩) فأجمع المسلمون أن السعي صلاة الظهر وأبان وأوضح في حقها في كتاب الله كثيراً.

وصلاة العصر بيّنها في قوله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ (هود: ١١٤) الطرف صلاة العصر ومختلفون بإتيان هذه الآية وتبيانها في حق صلاة العصر وصلاة الصبح وصلاة المغرب فتبيانها في كتابه: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ (البقرة: ٢٣٨) وهي المغرب في إيقاع كتابه المنزل.

صلاة العشاء فقد بينها الله في كتابه العزيز: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾ (الاسراء من الآية ٧٨) وإن هذه في حق صلاة العشاء، لأنه قال: إلى غسق الليل ما بين الليل ودلوك الشمس حكم وقضى ما بين العشاء وبين صلاة الليل وقد جاء بيان ذلك في قوله تعالى ومن بعد صلاة العشاء فذكرها الله في كتابه وسماها.

ومن بعدها صلاة الليل حكى في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾ (المزمل: ٤) وبين النصف والزيادة.

وقال الحسن العسكري عليه السلام: صلاة الليل وهي فرض مثل الأوقات الخمس. ولولا صلاة ثمان ركعات والشفع والوتر لما تمت واحد وخمسون ركعة.

وصلاة الفجر، فقد حكى قوله في كتابه العزيز: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾ (المؤمنون: ٩) وحكى في حقها ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ﴾

(المعارج: ٢٣) من صباحهم لمساهم وهاتان الآيتان وما دونهما في حق صلاة الفجر لأنها جامعة للصلاة، فمنها إلى وقت ثان إلى الإنتهاء في كمية عدد الصلاة وأنها الصلاة تشعبت منها مبدأ الضياء وهي السبب والواسطة ما بين العبد ومولاه والشاهد من كتاب الله على أنها جامعة قوله: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (الاسراء: ٧٨) لأن القرآن من بعد فراغ العبد من الصلاة فإن القرآن كان مشهوداً أي في معنى الإجابة واستماع الدعاء من الله فهذه الخمسة الأوقات التي ذكرها الله وأمر بها.

من كتاب الإمام الصادق ﷺ (دار المحجة) راجع في ذلك.

﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ (طه: ١٣٠).

آن يئينُ أيناً: حان أن تفعل ذلك، وقرب وقته، والحين جمع أحيان وأحايين وهو الوقت عموماً والمدّة.

أناً جمعها آنات.

إنيْ جمعها أناء.

أنى جمعها آناء الليل جزء منه أو كله.

الآن والأوان جمع آونة: الوقت والحين والآن الظرف الزماني الذي أنت فيه وآناء الليل أوقاته، أوله ووسطه وآخره وفيه تنبيه على فضل قيام الليل لأنه أستر على العيون فيكون بعيداً عن الرياء لأن أناء الليل وقت النوم واسترخاء الأعضاء فتركه أشقُّ على النفس فيكون الثواب أكثر.

أما كلمة إناء تجمع على أواني وهي كناية عن عالم الإمكان وهو جميع المخلوقات وهذه الأواني تلطف من الحضرات والتجليات.

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠﴾ (الانسان: ١٥) فالآنية هي

الأوعية وعند العارفين هي الأوقات التي تغلب صفات النفس المظلمة وتحدّق الألوان بمحو التلوينات الحاجبة للرؤية الصافية كما تثبت الصورة وتنفي التصوير، وأطراف النهار هي الجوارح الخمس المنفجرة عن صخرة القلب بصفاء لأنها جنوده ومقاماته.

في دعاء زين العابدين ﷺ: اللّهمّ لا تُنسني ذكرهما في أدبار صلواتي وفي إنيّ من أناء ليلي، وفي كلّ ساعة من ساعاتِ نهاري.

لأنّ الساعة تختص بالنهار على الأكثر فلا يُقسّم للعبادة كالليل ولذلك المرء يسعى لتحصيل المعاش، وأناء الليل لتقسيم ساعاته من نصف وثلث وثلثين كما في الآية.

﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ (الرحمن: ٤٤) ورد في التفاسير: إن الحميم انتهى حرُّه، فهو آنٍ، وبلغ آناه أي غايته، وهو شهود الغاية المتعينة في الحضرة وهذا الأناء والشهود وهو أول التعينات منه تعالى بلطفه، وبالنسبة للسالكين هو وصل النفس والوصول بها مع رفع حجب التعينات حينما تحقق العبد بتجريده عن علوق الصور والخطوط.

فإذا قلت إنّنا في الزمان يعني في نحو جريان مقادير الحركة، لأن آن الزمان هو سريان الحركة فيكون ماضي وآتٍ، فنفس الوقفة التي هي الآن بين الماضي والآتي، الذي هو عدد الحركة لا نفس الحركة، وهو يَعُدّ ولا يُعَدّ لأن الحركة الكثيرة والقليلة الزمان هو الذي يعدّها، قال الحكيم: (الزمان ليس هو حركة الفلك كما ظن بعض من قال من الأولين، لأن حركة الفلك مختلفة كحركة السماء والشمس والقمر وسائر الكواكب والزمان ليس بمختلف، ولو كان كما قالوا إنه حركة الفلك وجب من هذا أن يكون الزمان يعرف بالزمان والشيء لا يتوقف على نفسه، لأن الحركة إنما تعرف بالزمان فإن كانت الحركة هي الزمان فلا محالة أن الزمان يعرف بالزمان وإن كان هذا هكذا فالزمان يخالف بعضه

بعضاً والدليل على أن الحركة ليست من الزمان: السرعة والبطء، لأن السريع الحركة والبطيء إنما يعرف بالزمان والزمان يَعدُّ ولا يُعَدُّ والحركة تُعدّ ولا تَعُدُّ، فالحركة من باب صفة الكم حيث انبثقت الأولية والبداية وسال الزمان مؤلف من أجزاء، وليس كالعدد والكم اللذين هما غير الأجزاء).

فالزمان هو عدد مقدار الحركة وليس نفس الحركة، لأن الحركة القليلة والكثيرة بدورانها إنما تعرف وتعدّ بالزمان وحسبانه، فالحركة ما لم تكن في هيولى فإنه لا يلزمها الإتصال والإنفصال وما لا يلزمه الإتصال والإنفصال فهو طاقة لا تُرى إلّا من جسم منظور ومحدود ولم يلزمه الزمان التكويني بل الزمن الوجودي ولهذا يلزم المقادير الإتصال والإنفصال.

لا خلاف بين الفقهاء في أن دخول الوقت شرط وجوبي لأن دخول الوقت شرط لأداء الصلاة والأمر في ذلك سهل ويسير.

ولكن أي إجزاء هذا الوقت أفضل لأداء الصلاة فيه؟

مذهب الباقر ﷺ: إن أفضل أوقات الصلاة هو أداء الصلاة في أول وقتها.

والأداء: تسليم عين الثابت في الذمّة بالسبب الموجب كالوقت للصلاة والشهر للصوم إلى من يستحق عليه الواجب ولمّا كان ما يستحقه تعالى على العبد من الطاعات أكثر من أن تفي به طاقة البشر كما ورد عنه (إن اللّٰه لا يعبد حق عبادته) وقال السجادﷺ: (وأدّينا فيه قليلاً من كثير).

روى ابن أبي شيبة عن عمر بن موسى عب أبي جعفر ﷺ قال: قلت أي صلاة أفضل؟ قال: في أول الوقت.

قال الباقر ﷺ: اعلمْ أنّ أول الوقت أبداً أفضلُ، فعجّلْ بالخير ما استطعتَ، وأحبُّ الأعمال إلى اللّٰه عز وجل ما داوم عليه العبد وإنْ قلَّ.

عن الإمام الصادق ﷺ: لكل صلاة وقتان وأول الوقت أفضله وليس لأحد

أن يجعل آخر الوقتين وقتاً إلّا في عذرٍ من غير علةٍ.

وفي الأحاديث الصحيحة عن جابر قال: كان النبي يصلي الظهر بالهاجرة والعصر والشمس نقية والمغرب إذا وجبت والعشاء أحياناً وأحياناً إذا رآهم اجتمعوا بعجل وإذا رآهم قد أبطئوا أخّر، والصبح كان يصليها بغلس.

مرادفات الفجر = سَحَر، بُكرة، غَداة، صُبح، فلق.

أضدادها = أُصيل، غروب، أفول، غياب، مساء، ليل، رواح، عشاء.

الغَلَس: هو الهزيع الأخير من الليل ويكون قد اقترب منه الغبش.

وهو أن تصلي نافلتي الفجر عند الغَلَس هو آخر ظلمة الليل وتُسمّى المدسوستان، وصلاة الصبح عند إنتشار الضوء أفقياً لقوله تعالى: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾ (المدثر: ٣٤) والترتيب في أسماء وقت صلاة الفجر: غلس فجر صبح غداة.

ورد في تهذيب اللفاظ: أتيته أولَ الليل وهو من عند غيوب الشمس إلى العتمة، وأتيته مُمسياً إذا أتيته بعدَ العصر إلى غُيوب الشمس، والأصيل عند المغرب أو قبله شيئاً وقالوا الأصيل بعد العصر وجمع أصيل آصال وأُصُل، والعشيّ بعد العصر، ومَغْرِبانُ الشمسِ حينَ تَغْرُبُ، والعتمةُ وقتُ صلاة العِشاء الآخرة.

ورد في (العلل) وكان جواب الهادي ﷺ: أما صلاة الفجر وما يجهر فيها بالقراءة وهي من صلاة النهار وإنما يجهر في صلاة الليل، قال: جهر فيها بالقراءة لأن النبي كان يغلس فيها لقربها بالليل.

الفجر ونسبة الجلال هو إشراقها، وهذا الإشراق تتمة للفجر وذلك الفجر تتمة للإشراق، فالجمال والجلال هو معرفة جمال الجلال وجلال الجمال لقوله تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ (الأنعام: ٩٦) الإصباح مصدر والصبح إسم لوجه النهار المبتسم وبما أنّ

النور يكشف لك قوة الحجاب الظلمي الذي يختزن الظلال والمُثُل فيُدخلك إلى مشاكي الأمثال أن تتبين لك حركة دورة الحياة عياناً، فصيغة الإفعال للإستقبال والقبول في ظلمة النفس للدلالة على حركة الإيجاد والتجدد لنفخ الحياة وديمومة الإستمرار والتخصيص لوقتي الصبح والليل (فالق وجعل) لمعرفة حركة النقلة المخالفة.

قال الإمام عليه السلام: اطلبوا الحوائج عند صباح الوجوه.

فإذا طلعت الشمس فات وقت صلاة الصبح أداءً ولكن تصح قضاءً.

السَحَر قبيل الصبح وقته طلوع أنوار التجلي فتنقشع لمعته الباكرة، والسحر كناية عن ابتداء العارفين وأحوال السالكين لأنهم يكونون في آخر نشأتهم الطبيعية الليلية وقد تبلّغوا من السَحَر ما يقوّم صُلبَهم قبل صبح نشأتهم الروحانية، ليحافظوا على صيامهم وحدود الدين وحفظ أسرارهم من كهنة المعابد ونفثة السحرة، عند الضحى لكمال إشراق شمس الأحدية على المظاهر الإمكانية، فتنكشف بإشراقها هويات الممكنات وتبرز الإمكانيات ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (الاحقاف: ٢٦).

وقت العشاء: يبتدئ عند غياب الشفق، ففي حديث، أن النبي ﷺ أمر بلالاً فأقام العشاء حين غاب الشفق.

فالعشاء أول ظلام الليل ويكنّى عن الملاقاة الكونية بحجب الحضرة المتجلية بلطف الخفاء لجذب القلوب المستأنسة بلباس التكوين وصور مظاهر التعيين.

وما روي عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: الشفق الحمرة، فإذا غاب الشفق وجبت الصلاة.

وما روي عن رسول الله ﷺ: آخر وقت المغرب إذا اسودّ الأفق.

الحجـة:

قال الباقر ﷺ: من أدرك من الصبح ركعة قبل أن تطلع الشمس فقد أدرك الصبح، ومن أدرك ركعة من العصر قبل أن تغرب الشمس فقد أدرك العصر.

من وصايا النبي ﷺ: يا علي ثلاث لا تؤخرها: الصلاة إذا أتت والجنازة إذا حضرت والأيم إذا وجدت لها كفؤاً.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا﴾ (الفرقان: ٦٤) أي يجمعون الركوع والسجود وكل أركان الصلاة على بيتها.

بات يبيت مبيتاً وبيتوتةً ومباتاً وبات يفعل كذا إذا فعله ليلاً، بات الرجل: إذا سهر الليل، وهي بمعنى الإستمرارية والديمومة على العمل ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَـٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ (الرعد: ١٥) الظلال مفردها ظل وهو عالم الحجاب وكل ما دون اللّه عز وجل من أعيان يقال له ظل أي لا استقلال له بنفسه ولذلك ترى الظل متعلق بغيره وكاشف لثقله لأنه يتعين بالنور، فإذا فاض النور على ظلمة القوابل ظهر الظل، وظل يظلّ ظلولاً إذا فعل نهاراً، وظِلُّ الشيء أي في قوته وفي ذُراه أي سِتره، والآصال جمع أصيل هو الوقت ما بين العصر والعشاء الأول ويقال له العَشيّ والعشيات.

من دعاء زين العابدين ﷺ (وان يكن ما ظلِلتُ فيه أوْ بِتُّ فيه من هذه العافية) أي كنت فيه نهاراً أو كنت فيه ليلاً، في ضياء الشمس أو نور القمر وهذا كنايات منها بيوت صفات النفس التي يُزيحها نور العقل للدلالة على العافية المتنامية من حركتي النمو والنقص، وهذه الظرفية تشبه الملابسة على طريق الإستعارة بالكناية، فظلّ ما قبل الزوال وبات ما بعد تزاور الشمس، فقد حصر السجادﷺ الزمان بأوقات الصلوات على أنه في عافيةٍ لانشغاله بالطاعة والعبادة التي هي مستقر النفس وعافيتها من أمراض المزجة والكدر.

الليل يبتدئ من غروب الشمس إلى ما قبل الغلس، فأوله دخول وقت صلاة المغرب ومن بعدها دخول وقت صلاة العشاء أو العتمة ومن بعدها صلاة الليل لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۝ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ (المزمل: ٦).

وصلاة الليل في الذكر الحكيم ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ (الإسراء: ٧٩) فكلمة تهجّد من ألفاظ المضادة تأتي بمعنى نام قليلاً وتأتي بمعنى سهر، حتى قيل لصلاة الليل التهجّد، وعند أهل اللغة الهجود في الأصل النوم قليلاً، ولكن تاء التفعيل فيه لأجل التجنّب ومنه تأثّم وتحرّج إذا اجتنب الإثم والحرج وألقى ذلك عن نفسه فكأنّ المتهجد يدفع ذلك عن نفسه، ولذلك تقول تهجّد الرجل أي ترك الهجود للصلاة وتأتي سهر لأجلها وللذكر، ولهذا قال: (أفلا أكون عبداً شكوراً) فالشكر مقام الزيادة لتطواع النفس وعن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ﴾ (الإسراء: من الآية ٧٩) أي فصلِّ بالقرآن سوراً وآيات ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ (الذريات: ١٧) وإن احتجبوا بصفات ليل النفس لكنهم لم يغفلوا عن السلوك في مقامات العبادة والعبودية.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ۚ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ ۙ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ۙ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المزمل: ٢٠). يُقدّرُ = الاسم القِدرة القطعة من الليل، فالليل والنهار المعبّر عنهما بالأنوار والظلم (إن لله سبعين حجاباً من نور وظلمة لو كشفها

لأحرقت سبُحاتُ وجهه ما انتهى إليه بصرُه) فأضاف السبحات إلى وجهه الكريم ووجهه تعالى لا يفنى أي سبحاته دائمة الفيض والإزدهار تجري كالأنهار وباقية الوجود ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن: ٢٧) ولكن كرمه وجوده لطف بالعباد حتى أمكنهم من النظر إلى وجهه الظاهر بنعم الغيب والحضور، إذْ لا ثبوت لكون شهود وجوده إلّا بجوده وامتنان لطفه (فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ) فاعرفوا ما كشفه للعيان فتقرّ نفوسكم وتدبروا ما كشف الخطاب بحيث يصونكم من الحرق والعمى عن بهر المشهودية فييسّر لكم جزئيات ما ترون بلحاظ نوره فتُسرُّ القلوب.

الميقـات

قال تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ (الأعراف: من الآية ١٤٢).

﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ (الواقعة: ٥٠). ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الدخان: ٤٠).

يوم = اليوم المتعارف عليه من طلوع الشمس إلى غروبها، واليوم حين ظهور الأشياء كلها من الوجود العلمي إلى الوجود العيني في عالم الخلق أي من عالم المثال إلى عالم الشهادة، والميثاق أُخذَ عند الدخول في عالم الإمتحان عالم السمع والبصر والفؤاد ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟﴾ (البقرة: من الآية ٩٣) لا يكون أخذ الميثاق إلّا في عالم الخطاب والمناجاة ليثبت الوثاق بالكتاب على ثقةٍ وشهود فذلك أثبت في العقل وأصحّ لليقين ورفع فرع عالم الظهور الكاشف للطور موقع التجلي فيطير طائر العقل لاجتلاء الرؤية فتثبت اليقينيات بالمشاهدة وينجو مَنْ هو من عالم النجابة بالإقرار.

وعالم النداء هو التجلي المفاض ببريقه عن المظهر الذي به صارت جميع الممكنات موجودة تستمدّ منه شهودها وحضورها، ووجوده واحد لأن بجوده تتحقق الوجودات وتثبت الهويات.

الميقات = الوقت والأوان وإبّان وزمان.

الميقات = مكان محلّ مَوْضع.

والمراد بالمكان أمران: ما إستقرّ عليه المصلي، والثاني الفضاء الذي شغله جسمه، مع ما أُشترط في المكان من الطهارة والإباحة والإستقرار.

قال الحكيم في المكان: هو حيث التقى المحيط والمحاط به، إن المكان ليس شخصاً قائماً بذاته مبايناً للشيء الذي هو مكان له، فالمكان هو بعدٌ لا شكل له ولا كيفية، قابل لسكنى الأشياء ذوات الأشكال والكيفيات، قابل لها واحد بعد واحد من غير أن يتغير عن حاله أو يزداد بالحالّ.

ولذلك ورد عن الباقر ﷺ: إن الصلاة التي تصلى في جميع الساعات هي: الفائتة وركعتا طواف الفريضة، وصلاة الكسوف وصلاة النذر والصلاة على الميت، فهذه يصليها الرجل في الساعات كلها.

وقال الباقرﷺ (من نسي صلاة فليصلّ إذا ذكر لا كفّارة لها إلّا ذلك).

ولذلك أمر الشارع بأداء الفائتة والمنسية عند ذكرها ولم يفرّق بين وقت وآخر.

كما يدخل في الميقات كل الصلوات الفائتة والمنسية والمستحبة والتطوع وصلوات الآيات وكل فرض كفاية.

الميقات هو مقدار من الوقت وهو كناية عن الكشف وارتفاع الحجب والأغيار المسدولة على القلوب والأفكار، إذ به ينتهي الوقت كما الآخرة هي ميقات الخلق وتحصيل السرائر. والمجيء إلى الميقات كناية عن ملاقاة المحبوب بكشف الحجاب وارتفاع اللَّبس فيتلاشى تحت أنسه بلطفه.

فميقات الشهر إهلاله بإيذان البدايات لقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ (البقرة: من الآية ١٨٩).

فالمواقيت وقت وجوب المعاملة في سبيل اللّٰه عز وجل لإقامة الأعمال بالكيفية المطلوبة كما تأتي المواقيت بمعنى الأمكنة المعلومة للإحرام في وقت معدود وشروط بحدود، فالميقات منتهى المقدار المضروب للحدث، كما الميعاد من الوعد، والمقدار من القدر.

المواقيت

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ (البقرة: من الآية: ١٨٩).

المواقيت مفردها ميقات وهو الوقت المضروب للنفوس الناشطة في وجوب العمل للأعلى والمعاملة في سبيل اللّه كما أمر وفرض وأن يراك اللّه عز وجل واقفاً فيها كعرفات المعرفة ومنى الأماني مستوقفاً مطية نفسك بحزم أعنّتها من بين يديها ومن خلفها لأمره ونهيه في النفس والجسد من فوقها العقل ومن تحت الروح الروحانية، ويأتي بمعنى المكان الذي جعل ظرفاً معيناً للشيء يُفعل فيه كمّ الأعمال أو يُنتظر عنده كيفاً بقلبٍ حاضر بجوهرٍ باصر، كما قال السيد العظيم (لي مع اللّه وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل) وهذا ليس من أوقات الدنيا وفيه إيماء إلى مقام الإستغراق باللقاء المعبّر عنه بالشكر والحمد ومقام المحو والفناء، فهذه المواقيت الأرضية مضروبة ليستجلي العارف جمال أكوان المكوِّن المشرق بمظاهره يلتمس رضاه لينظره بعين الرحمة وسعة الرضوان ولهذا فقد جعل اللّه عز وجل تلك المواضع والأمكنة أحزمة ومشدّات محلاً لإجابة المجذوبين الذين شدهم الوله ومظنّة للقبول والرحمة ومعدناً للرضا والمغفرة فهي مشروطة المكان لإقامة الأعمال فيها مع تحقق شرطية الأوصاف المقيدة في الزمن المحدد والعمل الموصوف بإنكسار النفس ومراقبة الأنفاس التي تتردد بين سحُب الخوف وغيث الرجاء بين الطّرد والقبول فيخشع اللبُّ بتأهيل النفس لقبول رشحات الفيض من آفاق عين الرعاية.

الموقوت

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ (النساء: ١٠٣).

الموقوت أي المضبوط بوقتٍ معيّنٍ وهي ملازمة لوقت الصلاة الواجبة اليومية فتتسع إقامتها لسعة الوقت المختص بها. فلحدود الزمان والأمكنة أثر في حجاب القلب عن لذّة المشاهدة إلّا للذين لا يشغلهم حال عن حال، فمن لم يكن خارجاً عن مقام الحس فذا محلّ النقص، (لا يطأ بساطه إلّا المطهرون) ولذلك يستحضر العارف الحال في المقام والمكان في مسجد القلب لتفوز الجوانح وتخشع الجوارح بالمشاعر ويدخل الكل في حرم الروح مع النفوس المقدسة فتكون الصلاة بيضاء سارية بجملة الحس والشعور إلى المسجد الأقصى ثم تعرج بصفاوتها إلى مرّة الإستواء منازل عالم العقل نور على نور، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا﴾ (النساء: من الآية ٨٥) فالمقيت هو المقتدر والحافظ لكل الموجودات.

أمّا صلاة الآيات فوقتها الوجوبي منتزع عند حدوث صورة الفعل أي من حين الأخذ بالكسوف والخسوف إلى تمام الإنجلاء، أو الزلزلة وبقية الآيات المخوفة، وفرضها عشر ركعات وأربع سجدات، في كل ركوع يقرأ الحمد وسورة ثم يركع حتى يتمّ الخمسة ركوعات ثم يسجد سجدتين ثم يقوم ويصنع كما صنع في الأولى ثم يتشهد ويسلم، ويختم بالدعاء.

فالكتابة هي منتهى الإيجاب فإنّ الشيء يوجب ثم يكتب، فالإيجاب مبدأ والكتابة منتهى، فإذا أريد توكيد الشيء عبر عن مبدأه بمنتهاه، ولأنّ الكتابة أثبت

وأدوم للحفظ، كما ورد: كتب رزق فلان في الديوان، فيدل ذلك على ثبوته ودوامه على مر الزمان.

فهناك صلاةٌ بلا وقت محدود كالصلاة على الميت، وصلاة القضاء حينما يفوت وقتُ الأداء ومعرفته فعليك القضاء لما فاتك من فرض الصلاة ووجوبها، قال النبي ﷺ: من نام عن صلاةٍ أو نسيها فليُصلّها إذا ذكرها فإنّ ذلك وقتُها ولا كفّارة لها إلّا ذلك). فألزمه فعلَها عند الذكر ومنعه التأخير ولو أخّرها كان تاركاً للواجب ولَزِمه فعلُها في الثاني وما يليه من الأوقات.

وصلاة النذر وبعض الصلوات المستحبة بقصد القربى وقضاء الحوائج فللإنسان له ما يشاء من التنفل.

الفـرض والنافلـة

الفروض جمع فرض وهو لغـةً: التقدير، وشـرعاً: ما أمر اللّه تعالى به عباده ليفعلوه، وضيّع الفرض أي تركه وعدم القيام به لقوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ (مريم: ٥٩) إضاعة الصلاة أي ساهون عن الحضور القلبي لكونهم في مقام منى النفس وشهواتها وبهذا يحصل الإحتجاب عن محلّ الإتصال النوري باتباع الشهوات واظلمهـا استنادهم إلى الحـواس الكثيفة لتعلقهم بجوهـر مادتها، يلقـون غيّاً أي يتعسفون طرق الضـلال التي تؤدي إلى الهـلاك وهو التورط بحـجُب الذنوب واستيجاب السخط، لقول النبي: الذنب بعد الذنب عقوبة للذنب الأول.

النافلة: من النفل ولغةً: الزيادة، وشرعاً لما شرّع زيادة في العبادات على المفروضات ويسمى مندوباً ومستحباً وتطوّعاً،

الأنفال جمع نَفل وهو الزيادة، وكل ما زاده اللّه لهذه الأمة في الحلال لأنه كان محرماً على من كان قبلهم وبهذا سميت النافلة من الصلاة لأنها زيادة على الفرض، ويقال لولد الولد نافلة لأنه زيادة على الولد لقوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ﴾ (الانبياء: ٧٢) وفي التفاسير الأنفال كل ما أُخذ من دار الحرب بغير قتال، وكل أرض أُجليَ عنها أهلها بغير قتال (وسماها الفقهاء فيئاً).

قال الكاظم ﷺ: لكل شيء زكاة وزكاة الجسد صيام النوافل.

قال الباقر ﷺ: إنّ العبد ليرفع له من صلاته نصفها أو ثلثها أو ربعها أو

خمسها، فما يرفع له إلّا ما أقبل عليه بقلبه، وانما امرنا بالنافلة ليتمّ لهم بها ما نقّصوا من الفريضة).

﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ (طه: ١٢٠) وبسبب هذا النقص إن العبد إذا أكل ما لا ينبغي له حُجب وسها وإذا حجب لم تطب نفسه بإخراج الزكاة فيخرجها كارهاً أو ناقصة العدد أو ردية، ولذلك أمر الشارع بإخراج النافلة (كالنذور والقرابين وسائر أعمال البر والإحسان) جبراً لذلك الخلل وما فاته من تبرئة للذمة، إما من حيث الزيادة على الحاجة واما من حيث الحرام والشبهات وهذا ما يحجبُنا عن كون الملك للّه تعالى في الأموال والأقوات، فادّعينا المُلك فيها لأنفسنا من دون اللّه تعالى، وشححنا بما دخل تحت أيدنا فلم تسمح نفوسنا أن نُعطي لمحتاج بل صار أحدنا يجمع ويمنع ويتخذ الحلي والمال الذي لم يشرع، ويمنع الحقوق التي فرضها اللّه تعالى من نصاب المال والمواشي والزرع وما أتت الأشجار والمقتنيات ومن ربح التجارة ونسيت النفس حق اللّه تعالى بإخراج الزكاة على الحكم المشروع فيها حتى بخلت النفس بزكاة الفطرة.

قال زين العابدين ﵇: ولست أتوسل إليك بفضل نافلة مع كثير ما أغفلتُ من وظائف فروضك وتعدّيت عن مقامات حُدودك إلى حُرُماتٍ انتهكتها...

الفضل يطلق على الزيادة وهو خلاف النقص، خُذ الفضل أي الزيادة ويطلق على الكمال والشرف والدرجة الرفيعة كالفضيلة وأغفلت تركته من غير نسيان، كما أطلق عليه القرآن العفو ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ (البقرة: من الآية ٢١٩). والوظائف جمع وظيفة وهي ما يقدر من عمل ورزق ونحو ذلك وتطلق على الشرط، وتأتي الوظائف بمعنى شرائط الفروض للقبول دون الأجزاء كمحض الإخلاص وحضور القلب في الحديث (إنما لك من صلاتك ما أقبلت عليه).

وقد يأتي المراد بالوظائف الآداب الموظفة التي يكون بها المفروض على أكمل الوجوه كما ورد عن جعفر الصادق ﷺ: للصلاة أربعة آلاف حدٍ.

قال العارف الكامل:

وقمت بأحكام الفرائض ظاهراً وأتبعتها بالنـفل بعـد الفريضة

* * *

ثبوت الكفر والإرتداد في الضروريات

من كان مسلماً وأقام التكاليف فقد ثبت إيمانه وكذلك من أنكر الضروريات كالإيمان بالله ورسوله ووليه وأسقط التكليف فقد ثبت ارتداده عن الملة فهو كافر وجاحد ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (النور: من الآية ٥٥).

حديث: ليس بين العبد والكفر إلّا ترك الصلاة.

عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر ﷺ يقول: كل شيء يجرّه الإقرار والتسليم فهو الإيمان وكل شيء يجره الإنكار والجحود فهو الكفر.

عن أبي عبيدة عن أبي جعفر ﷺ قال: إن أناساً أتوا رسول الله بعد ما أسلموا فقالوا: يا رسول الله أيؤاخَذُ الرجلُ منا بما كان عمِلَ في الجاهلية بعد إسلامه؟ فقال لهم رسول الله ﷺ: من حسُنَ إسلامه وصحَّ يقينُ إيمانه لم يؤاخذْهُ الله تبارك وتعالى بما عمل في الجاهلية ومن سَخُفَ إسلامه ولم يصحّ إيمانه أخذه الله تبارك وتعالى بالأول والآخر.

عن عبيد بن زرارة قال: سألت أبا عبد الله ﷺ عن قول الله عز وجل: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (المائدة: من الآية ٥) فقال: ترك العمل الذي أقر به، منه الذي يدع الصلاة متعمداً لا من سكرٍ ولا من علة.

وعن عبد الرحمن النوفلي عن أبي عبد الله ﷺ قال: الإسلام قبل الإيمان وهو يشارك الإيمان، فإذا أتى العبد بكبيرة من كبائر المعاصي أو صغيرة من

صغائر المعاصي التي نهى اللّه عنها كان خارجاً من الإيمان، وثابتاً عليه إسم الإسلام، فإن ثاب واستغفر عاد إلى الإيمان ولم يخرجه إلى الكفر والجحود والإستحلال وإذا قال للحلال: هذا حرام، وللحرام هذا حلال ودان بذلك فعندها يكون خارجاً من الإيمان والإسلام إلى الكفر.

عن محمد بن مسلم عن أبي جعفرعليه السلام قال: من كان مؤمناً فعمل خيراً في إيمانه ثم أصابته فتنةٌ فكفرَ ثم تاب بعد كُفرِ كُتِبَ له وحوسب بكل شيءٍ كان عَمِلَه في إيمانه ولا يبطِلُهُ الكفرُ إذا تاب بعد كُفره.

وسُئل الصادق عليه السلام وقيل له: ما بال الزاني لا يسمى كافراً وتارك الصلاة يسمى كافراً؟ قال: لأن الزاني يعمل ذلك لمكان الشهوة لأنها تغلبه وتارك الصلاة لا يتركها إلّا استخفافاً بها.

وسُئل الصادقعليه السلام وقيل له: ما الفرق بين من نظر إلى امرأةٍ فزنى بها أو خمْرٍ فشربَها وبين من ترك الصلاة حتى لا يكون الزاني وشاربُ الخمر مستخِفّاً كما يستخِفُّ تاركُ الصلاة وما الحُجةُ في ذلك وما العلة التي تَفرُقُ بينهما؟ قال: الحُجة أنّ كلما أُدخلتَ أنت نفسك فيه لم يدْعُكَ إليه داعٍ ولم يغلبْكَ غالبُ شهوةٍ مثل الزنا وشُرب الخمر وأنت دعوتَ نفسك إلى ترك الصلاة وليس ثَمَّ شهوةٌ فهو الإستخفاف بعينه وهذا فرقُ ما بينهما.

ورد في الخبر: لا تطعموا تارك الصلاة ولا تُسقوه وإذا مرض لا تعودوه وإذا مات لا تشيعوه ولا تدفنوه في مقابر المسلمين.

عن مسعدة بن صدقة قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السلام وقد سئل: ما بال الزاني لا تسميه كافراً وتارك الصلاة تسميه كافراً وما الحجة في ذلك؟ قال: لأن الزاني وما أشبهه يعمل ذلك لمكان الشهوة لأنها تغلبه وتارك الصلاة لا يتركها إلّا استخفافاً بها وذلك لأنك لا تجلد الزاني الذي يأتي المرأة إلّا وهو مستلذ لإتيانه إياها قاصداً إليها وكل من ترك الصلاة قاصداً لتركها فليس يكون قصده لتركها

اللذة، فإذا انتفت اللذّة وقع الإستخفاف وإذا وقع الإستخفاف وقع الكفر، قيل وما الفرق بين نسبة الكفر إلى من أتى امرأة فزنى بها أو خمراً فشربها، وبين من ترك الصلاة حتى لا يكون الزاني وشارب الخمر مستخفاً كما استخفّ تارك الصلاة، وما الحجة في ذلك وما العلة التي تفرق بينهما؟ قال الحجة أن كل ما أدخلت أنت نفسك فيه ولم يدعك إليه داعٍ ولم يغلبك عليه غالب شهوة مثل الزنا وشرب الخمر، وأنت دعوت نفسك إلى ترك الصلاة وليس ثمّ شهوة فهو الإستخفاف بعينه فهذا فرق بينهما.

* * *

لصوصية واختلاس

قال الباقر ﷺ في موعظة: ويلك إنما أنت لص من لصوص الذنوب، كلما عرضت لك شهوة أو ارتكاب ذنب سارعت إليه وأقدمت بجهلك عليه فارتكبته كأنك لست بعين اللّٰه أو كأن اللّٰه ليس لك بالمرصاد.

عن محمد بن مارد قال: قلت لأبي عبد اللّٰه ﷺ، حديثٌ روي لنا أنّك قلت: إذا عرَفتَ فاعملْ ما شئتَ؟ فقال: قد قلتُ ذلك، قال: قلت: وإنْ زنَوْا أو سرَقوا أو شربوا الخمر فقال لي: إنا للّٰه وانا إليه راجعون، واللّٰه ما أنصفونا أن نكون أُخِذْنا بالعمل ووُضع عنهم، إنما قلتُ: إذا عرَفتَ فاعملْ ما شئتَ من قليل الخير وكثيره فإنه يُقبَلُ منك.

قال يسوع ﷺ: لأن أنفسكم إنما هي في الحقيقة تاجر والجسد هو الحانوت فلذلك كان ما يتطرق إليها من الخارج بواسطة الحواس يباع ويشترى بها والنقود هي المحبة فانظروا إذاً أن لا تبيعوا وتشتروا بمحبتكم أقل فكرٍ لا تقدرون أن تصيبوا منه ربحاً بل ليكن الفكر والكلام والعمل جميعاً لمحبة اللّٰه لأنكم بهذا تجدون أمناً في ذلك اليوم، الحق أقول لكم إن كثيرين يغتسلون ويذهبون للصلاة وكثيرون يصومون ويتصدقون وكثيرون يطالعون ويبشرون الآخرين وعاقبتهم ممقوتة عند اللّٰه لأنهم يطهرون الجسد لا القلب ويصرخون بالفم لا بالقلب يمتنعون عن اللحوم ويملؤن أنفسهم بالخطايا.

قال المسيح ﷺ: إن النفس والحس والجسد والوقت والمال والمجد جميعها ملك اللّٰه إذا لم يقبلها الإنسان كما يريد اللّٰه أصبح لصاً وكذلك إذا صرفها مخالفاً لما يريد اللّٰه فهو أيضاً لصٌ، ولذلك أقول لكم عندما تسوفون

قائلين: سأفعل غداً كذا وسأقول كذا سأذهب إلى الموضع الفلاني دون أن تقولوا إن شاء الله فأنتم لصوص وتكونون أعظم لصوصيةً إذا صرفتم أفضل وقتكم في مرضاة أنفسكم دون مرضاة الله بل تصرفون أرداه في خدمة الله لأنتم إذاً بالحق لصوص.

والمعروف عن بعض أهل التصوف يقولون: من أن الصلاة هي وسيلة ومعراج السالك للوصول فإذا وصل أصبح مستغنياً عن الرسوم، فهذا أمرٌ باطلٌ لا أساس له ووهمٌ ساذجٌ يُخالف أصحاب القلوب وأوامر الشرع، صادر عن الجهل بالمقامات عند أهل المعرفة.

قال أمير المؤمنين ﷺ: مثل الذي لا يتم صلاته كمثل حبلى حملت حتى إذا دنا نفاسها فلا هي ذات حمل ولا ذات ولد.

قال أبو بكر العطار: حضرت وفاة الجنيد مع جماعة من أصحابه وفيهم أبو محمد الجريري فنظر إلى الجنيد وهو منشغل بما هو فيه من درس القرآن والركوع والسجود فقال له: يا أبا القاسم لو رفقت بنفسك فقال:

يا أبا محمد حالة وصلتُ بها إلى اللّه تعالى في بدء أمري لا أفارقها أبداً حتى ألحق باللّه.

قال الجنيد: من لم يصل علمه باليقين ويقينه بالخوف وخوفه بالعمل وعمله بالإخلاص وإخلاصه بالمجاهدة فهو من الهالكين، فاليقين هو استقرار العلم الذي لا ينقلب ولا يحول ولا يتغير في القلب، وحق اليقين ما يتحقق العبد بذلك وهو أن يشاهد الغيوب كما يشاهد المرئيات مشاهدة عيان، ويحكم على الغيب فيخبر عنه بالصدق.

وفي مصطلح التصوف (لابن عجيبة الحسني):

الشريعة تكليف الظواهر، والطريقة تصفية الضمائر، والحقيقة شهود الحق

في تجليات المظاهر، فالشريعة أن تعبده والطريقة أن تقصده والحقيقة أن تشهده، فلما تجلى الحق بين الضدين وتجلى بمظاهر عظمة الربوبية في قوالب العبودية ظهرت الشريعة والحقيقة، فشهود العظمة من حيث هي حقيقة والقيام بآداب القوالب عبادة وعبودية شريعة، وأما الطريقة فهي إصلاح الضمائر لتتهيأ لإشراق أنوار الحقائق عليها، فالشريعة لإصلاح الظواهر والطريقة لإصلاح الضمائر والحقيقة لتزين السرائر، ويقال الشريعة إنها عين الحقيقة من حيث إنها وجبت بأمره، والحقيقة إنها عين الشريعة من حيث إنها مكلف بها من قبل الشريعة وقد تطلق الشريعة على كل ما كان يتوصل به إلى شيء أو يكون سبباً في إدراكه فالأسباب كلها شرائع والمقاصد كلها حقائق، فالحس شريعة المعنى إذ به قبضت، والمجاهدة شريعة المشاهدة والذل شريعة العز والفقر شريعة الغنى وهكذا والحرث والغرس شريعة حتى الثمار ولذلك يقولون من غرس الشرائع أثمرت له الحقائق، ومن غرس الحقائق أثمرت له الشرائع أي أخرجته إلى الرجوع إلى الشرائع)).

قال رجلٌ للجنيد: أهل المعرفة باللّه يصلون إلى ترك الحركات من باب البرّ والتقرب إلى اللّه؟ فقال الجنيد: هذا قول قوم تكلموا بإسقاط التكليف والأعمال وهو عند اللّه عظيم، والذي يسرق ويزني أحسن حالاً من الذي يقول هذا، بل إن العارفين باللّه تعالى أخذوا الأعمال عن اللّه تعالى وإلى اللّه رجعوا فيها ولو بقيتُ ألف عام لم أنقص من أعمال البرّ ذرةً إلّا أن يُحال بي دونها)).

روي أن صوفياً وقف على رجل يأكل، فمدّ يده إليه وقال: إن كان ثَمَّ شيء للّه؟ فقال له: إجلس وكلْ، فقال الصوفي: أعطني في كفي؟ فأعطاه في كفّه فقعد في مكانه يأكله، فسأله عن إمتناعه من الجلوس معه؟ فقال: إن حالي مع اللّه عز وجل الذل فكرهتُ أن أفارق حالي.

قال رسول اللّه ﷺ: أسرق السراق من سرق من صلاته.

إن اللّٰه عز وجل أعطى للإنسان كل أساليب الإستقامة والمراقبة ليحافظ على ثروته الروحية بآداب وروابط مع صاحب الحضرة وإذا بالإنسان يسرق من نفسه كالرياء والتظاهر بالصلاة وأعمال البر والإحسان والزهو بالعبادة كما ينقص المصلي من حدود صلاته ويتعجل من سكناتها وحركاتها وسبغها لقول رسول اللّٰه ﷺ: من لم يتم وضوءه وركوعه وسجوده فصلاته خداج.

وعن الحسن أن رسول اللّٰه ﷺ قال: ألاَ أخبركم بأسوأ الناس سرقة، قالوا: من هو يا رسول اللّٰه؟ قال ﷺ: الذي يسرق من صلاته، قالوا: وكيف يسرق من صلاته؟ قال: لا يتمّ ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها ولا القراءة فيها.

لا تقبل الصلاة من قلبٍ غير طاهر وغير مؤمن وغير معادي لأعداء اللّٰه ورسوله فصلاة مستعارة وهذا العمل الحسن من لطخ أصابه يوم الذرو الأول عند مزج الطينتين فصار تكليفه ومؤمناً صورياً وحسن خلقه العرضي كما ورد عن الصادق ﵇: من أن حسن شيم أعداء اللّٰه من لطخ أصحاب اليمين كما أن الصورة الإنسانية للكافر مغصوبة عنده في هذه الدنيا لينال بواسطتها شهواته ومقاصده الحيوانية ويوم تُبلى السرائر وتنكشف الحقائق تؤخذ الصورة منه ويحشر على غير صورة الإنسانية فما في وجودهم من النور والخير والصلاح مغصوبة وكله من مقتضيات لباس التقوى المختص بالمؤمنين، فأعمال هؤلاء تقع في المكان المغصوب ولا تنفعه شيئاً بل نفعها عائد إلى صاحب اللطخ ومتعلقه به، فالغاصب يؤخذ بأشد الأحوال وترجع الأعمال إلى أصلها، والأعمال غير المرضية الصادرة من المؤمن فهي من لطخ أصابه من أصحاب الشمال، في حديث ابن سنان: كلف أهل اليمين ثلاثاً بالدخول وهم يطيعون وخرجوا من النار ولم تصبهم وأمر أهل الشمال بالدخول ثلاثاً وهم يعصون ويرجعون ثلاثاً لمّا أصابهم الوهج.

ثم قال لهم: كونوا طيناً بإذني فخلق منه آدم فمن كان من هؤلاء لا يكون من هؤلاء وبالعكس وما رأيت من نزق أصحابك وخلقهم فممّا أصابهم من لطخ

أهل الشمال وما رأيت من حسن سيما من خالفكم فمما أصابهم من لطخ أهل اليمين.

ولهذا فالإنسان مثلّث بحسب التكليف والظهور لثلاث جهات: الجسد والنفس والعقل، وله بنون كثُرٌ، ولذلك فالتثليث أصلٌ وما زاد عليها روابط وتعلقات لا تتناهى وكلها روابط وتعلقات محض وكلها ترجع إلى البرازخ التبعية، ومن هنا كان نصيب الشيطان من العبث والإستخفاف والتهتك وما يجري له المزاج ولا يحلّ إلّا بالجدّ وقوة التكليف ولهذا فجهة العقل لا تدعو إلّا إلى الخير لارتباطه بعالم التكليف ومبدأ النور وأصل الظهور.

قال سلمان الفارسي: الصلاة مكيال فمن وفّى وفّى له ومن طفّفَ فقد علمتم ما قال اللّه تعالى في المطففين.

الطهارة والنظافة

الطهارة الشرعية هي وضوء وغسل وتيمم.

مرادف كلمة طهارة: الحياء والحشمة والعفّة والعَفاف والبراءة. وضدّها: الإثم والرِجس والنجاسة والفُحش والإباحية.

ومعنى طَهَّرَ نفسَه أي أصلح ونقّى ونزّه ونظّف، وضدها دنّسَ وسّخ لطّخ لوّثَ.

وفي اللغة هي النظافة من إزالة القذر عن الجسم والأوساخ عن الثياب وكل ما يلبس وحتى الخارج عنك واجبٌ تطهيره مع أنه أبعد عن ذاتك، وهذا الإهتمام بطهارة اللباس والثياب والمكان ليكون مقدماً لتطهير الأعضاء ومن ثَمّ يجتهد المؤمن في تطهير قلبه بالتوبة من نجاسات المعاصي ورجس النفاق والحسد التي تظلم القلب وتمنع من الإنابة إلى اللّه الذي يطّلع على السرائر والظواهر ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾ (غافر: ١٩)

فتلك القذارات مبطلة للصلاة كما هي موانع لقبول الصلاة لأنها رجسٌ من الشيطان، ويجب على المؤمن الإجتهاد في رفع الموانع وإزالة الحجُب كي يتصف بالنظافة والطهارة ويتيسر له صفة الطهور من رشح النور وإلّا لم يكن له في صلاته الحضور والخشوع، فنظافة الجسم واللباس تدل على الإهتمام بالدين والإحترام له والمصداقية عند أهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأمّا الذي يصلي بالقذر ولا يهتم بإزالة النجاسة فهو ممقوت بنظر المخلوق وممنوع الرحمة عند الخالق ومحروم السعادة في الدارين فكيف بنجاسة الباطن التي تُحدث الرين والغُلُف والأكنّة على القلب فتعلو عليه ظلمة التلوث والإتساخ وصفات الذم،

وعندها ينتكس القلب من النجاسة فيصبح أعلاه أسفله وهذا هو الإنتكاس للقلب المنكوس والجسم المعكوس والشخص المركوس، فيكون باطنه مستراح الشيطان وقذارته عندئذٍ يأمره وينهاه ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (سبأ: ٢٠) وهذا في الباطن هو نحت الأصنام والعكوف على عبادتها فجعلوا من ظلمة نفوسهم المزيّنة لهم أن أطاعوا غرائزهم واتبعوا شهوات طبائعهم لقيام الجهل فيهم إذ لم يصغوا للعقل بعد إذ جاءهم الهدى، لقوله تعالى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ (الأعراف: ١٣٨).

فالقصد في الطهارة لنقاوة النية والتصفية من آثار مراتب القذارات الملوّثة للآلات وقوى النفس المبتلية بشركة الشيطان فإذا توضأ الإنسان للصلاة ينبغي أن يستحضر في لبه أن اللّٰه سبحانه أمره بغسل هذه الأطراف وتنظيفها لمباشرتها أمور الدنيا من حيث مدخليتها لإباحة عبادةٍ ولا يُقبل النقصان والزيادة في ذلك، فهذا القصد في النية لإزالة الوسخ هو دعوة لغسل الباطن من آثار كدورات الدنيا وأوساخها المعنوية للنفس فتتخلى من سفساف الأخلاق ومذامّ الأوصاف وتحليتها بمحاسنها ومحامدها وحصر وجهة الأعضاء لجهة كعبة خالقها فيحصل الحضور ويثبت المقام لأن التوجه في الإقبال بوجه القلب الذي طهره بماء العلم حيث تخلّى من أشكال الأدناس وغسّل نقابه بطهارة النية السارية إلى الركن المربّع في أمّ القرى الذي غلب الطبيعة الجرمية أهل الشرك وأمة الكفر، ثم تنفتح له مملكة الباطن بعدما يفتتح مملكة الظاهر فيتبع غسل اليدين بحيث هما الواسطة بتناول المرادات الدنية، ومن ثَمّ يعرج بُراقُه من بريق الماء فيمسح الرأس الذي تسامح في الظاهر بالكشوف ومسح المظاهر لحظاً بالتبرك منها فاطّلع بالنشأة على مقامات السرائر، ثم بمسح القدمين اللتين تلوثتا من وحل الشبهات ووعثاء الطريق لأنّ بهما يقدم إلى مطالبه ويتوصل إلى مآربه، وإلاّ يقف عند الحدّ

ويقتنع بالأشكال والستور لأنه في عالم العكوسات والتلبيسات ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ (يوسف: ٥٣).

فالمسح بالأثر وهو التجلي بصورة الآدميين لأنه يمسح بالنور الباهر كل ظلمة للباطل فيحسم موقفه مع أهل البيت الطاهرين الطيبين ويُزيل كل عمى ووهم وشك بغشيان النور الشارق بإكسير العلم والقدرة.

قال أمير المؤمنين علي ﷺ: لا تجوز صلاة امرئ حتى يُطهّرَ خمس جوارحه: الوجه واليدين والرأس والرجلين بالماء والقلب بالتوبة.

وفي غسل اليدين عند العارفين سرٌّ يقبع في الغسل والتيمم، فاليدين كلمة تطلق بمعنى المكان وآلية الزمان على جهة الإستعارة، فتارةً تطلق على الماضي المتقدم لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ﴾ (المائدة: من الآية ٤٨) فاليدان فيها استعارة تمثيلية للأصل بين الجهتين اليمين والشمال أو اليُمنى واليُسرى، ثم كان الإستعمال في ظرف المكان بمعنى قدام، ثم في ظرف الزمان بمعنى قبل، ثم صار يطلق على المستقبل المتأخر لأن الإنسان مستقبل لما سيأتي فكأنّ كلُّ شيء انطوى ما بين يديه لقوله تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ (الحج: ٧٦) ما قبلهم وما بعدهم، أي مستدبر الماضي من حيث تدبره ومستقبل المستقبل من حيث الإحاطة والقبول، وتقول بين يديك أي قريب منك، وهذا المراد هنا بأن المتطهر يغسل أوساخ ذنوبه بين يديه من ماضي وحاضر ومستقبل على أن لا يعود إلى رِكبة الخطايا ومطايا الذنوب فهو يستغفر من أطراف الزمان إلى مرافق المكان بالندم والحزن والتوبة ويتطهر بماء القدس الرحموتي لأنه غيث المجدّبين، فيفاض عليه من آواني الوجود وما يليق من الأغراض والحاجات فيزيل غبرة الهموم وقترة السموم ليتنزه عن ارتكاب ما يسخط مولاه لقول سعيد بن جبير لما سئل: من أعبد الناس؟ فقال رجل إجترح الذنوب فكلما ذكر ذنوبه احتقر عمله.

الإنسان الذي يصلي الصلوات الخمس ويحرص عليها بجميع شروطها ومطلوباتها يمتاز عن غيره ممن لا يصلي:

قال تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ (التوبة: ١٠٨).

وقال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (المائدة: من الآية ٦).

قال النبي ﷺ: الطهور نصف الإيمان.

وقال: الطهور مفتاح الصلاة.

وقال النبي ﷺ: بني الدين على النظافة.

وقال النبي ﷺ: بئس العبد القاذورة.

وقال النبي ﷺ: من اتخذ ثوباً فلينظفه.

وقال أمير المؤمنين علي ؑ: النظيف من الثياب يُذهب الهم والحزن وهو طهور للصلاة.

لأن الوسخ والقذر الظاهري للحسّ فمن الأمور المستقذرة التي تستخبثها الطباع وتستقبحها الأبصار وتمجّ ذكرها الأسماع وهي زيادة على الثوب بالنقص والقباحة لأن الهيئات الجسمانية مؤثرة في النفوس كما أن الهيئات النفسانية مؤثرة في الأجسام فإذا كان موقع الطهارة والنظافة مبني على صفاء النفس ونزاهتها تأثرت القوى باجتماع الهمّ والإرادة وصفاء الوقت وطيب الحال، أما إذا كانت مبنية على الرياء والضرار فتكشف باطنها المزجة الكدرة والفُرقة، لأن أصل الطهارة في إزالة الحجب والأقذار عن سور مدينة القلب حتى يصفو من العلق والتبعات، والصفاء أي تصقيل مرآة القلب بإزالة الكدورات النفسية والصفات الرذيلة والتعلقات المادية التي تُشغله بجرمها فتحجبه عما يتقبل القلبُ ما أُشرق

على مرآته، والنفسُ إذا تلطخت بأدناس الأخلاق الذميمة وأرجاس الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية لم تقبل شيئاً من العلوم الحقة ، ولما كانت هذه الأوساخ أمراً عدمياً على المؤمن أي تُزال عنه عند الهمّة والإرادة لا محالة فلا يُراد من الطهارة والصفاوة لنفسهما بل لهذه المعرفة لأنهما للقلب عبادة تُستزادُ بالعلم وبصلاة السر للّه تعالى فتقوى قابليته وتمكنه من حصول المعرفة، فالعمل الصالح يتحقق بالعلم الصحيح وهذا موصِلٌ إلى حصول اللقاء ومشاهدة الجمال ومعاينة الجلال بشرط قطع العلائق، كما أن لذة الدنيا تبلغ بالحواس وتقوى بالمشاعر الحيوانية، لأن كل لذة لها ما يلائمها ويناسبها، كما أن لذة الآخرة قوامها بالنيات وبتحصيل المعارف ثم ما ظنك بعالم القدس الذي هو معدن العقل وموطن عالم الأنس، فسائر العبادات والرياضات فإنما هي لإعداد الحكمة والمعرفة التي تشرق عند تصفية الباطن وتهذيب السرِّ وتنقية اللبّ.

فإذا أتيت بالطهارة في ثياب بدنك وهو غلافك الأبعد ومن ثَمّ في بشرتك لباسك الأقرب فلا تغفل عن تطهير قلبك بإزالة رجز الشيطان عن النفس بالتوبة والإستغفار والندم على ما فرّطت في جنب اللّه، فالتوبة تطهر الباطن الذي هو موضع نظر المعبود ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ (المدثر: ٥) فالطهارة في ثياب البدن وهو الغلاف الأبعد ثم في البشرة وهو القشرة الأدنى ولباس القرب أما طهارة القلب وإزالة رجز الشيطان تكون بالتوبة والإنابة والندم على التفريط في جنب اللّه عز وجل بكثرة الإستغفار فثبتت الطهارة الحقيقية هي للباطن الذي هو موضع نظر المعبود.

والرجز فاهجر وهو التخلص من كل ما يلبّس على الحواس ويزين للنفس هيئاتها العدمية فيجرّ كشف المقابح فتغطية مقابح البدن عن أبصار الخلق واجبٌ سترها ظاهراً فكيف بعورات الباطن، كما يستر المرء عورته عن أبصار الخلق يجب ستر ظاهر البدن الذي هو موضع نظر الخلق فما ظنك في عورات الباطن

وفضائح السرّ، وقل بحياء وخوف (يا منجي الهالكين ويا غياث من استغاث به! هبطتُ بذنوبي فاغتررتُ وتكدّرتُ فاضطربتُ وتذكّرتُ فسارعتُ وندمت فهل إلى وصول من سبيل) فستر عورات البواطن وتكفيرها بالندم والتوبة والحزن الدائم والحياء المستولد من المراقبة والخوف من السقوط من عينه جل وعلا وأن تذلّل النفس وتسكن تحت الخجل.

كما قال العارف الكامل:

وطهرْتُ أعضائي بعرفان من على مراتبهم في عالم العشق دلّتِ

ثمّ إنّ الطهارة والوضوء وما أودع الحق فيها من خواص الأحكام والكمالات الروحانية والمادية الطبيعية وبهذه الجمعية يُتوصلُ إلى تحقيق المرتبة البرزخية المحيطة بأحكام الوجوب والإمكان، فالأرواح الطيبة تستدعي بلسان الإستعدادات متعلّقات طيبةً وأبداناً طاهرةً، والأرواح الخبيثة تستدعي بلسان الإستعدادات متعلّقات خبيثة وأبداناً نجسةً ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (النور: ٢٦) فالنفس صورة نوعية للبدن والبدن هو المادة التي تتعلق به الناطقة لتدبره ولهذا ورد الصورة باطن الروح لاعتبار السنخية بين الصورة وتمام الجسم الأصلي، فصور الكمال لألطف الموادّ، والصور الناقصة لأخسّ الموادّ فالروح الخبيثة لنكرانها في الأصل وعدم قبول الإيمان والولاية في الذرو الأول وما بعده صارت تظهر من طريق الحرام والشبهات وما بينهما مراتب من التشويهات والمعايب من نقوص وزيادات صفاتية ونعوتية.

قال رسول اللّه ﷺ لبلال عند صلاة الفجر: يا بلال حدّثني بأرجى عملٍ عملتَهُ في الإسلام فإني سمعتُ دفَّ نعليك بين يدَيْ في الجنّة، قال: ما عملتُ عملاً في الإسلام أرجى عندي أني لم أتطهر طهراً في ساعة ليلٍ أو نهارٍ إلّا صليتُ لربي عز وجل بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي.

فمن أسبغ وضوءه وحقق طهارته كملت له المضاهاةُ وصحّت له المحاذاةُ فظفر بذات الحضرة لأنّ الصورة العلمية متممة للمعرفة كما أنّ النية مهيّجة للعمل، ولذلك وصفت هذه العوارض بالظلمة والكدورة وطُلب الخلاص من أحكامها والإنسلاخ من أثر صفاتها والخلاص منها بعد مفارقة عوارض نشأتها التي هي من آثار نتائج صحبة الروح للمزاج الطبيعي، ولذلك وجب تحقيق الأحكام ليتمّ الإنتقال من صور الطبيعة إلى عوالم مظاهر اللطافة، وهذه نعمة الشريعة لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الجاثية: ١٨).

بالإسناد عن أبي محمد بن عبد اللّه بن سهل قال: سمعت ذا النون أبا الفيض فسألته: متى يتم زهدي بعد ورعي؟ قال: إذا جعلت الفرض لك مَعْلماً وأقمتَ الطاعة لك مَفْهماً، قلت: فمتى يشتدّ بي بغضُ الدنيا؟ قال: إذا جعلت الدنيا طريق مخافةٍ لا تلتفت إلى ما قطعت منها، وجعلت الآخرة ساحة مأمونة لا تأمن إلّا بالنزول فيها، قلت: متى أستلذُّ الموت؟ قال: إذا جعلت الدنيا خلف ظهرك وجعلت الآخرة نُصبَ عينيك، قلت: فمتى أتقي شهوات مطاعم الأرض؟ قال: إذا خالط قلبك الملكوت وسرح في سرائر الجبروت، قلت: فمتى تصلّب معرفتي؟ قال: إذا استوحشت من الدنيا واشتدّ بنزولك البلى، قلت: فمتى أستقبح الدنيا؟ قال: إذا علمت أن زينتها فساد كل معين وأن محاسنها تفضي إلى كل حسرةٍ، قلت: فمتى أكتفي بأهون الأغذية؟ قال: إذا عرفت هلاكك الشهوات وسرعة انقطاع عذوبة اللذات، قلت: فمتى بلوغ التمام؟ قال: إذا كان زخر الدنيا عندك صغيراً وكان خوف الآخرة لك ذكراً.

وقال الأئمة الأنوار ﷺ: كل ما يُغسل منه الثوب يُغسل منه البدن إذا أصابه، وقالوا في الأرض تصيبها النجاسة، لا يُصلى عليها إلّا أن تُجفّفها الشمس وتذهب بريحها فإنها إذا صارت كذلك ولم توجد فيها عين النجاسة ولا ريحها طهرت.

ونهوا عن الصلاة في المقابر وبيت الحُش وبيت الحمّام.

قال النبي ﷺ: نظّفوا طريق القرآن، قيل: وما طريق القرآن يا رسول اللّه؟ قال: أفواهكم.

قال أمير المؤمنين ﵇: تنظّفوا بالماء من الريح المنتنة وتعهدوا أنفسكم فإن اللّه يبغض من عباده القاذورة الذي يتأففُ به مَنْ جلس إليه.

فالإسلام أمر بالطهارة، فطهارة الظاهر فرع وطهارة الباطن أصل، وطهارة الظاهر شرط لصحة الصلاة، كما أن طهارة الباطن شرط لقبول الدعاء واستحضار القلب لتلقي الفيض.

فكما لا تصحّ الصلاةُ التي صورتها من وظيفة الجوارح الظاهرة إلّا بتطهير الظاهر عن الأحداث وإزالة الأخباث، فكذلك لا تصحّ عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم إلّا بعد طهارته عن خبائث الأخلاق وأنجاس الصفات لأن الطهارة والنجاسة غير مقصورة على الظواهر المدركة بالحس، فالمشرك قد يكون نظيف الثياب مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ (التوبة: من الآية ٢٨) وقال النبي ﷺ: (لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب) فالقلب هو البيت والملائكة هم الجواهر العلوية فلا تحلّ قلباً فيه حسد وبغض وعجب وكبرياء.

ولذلك فإنه لا تحقيق للغرض إلّا بموافقة لسان الشرع، ومن أبى ذلك فلجهلٍ أو لسوء طبعٍ، وهذا يدل على أنّ الإنسان طالما هو في عالم الطبيعة أسير الهيولى فهو تحت منفعلاتها وحيث إن الإنسان مستمع للشرع الإلهي فهو قد يتخلص من تأثير جهاتها لمبدأ الفطرة وعند حصوله لنور الإسلام الذي يحفظه من ظلمة المادة ووسوسة الشيطان، فإذا تلوثت الفطرة من الوسوسة وسوء الظنون يحصل البعد والجفاء ويقع الحجاب على العين والقلب ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ

أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (الأعراف: ٢٢) ولذلك من مال إلى مرضاة الطبائع الغريزية وإشباعها من لذاتٍ بدنيةٍ وأفعال حيوانية وصفات بهيمية فهي بمثابة عين الأكل من ثمرات الشجرة المذمومة كانت أعماله المخالفة والنكران للحق فهو من أصحاب الشمال، فمهما خصف عليها من ورق وتزيّن للعيان ليُخفي نقصه المناسب لطبعه وتستّر بالرياش واستحى من إظهار مزجتها واستهجن إفشاءها لكونها عورات فهي من الشجرة المنهي عن أكلها فتنبت فيه النفاق والرياء والعدوانية المبيّنة، ومن ندم وتاب واستغفر فهو أقرب إلى أصحاب اليمين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة: من الآية ٢٢٢) عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: لقي النبي صلى الله عليه وآله حُذيفةَ فمدَّ النبيُ يده فكفَّ حُذيفةُ يدَه، فقال النبيُ صلى الله عليه وآله: يا حذيفةُ بسطتُ يدي إليك فكففتَ يدَكَ عنّي؟ فقال حذيفة: يا رسول اللّه بيدك الرغبةُ ولكنّي كنتُ جُنُباً فلم أحبَّ أن تَمسَّ يدي يدَكَ وأنا جُنُبٌ، فقال النبي صلى الله عليه وآله: أمَا تعلم أن المسلمين إذا التقيا فتصافحا تحاتّتْ ذنوبُهما كما يتحاتُّ ورقُ الشجرِ.

فحص في أغـوار الماء

مرادف لكلمة ماء: لُجّة غَمْرٌ عَذبٌ قراح سلسبيل وِرْدٌ.

أصل كلمة ماء من موه وجمعها أمواه ومياه ومن هذه الإشتقاقات تشققت كلمة ماهية وأخوتها من الترادف: الطبيعة والكيان والكُنْه والخِلقة والجِبلّة والنشأة والسجيّة.

وفي مصطلح القاشاني:

ماء القدس هو الشهود الذي يفني الحادث، ويبقى القديم تعالى، لأن صفة الحادث نجسٌ والتجلي الذي يطهّر ذلك النجس يسمى ماء القدس الذي هو المطهر، وقد يعني بماء القدس العلوم التي يحتاج إليها في تطهير النفس من رذيلتي الجهل بالعلوم الإلهية والتدبيرات الخلقية.

قال تعالى: ﴿أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ (البقرة: من الآية ١٦٤).

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ (الأنفال: ١١).

فرجز الشيطان هو وسوسة الضعف والهبوط في الوهن والنقص في المادة المظلمة فهذا هو القذر النفسي المظلم الذي بغشيانه على قوى النفس تغفو عن مطلبها وتسير في الضلالة فتتغشّاه القوى الطبائعية البدنية والصفات النفسانية فيكون من ظلمة النفس الإرتداد والكفر والشرك والشك والشبهة والنفاق والضلال وما يجري مجرى ذلك في القلوب ويسلك في الأوهام، فهذا الرجز المعنوي لا

يطهر بالماء المحسوس النازل من السماء السائغ شرابُه لإمتناع الأمر إلّا في ذلك، ولو كان كذلك هو الماء الطبيعي كان كلٌّ من المؤمن والكافر طاهراً به، ولذلك وجب أن يكون بخلاف ذلك وذلك نسميه تأويلاً وشرحاً وباطناً لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا﴾ (الفرقان: ٤٨).

فالمؤمنون الذين غشيتهم القوى البدنية والصفات الجسمانية والهيئات النفسانية وجرت عليهم قوانين المادة الكثيفة ولكن أدركتهم العناية الإلهية والألطاف الربانية بميلهم إلى الإقرار واستجابة الداعي فأنزل من السماء عليهم ماء الطهارة وأسبابها فكان الوحي والنبي مصدري العلم والتطهير النفسي والبدني الذي به خلاص النفس من السجون والأقفاص فارتبطت المعاليل بعلتها واتصلت المسببّاتُ بالسبب الموصول بالسمع والمنقول فقبلت القلوب العلم السماوي بالروح الأقدسي وثبتت الأقدام في نشأة علوم أرض الحيوات بعد الموات.

قال أبو سعيد الخراز قدسه اللّه:

مثل النفس مثل ماء واقف صافٍ طاهرٍ، فإذا حرّكته ظهر ما تحته من الحمأة، وكذلك النفس تظهر عند المحن والفاقة، ومن لم يعرف ما في نفسه كيف يعرف ربه تعالى.

حنين قلوب العارفين إلى الذكر	وتذكارهم وقت المناجاة للسّتر
وإن لربي صفوةً من عباده	قلوبهم في بحر حكمته تجري
أديرت كؤوسٌ للمنايا عليهم	فأُغفوا عن الدنيا كإغفاء ذي الذكر
همومهمُ جوالة بمعسكرٍ	به أهل ودّ اللّهّ كالأنجم الزهر
فأجسادهم في الأرض قتلى بحبه	وأرواحهم في الحُجب نحو العلى تسري
فما عرسوا إلّا بقرب حبيبهم	وما عرّجوا من مس بؤس ولا ضرّ

تــصافوا فــدانوا واســتقرّت قلوبـــهم بحيث يرون الغيــب في الغيــب كــالجهر

قال الصادق ﷺ: الماء يُطهِّرُ ولا يُطهَّر.

فالطَّهور إسم الماء لأنه يخبر عن ماهية الماء في الأصل ولما علمت أنّ هذه الصفات تجري من الماء وتدوم بدوامه، الذي هو أصل النشآت في سائر الأكوان، وهو سرُّ الحياة وسريانها في ماء العيون مما جعل بها مشاهدة الحيّ القيّوم واختلاف الألوان لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ۝ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا﴾ (الفرقان: ٤٩) فالحياة للقلوب العالمة الفاهمة حينما تُرفع الحجب وتسقط الغُلُف فتنكشف للتجلي ذي الفيض الجاري والمدد الرباني بالقبول والتلقي، وهذه هي الطهارة الباطنية التي تزيل اللبس والشك والران عن النفس والفرقة والأغيار عن وحدة المشهود بالذات، وإلاّ أن هذا البدن يتلبّد بصفة البلد ولا يهاجر فتموت مشاعره وتظظلم روحه وهذا ميت الأحياء ولو بصر بعينيه الشحميتين لهاجر مع نبي الرحمة، قال الصادق ﷺ (إذا أردت الطهارة والوضوء فتقدم إلى الماء تقدمك إلى رحمة اللَّه فإن اللَّه عز وجل قد جعل الماء مفتاح قربته ومناجاته ودليلاً على بساط خدمته كما أن رحمة اللَّه تطهّر ذنوب العباد كذلك النجاسات الظاهرة يطهرها الماء لا غير) إن معرفة المتجلي بذاته الغني بمشاهدة نوره دون تعلّق بصفة ولا تقييد في صورة يكون مجلاه يترقرق بالتلالي بستاريةٍ كضياء الماء النمير بالفيض البهير. فمن توفرت له هذه الومضة في طريقه وشاهد المعاين بلمعة الجمال المرصع بالهبوب وربح الشعاع فلْيطهّرْ بهذا التجلي مقادمَ وجوده من أجل الوصول إلى حظيرة القرب وروضة أنس القدس.

وإذا ما استطاع أن يتحصّل من ماء البسط الوجودي فلينظر في قيد مرآة التراب الذي هو مجلى الصعيد الطيب في كسوة اليد المرسوم في راحة كلٍّ منها ضرب المثال في مجمع صفات الكثرة البرزخية (١٨+٨١) فيكون بدءُ سراية

مفاتيح الحي حياة النفخ في صور الكلّ الذي تترتب في حيثيته أصل النشأة لقوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ (طه ٥٥).

تفكر في صفاوة الماء ورقته لا لون له ولطيف سريانه في كل قابل للحياة ولهذا يعود في المواد خضرة تسري وألواناً تزهو وتغري، وتطهير الأعضاء المأمور بجريان الماء ورشحه عليها، فبحركة حيوية الكفّ انفجرت كبرياء العيون التي امتزجت بحياة الأشياء فلذلك عليك أن تؤدي الشكر ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ (الفرقان ٥٤).

إن النفوس التي تخلو من رطوبة الحقائق لأمور منها: نقصان ذاتي للضعف الحاصل المقترن بعالم العدم ولا زالت آثاره فيه كالمتشخص بالتراب الجاف الفاقد للحيوات، ثم لكثرة المعاصي الموجبة لعروض الخبث من أجل كثرة الأغيار المخالفة وجمرات الشهوات يأبى أن بجري ماء الوضوء أو أثره على جوارحه، حيث تولد الإعراض في القلب عن أن يتلقى ماء المعارف من مواردها ليتطهر به، لأجل صرف همّه لتهيئة أسباب المعيشة لإحياء مملكة البدن لأجل الغور في الأعمال البدنية من دون تأمل في الحضرة الربوبية والإلتهات لتحصيل فنية المادة وغُفاشة الدنيا، فهؤلاء يلتزمون بالشرع الظاهري دون المقصود فلا ينكشف لهم شيء لوجود الحجاب الحاجب فيما بينهم وبين تلقي المعارف المنصبة من وحي ماء السماء، فهذا الحاجب قد يكون كالإعتقادات الحاصلة عن تقليد، ومنها حاصلة بواسطة العلوم النظرية بلا تطبيق فهذه الحجب المتلفقة تمنع النفس عن أن ينكشف لها قلب الحقائق.

فجريان أنهار الحواس الظاهرة والباطنة المرفودة من الماء الطهور ليجري في القلب حتى يحصل الإتصال بينبوع الحياة، فجريان الطهور هو نزول العلم إلى أرض القلوب، ففي الخلق الأول لمّا كان رشُّ الماء (النور الأول) الذي أصابهم على قدر نُبهة تعقلهم نزل في ليلة النفس بواسطة مجلى ملائكة القدر، ولما كان

الدور في عالم الدنيا لإتمام المعرفة إحتاجت النفوس إلى الحسيات وآليات المادة فتكثفت الأسباب فكان الماء والصعيد يرقّي النفس إلى درجة العقل لاختزان حقائق الماء الذي جعل منه الحيُّ القيوم قوام كل شيء، ولذلك يتجلى نوره في الحقائق والحقائق في العقول والعقول تمتزج في النفوس والنفوس تشفّ في الظواهر في حالات الأفعال والأقوال، ولذلك قال جبريل عند موت النبي ﷺ: هذا آخر نزولي إلى الدنيا والآن أصعد إلى السماء ولا أنزل أبداً.

فعن أهل العصمة ﷺ: فالتراب أحد الطهورين.

فالرب واحد لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (الزخرف: ٨٤).

فقوام تربية البدن بالغذاء ويستمد قوته ووضاءة صورته المغتذية مما تنبتُ تربة الأرض الذي يتحول بعد أكله إلى إستعداد قبلي علوي لباطن قلبي واستقبال سمعي من أرباب المعرفة وأفواه العلماء، وهذا الإستعداد هو الهوية التربوية من ترب البسيطات، فبكون التراب تكمن زكاة كل شيء التي تُنمّي الطَهورية وتُزيل العوارض الحدثية، كما يكون التراب رمزاً للتواضع والخنوع والفقر والذلّة لقوله تعالى: ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ (البلد: ١٦) أما قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا﴾ (النبأ: ٤٠) فالمستكبر عن الوضوء والسجود ينطق وجهه ويداه المتقذرتان من وسخ طينته حتى يسودّ جلدُهُ لترك النظافة والتطهر فيتمنى الإعادة والدور في كنان الربوبيات، فانشغال النفوس عن عالمها بهذه القوى البدنية فتجذبها إلى الأسفل فتغلبها الشهوات والرذائل.

فالماء المنزل من السماء لطيف لا يمازجه شيء فهو طاهر بنفسه مطهّر لغيره فالطهارة صفة لازمة وأما المبالغة في اللازم إنما تتضمن معنى آخر متعدياً كمثال العلوم اللدنية الباطنية التي لها طعم واحد ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ

﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ (البقرة: من الآية ٢٨٥).

﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: من الآية ٨٤) فالأنبياء والأولياء المعصومون وإن اختلفت شرائعهم وطرقهم ومشاربهم فقولهم متحدٌ في الدعوة للّه عز وجل، وهذا هو الإعتماد في الطهور باطناً وظاهراً، فالعلم نور تظهر به حقائق الأشياء وكمال النفس أن تتصل بإشراقه فيفيض عليها بالتجريد من العلائق الطبيعية.

أما ماء العيون والآبار والأنهار والبحار فهو مختلف الطعم واللون بحسب البقعة وطبقاتها ولون التربة التي هو فيها أو خرج منها، وهو المشار إليه في العلم المستفاد من العقول السليمة وأصحاب العقيدة الصحيحة التي لا يخلو من شائبة التغيّر بحسب مزاج الشخص واستقاء مادته، فعلى قدر القبول والطاقة يستعذب سقايته من الماءين ويناسب مشربه.

سُئل جعفر بن محمد ﷺ عن الماء الذي فيه الجيفة والميتة؟ قال: إن كان قد تغيّر لذلك طعمُه أو ريحه أو لونُه فلا يُشرب منه ولا يُتوَضأ ولا يتطهر منه.

هذا الماء إن كان تغيّر من قبل مادة قهرته أو من نجاسة لوثته، وأما إن تغير بغير نجاسة لتقادم حصره أو لنبات وشجرٍ فيه مما ليس بنجاسةٍ فكان لذلك آجناً فهو على طهارته وإنما يَنجُسُ الماء بتغيير النجاسة التي استهلكت جوهريته وعلى هذا حكم الآبار والغدران والسواقي.

فالماء المطلق في كون الجبلّات مركّب من عناصر لطيفة، فتعداد الأعضاء الأربعة - الوجه واليدين والرأس والقدمين (الرجلين) - التي يكشف سرّها الوضوء بعدد لطفية العناصر (الهواء والماء والنار والتراب) فاستحقّ العقل الها والروح الما والنفس النا والجسم التا، تقابله أركان الصلاة والزكاة والصيام والحج، بعدد أنوار أهل البيت العلوي الطاهر، ولذلك فالهواء للأنف والماء للفم والنار للمعدة والتراب للرجلين، ولذلك فلا يتصل بهذه الأكوان اللطيفة إلّا من غسل وجهه

ويديه من منبع فيض الحياة، ومسح بفضلة رطوبة الفيض من الرأس إلى القدم، أي من أول محل الإدراك إلى منتهى آلة التحريك والنُقلة، وهكذا يكون قد استعدّ للدخول إلى حيّ الحبيب ليطوف مطهّراً بوضاءة الصورة الكاملة، كما ورد عن الإمام علي ﷺ: إن اللّه لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم.

وقال العارف الآملي: والماء إن قلنا من المركبات فذلك ظاهر لأن جزء كل مركب ماء عنصري صوري الذي تركب منه وبه بدن الإنسان لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً﴾ (الفرقان: ٥٤) وإن قلنا من البسائط كذلك يرجع إلى الهيولى الكلية التي كان العرش عليه قبل إيجاد العالم وما فيه ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ (هود: من الآية ٧) وبالجملة للكل حياة مناسبة لحاله فإن شئت سمّها علماً ومعرفة وإن شئت سمها ماء عنصرياً وإن شئت هيولى كلياً لا مشاحة في الألفاظ.

بهذا الوضوء الجاري على الأعضاء بمادته اللطيفة فتعشق النفس صور تمام الطهارة فيجذبها العالم القدسي وتتصل بأبيها المقدس وتتبرأ من فروعانية الظلمات لقول أرسطو: خاطبني جوهر من الأنوار العالية بكثير من الحقائق والمعارف فقلت: من أنت؟ قال: أنا طباعك التام.

ولما جاورت الحديدة النار فصارت حامية تتشبه بالنار بفعل الإحراق فلا تتعجب من نفس استشرقت واستنارت واستضاءت بنور اللّه فأطاعها عالم العنصر والكون.

في التخلي والاختلاء

إن الوقوف بين يدي الله في أي مكان بعد توفّر الشروط فيه وأي وقتٍ وحاجةٍ يستدعي طهارة البدن والثياب ليكون الإستعداد تاماً وخصوصية الصلاة قربةً ومنجاةً، وهذا يستدعي من العبد أن يُخرج الثقل والتفل من جوفه ليخفَّ البدنُ في القيام والإنتصاب وينشط في المحراب والتوجه وهذا ينبغي للنفس أن تُميط كل أذى وقذر ووسخ يبعد المرء ويحجبه عن ربه ويؤذيه في الطريق، فامتلاء البطن من ثقل الفضلات هي رجز من الشيطان لأنها في مدينة الجسم لا منفعة لها بل هي مثيرة الفتن والعلل ومنشأ الآلام والأسقام في هذا الهيكل فالبدن المنشغل بالفضلات يشتت قوى النفس ويضيّع طاقتها وتركيزها، وإذا عدنا إلى كلمة خلاء وأخواتها نحصل على المعاني المنطوية فيها ومن ذلك: خلا المنزلُ من أهله خُلوّاً وخلاءً فهو خالٍ، وأخلى البيتَ جعله خالياً، وخلا الرجلُ بنفسه أي إنفرد، وخلا بحبيبته خَلوةً أي استمتع بها وهذا غير الدخول، وخلا من العيب خُلوّاً أي بريءٌ منه فهو خَليٌّ، والخُلوُّ مصطلحاً هو تنازل المرء عن حقه بعوضٍ ومنه تنازل المؤجر عن حقه في إخلاء المستأجر من العقار عند انتهاء مدة الإجارة بعوضٍ.

الخلاءُ وهو الفضاء أي المكان الفارغ الذي لا يشغله جسم آخر، وبيتُ الخلاء الكنيف ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ (النساء: من الآية ٤٣) أي المكان المطمئن من الأرض بحيث يستر المتغوّط فلا يراه أحدٌ، فينبغي أن يستتر بشجرة أو بُنية جدار أو يجمع كثيباً من رمل هذا إن كان في الصحراء ولو أناخ راحلته واستتر بها أو جلس في وهدة كي يحصل المطلوب، يقول الشبلي: إن أردت أن تنظر إلى الدنيا بحذافيرها فانظر إلى مزبلة فهي الدنيا، وإذا أردت أن تنظر إلى نفسك فخذ كفاً من تراب فإنك منه خلقت وفيه تعود ومنه تخرج، وإذا أردت

أن تنظر ما أنت فانظر ماذا يخرج منك في دخولك الخلاء! فمن كان حاله كذلك فلا يجوز أن يتطاول أو يتكبر على من هو مثله.

جاء نفرٌ من اليهود إلى رسول اللّه ﷺ فسأله أعلمهم:

لأي شيء فرض اللّه الصوم على أمتك بالنهار ثلاثين يوماً؟.

فقال النبي ﷺ: إن آدم لما أكل من الشجرة بقي الطعام في طينته (بطنه) ثلاثين يوماً، ففرض اللّه على ذريّته ثلاثين يوماً الجوع والعطش والذي يأكلونه بالليل تفضل من اللّه وكذلك كان على آدم ففرض اللّه على أمتي ثم تلا الرسول ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٨٣). ويقال في كنايات طلاق المرأة هي خليّةٌ، وللرجل خالي أي لا زوج له أي للزوج الذكر والأنثى.

وروي عن الإمام علي؈: إنه إذا اختلى لقضاء الحاجة قال: بسم اللّه اللّهمّ إني أعوذ بك من الرجس النجس الخبيث الشيطان الرجيم، فإذا خرج قال: الحمد للّه الذي عافاني في جسدي والحمد للّه الذي أماط عني الأذى.

وعن أبي عبد اللّه جعفر ؈ إنه قال: إذا دخلت المخرج فقل: بسم اللّه وباللّه أعوذ باللّه من الرجس النجس الخبيث المُخْبِثِ الشيطان الرجيم، اللّهم كما أطعمتنيه في عافيةٍ فأخرجه مني في عافيةٍ، فإذا فرغت فقل: الحمد للّه الذي أماط عني الأذى وهنّأني مساغ طعامي وشرابي.

قال زين العابدين ؈: يُتَقَى شطوط الأنهار والطرق النافذة وتحت الأشجار المثمرة ومواضع اللعن، قيل: وأين مواضع اللعن؟ قال: أبواب الدور.

ونهى النبي ﷺ أن يبال في الجحر للتأذي بذلك، كما نهى عن الإستقبال للشمس والقمر والقبلة في البول والغائط ولو فعل وبينهما حائل لم يكره وان يجتنب مهاب الريح.

ونهى المعصومون عليهم السلام عن الإستنجاء بالعظام وكل ماهو طعام أو أصله طعام، والإستنجاء بالحجارة والخِرق والقُطن وأشباه ذلك وثم يستنجي بالماء حتى تزول بقية العين والرائحة ويغسل بالماء موضع خروجها حتى لا يبقى أثرٌ من آثارها، أو بالإستجمار حيث كان الحجر آلة لدفع كل ما يقصد تبعيده فيقوى به على التطهير ونحصل فائدة الطهارة، وفي ترك الإستنقاء في الإستبراء من البول وعيد، قال ابن عباس: مرّ رسول اللّه ﷺ على قبرين فقال: إنهما لَيُعذَّبانِ وما يُعذبان في كبير، أمّا أحدُهما فكان لا يستبرئُ أو لا يستنزّه من البَوْلِ وأما هذا فكان يمشي بالنميمة، ثم دعا بعسيب رطب فشقه اثنين ثم غرس على هذا واحداً وعلى هذا واحداً وقال: لعلّه يُخفّفُ عنهما ما لم يَيْبَسا).

فالتخلي هو التخلص من الفضلات الظاهرة والباطنة لأنها تثقل البدن والنفس تشغلها بتدافعه الثقيل وهذا مطلوب عقلاً فيصير عنواناً ومقدمةً لتطهير القلب من جميع الأدناس والبراءة من النفس ليخلو البيت من صفات وحشية السبعية والبهيمية.

في السَّتر والسِّتر

في العموم محلّ الستر والصون هما العورتان لقوله (لعن اللَّه الناظر والمنظور إليه) والستر شرط في الصلاة واعتبر زينة وكمالاً للأركان فلا يجوز تركُ الأركان، قال الباقر ﷺ (إذا صلّى أحدكم فليلبس ثوبيه فإن اللَّه تعالى أحق أن يتزين له وأن يصلي في أحسن ما عنده من ثيابه ويتعمم ويتقمص ويرتدي).

كما هما محل إخراج الأذى من حوايا البطن التي تُثقل الجسم كما هما سوءتان أي مائلتان إلى ما توسوس به النفس إلى الميل للشهوة القادحة في الدين ﴿ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (الروم: ١٠) فكما يجب تطهيرهما من هذه الأخباث بالماء الطاهر أو بغيره مما لا حرمة له، ففي النفوس الحمئة من شواظ النار والنحاس تحرّك عورتها وفي النفوس البليدة تحركها حاجة الغريزة وكلها من حركات هيجان الغريزة والأفكار الردية والشُبَه المضلّة فالعلم بأحكام الدين ومعرفة اللَّه وتصديق رسله يعقل المؤمن النفس ويُخرجها من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام فتستجمر مع الجماعة بقواها العشر.

السِتر: السِترُ ما يسترك عن غيرك تقول تسترت بالحائط وهو الحائل لك من الرؤية أما السَترُ هو نفس الحجاب والسِتر هو المستور والسَتر هو المستور به أي الحجاب المانع وهو عين الممنوع به.

وهو عبارة عن النفس التي هي كالستر للنور العقلي الذي هو منبع الأنوار، فلو لم يكن الستر لاحترق بنور العقل كلُّ ما في عالم الوجود، فهي النفس كالستر الملقى على وجه العقل الذي ضياؤه غير متناهٍ.

السِّتْرُ = هو الخفاءُ عن البعض مع حالة الشهود، كالذي يستر سِرّه ولا ينكشف.

السِّتْرُ = هو الحجاب الحاجب الذي يستر مَن وراءه لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ (الكهف: ٩٠) ولذلك تقول لبس سترته التي تستر جسمه.

النفس التي ترى ذاتها في الحضرة تستر جميع عوراتها الظاهرة والباطنة لانشغالها بالأدب لأن كشف العورة الباطنة أقبح وأفضح من العورة الظاهرة وهذا ما يُستَدل به على المتهتكين والإباحيين لسوء باطنهم وقبح سريرتهم ﴿ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ﴾ (النور: من الآية ٥٨) فخبث العادات وذمائم الأخلاق وسوء التربية هي التي تُسقط الإنسان عن محضر الأدب والحشمة والعفّة فتُبدي العورات وهي أصل المعايب ولهذا النوع من المبرزين عوراتهم تفضح باطنهم وسوء نياتهم لأنهم لا ستارية لهم ولا حجابية مع الغفار الستار، ولذلك حضّ الحق عز وجل ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور: ٣١) فعلى الناظر والمستمع للآيات أن يبدل أوصافه وأخلاقه السيئة بالأوصاف والأخلاق المرضية ليفنى بكلمات الله عز وجل طاعةً ويبدّل ظلمة النفس بشروق أنوار الأرض حتى يستتر تحت حجاب الكبرياء كما في الحديث (إن أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري) فمن أسقط أنفة إبليس وكبرياء الشيطان وطرح الإضافات تستر بحجاب الأخلاق والآداب لقول الصادق ﷺ (أزينُ الناس

للمؤمنين لباس التقوى وأنعمه الإيمان) وهذا متصل بلباس الظاهر لأنه النعمة الساترة العورات وبها تستتر من الذنوب فلباس الظاهر منعقد بلباس الباطن المستتر بالطاعة، سئل الباقر ﵇ عن الجلد الميت أيلبس في الصلاة؟ قال: لا ولو دبغ سبعين مرة. ونهى النبي ﷺ عن جلود السباع. والرضا﵇ سئل عن جلود السباع قال: لا تصلِّ فيها. قال النبي ﷺ: الميتة نجسة وإن دبغت. وقال الصادق ﵇: إن كل شيء حرام أكله فالصلاة في وبره وشعره وجلده وبوله وروثه وكل شيء منه فاسد لا تقبل تلك الصلاة.

وما جاء عن الصادق ﵇: إنه سئل عن فراء الثعلب والسنور والسمور والسنجاب والفنك والفاقم؟ فقال: يلبس ولا يصلى فيه ولا يصلى بشيء من جلود السباع ولا يسجد عليه وكذلك كل ما لا يحل أكل لحمه وهذه كلها لا يحل أكل لحمها ولا تحل الصلاة في جلدها.

فكشف العورات من نسيان الذنوب وسوء الخُلق فيشتهر بالفضائح فسوء اللباس ما يُشغلك عن ذكر اللّه ويُنسيك ما ستره عليك من ذنوب ومعاصي وأنت تفضح نفسك بالغفلة والبعد عن الستر حتى في الأمور العادية ولهذا يقسو القلب ويرتفع الحياء وينفخ الغرور والتفاخر بالآفات والجاهلية ولهذا يكون الإنسان يعمل لغيره ويبيع رأس ماله ويقعد أخيراً مع المفلسين بلا غطاءٍ ويجلس مع البطالين بثوب الذل والمهانة ناسياً ذنوبه ومعتمداً على أمارة السوء فلن يفلح أبداً ﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾ (المائدة: ٢٢).

إسدال في الصلاة

الحكمة في الصلاة اقتضت أنها شفعية للقسمة التي وقعت بين العبد والرب، كما في الحديث قسمت الصلاة بيني وبين عبدي، ولذلك فالصلاة أقلها ركعتان، لأن الإثنين أول الأزواج ومثنى الأعداد للدخول في حركة قسمة الزمان، فإذا أتى بها العبد تميّز الرب من المربوب والعبد من المعبود، وستارية هذا في صلاة الصبح التي هي ركعتان لأنه وقت طلوع النور الغيبي على هياكل الممكن الذي هو الزواج الحقيقي، ومن البيّن أن الشيئين إذا تآلفا كانا شيئاً واحداً ولهذا كانت الركعتان في الصباح صلاةً واحدةً، وكذلك المغرب أضيفت لها ركعة فهي ثلاثة وكذلك الظهر والعصر والعشاء الآخرة، فالصلاة أقلها ركعتان لأن الإثنين أولُ الأزواج، فالإتيان بها تمييزٌ بين العابد والمعبود والخالق والمخلوق كما في وقت الصبح الطالع على هياكل الممكنات بآثاره فيمحو المعدوم لإثبات المعلوم عند استيلاء نور الألوهية على الأظلة في النور الغالب عند ذلك الوقت.

أما وقت المغرب فهو ثلاثة ركعات وهو أول الأفراد، وأما الصلاة الرباعية دلالة على الواجب بالذات والممكن بالذات والغيب والشهادة، الشرق والغرب، المشرق والمغرب، المطلع والمغيب، فعند العارفين المشرق قلب الإنسان الكامل لأنه مشرق شمس الوجود فما كان مشرقاً يصلح أن يكون مغرباً، والغرب جهة بلاد المغرب، فالعشاءان صلاة المغرب والعشاء الآخر، في الحديث (خلق الخلق في ظلمة ثم رشّ عليهم من نوره) فهذه الظلمة محتوشة بنورين نور الإيجاد ونور الوجود ولهذا وقعت الظلمة محفوفة بين نور الفطرة ونور التزكية الكسبية وتحليتها بالإجابة، فمن النفوس قد تطهّرت ومنها قد تدنّست من ظلمة وهمها وحيرتها

المكتسبة من احتفافها بالعدم ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٢) أي أظلم وجه فطرته واستعداده بصدأ الحيرة وسوء الظنّ وخسة التخمين حتى عميت بصيرته أشدّ مما كان منه.

العشاء كناية عن إظهار العدم الإضافي المقدّر المصور بنور الوجود الحق بعد غروب شمس الأحدية.

فالعشاء المذكور هو اختلاط نور وجود الحق بحجاب ظلمة النفس على الشاكين والمحجوبين، وهذه الحجب عندما وقفت الروح لتتحقق هويتها بالفناء حتى تضمحلّ رسومها بوجود تجلي المحبوب الكاشف عن الاسم والصفة فعند الوقفة والظنّ تنكشف الحجج لأهل البصيرة وتعمى أهل الحيرة والجحود وفي الوقوف بعرفة مثال المحاكاة فتتعرّف على خالقها بالتلبية والإجابة لكل ما دعا له الداعي ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ (البقرة: من الآية ١٩٨). وقال حسنة الزمان ونكتة الأوان:

وفي عرفات الوصل عرّفني الهوى مقام ازدلافي في الغرام بزلفتي

في البيت جناس الإشتقاق بين عرفات وعرّفني والبيان بمعنى المعرفة (أصل وفرع ومفروع) ففي جبل عرفات كانت المعادلة الكونية وحصلت المعرفة الثابتة في هذا التجلي في ذلك المكان المقدس الدائم بالفيض المجدّد حركة الجدّ والإجتهاد للبلوغ والتمام لكل ما كان ويكون فكانت الإشارة للمحبوب الدائم بميل هوى القلوب لجوده وكرمه، وبين عرفات وعرفّني جناس شبه الإشتقاق كما في ازدلاف وزلفتي، فالمادة (ع ر ف) و (ز ل ف) التي تفرّع منها الفعل والاسم والمكان وشبه الإشتقاق من إسم الإسم وفيه كمال الرقة بين الهوى والغرام ولما كان الهوى حركة لطيفة يتنسمها المشتاق ليملأ صدره انجذبت لها الروح بالوصل العرفاني الطيب فأثقلني غرامي غرماً حتى أرغمني بالديون، وعرفات كناية

عن جبل الكليم الذي تلاشى من لمعة النور فكان الفرع الحاضر حقيقة الكل الرافع للزمان والمكان والرفيع عن القيد والصفة بالذات، فكان الإتصال بسابق المعرة فثبت المقام وتحققت الزلفى.

* * *

الإسلام والإيمان

عن سماعة قال: قلتُ لأبي عبد الله ﷺ: أخبرني عن الإسلام والإيمان أهما مختلفانِ؟ فقال: إنّ الإيمان يشارك الإسلام والإسلام لا يشارك الإيمان، فقلت: فصِفْهما لي، فقال: الإسلام شهادة أنْ لا إله إلّا اللّه والتصديق برسول اللّه به حُقِنَتْ الدماء وعليه جَرَت المناكحُ والمواريثُ وعلى ظاهره جماعة الناس، والإيمان الهدى وما يثبت في القلوب من صفة الإسلام وما ظهر من العمل به والإيمان أرفع من الإسلام بدرجة، إن الإيمان يشارك الإسلام في الظاهر والإسلام لا يشارك الإيمان في الباطن وإن اجتمعا في القول والصفة.

عن حمران بن أعين عن أبي جعفر الباقر ﷺ قال: سمعته يقول: الإيمان ما استقرّ في القلب وأفضى به إلى اللّه عز وجل وصدّقه العملُ بالطاعة للّه والتسليم لأمره، والإسلام ما ظهر من قولٍ أو فعلٍ وهو الذي عليه جماعة الناس من الفِرق كلها وبه حُقنت الدماء وعليه جرت المواريث وجاز النكاح واجتمعوا على الصلاة والزكاة والصوم والحج، فخرجوا بذلك من الكفر وأُضيفوا إلى الإيمان، والإسلام لا يَشْرِكُ الإيمان والإيمان يَشركُ الإسلام وهما في القول والفعل يجتمعان، كما صارت الكعبة في المسجد والمسجد ليس في الكعبة وكذلك الإيمان يَشرك الإسلام والإسلام لا يَشرك الإيمان وقد قال اللّه عز وجل: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ (الحجرات: من الآية ١٤).

فالإيمان هو الإقرار بوجود اللّه عز وجل وهو بعد العلم اليقيني بوجوده والإسلام هو بمكانة التصور أو الجسم لأن الإسلام هو الإنقياد لأحكام شرع اللّه عز وجل فقد يكون باللسان والإنقياد في جميع الأحكام التي شرعها للأنام

ظاهراً، فإذا كان بالقلب فهو الإيمان فيكون هو التصديق بالعمل أو بمثابة الروح وهذه درجة ورد في الخبر (أفضل العبادة معرفة اللّٰه) فالإنقياد هو تصحيح النسبة للّٰه تعالى فيطهر المسلم من دنس الجاهلية وينظف من رجس الشرك وكفر الأعراب لأن الإسلام يرفع صاحبه ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ (الصف: ٩) فأيّ شرف أعلى من الإنقياد لأوامر اللّٰه عز وجل ونواهيه لقول الرسولﷺ (المسلم من سلم الناس من يده ولسانه وعينه).

قال علي ﷺ (لا شرف أعلى من الإسلام) فكون الإسلام أعلى من كل شرف لغير اللّٰه، فلأن الشرف مطلقاً باعتبار الكمال الدنيوي كالجاه والمال والنسب وغيره، أو كمال أخروي كالعلم والمعرفة والزهد وغيرهم فالشرف هو الإنتساب لصفات العزّ والإكتمال فأي شرف أعلى من الإنقياد لطاعة وأوامر اللّٰه والإنتساب لتحصيل أنواع الكمالات وينبوع الخيرات والسعادة، لقوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (البقرة: ١٣١) فالمسلم لا ينازع دينه ولا يحكم إلّا بما أمر وحكم اللّٰه فيسلم الناس من شره ويأمنون من بوائقه.

الدين: هو الطاعة والإنقياد وما يُطاع به المعبود فيتحقق بأن يكل العبد جميع أموره إلى اللّٰه فيطيعه بأوامره ونواهيه بلا تفريق ولا انتقاء، ودان له أي أطاعه وخضع له وسرّ ذلك ﴿فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ﴾ (النجم: ٩) فمن سلك طريق الحق وسبيل الأنبياء وسيرتهم التي أخرجوها للناس فقد تداركته العناية الأزلية وبلغ في القرب فسعد في الوصول، والدين جمعه أديان وهو الشريعة الصادرة بواسطة الرسل والمقيدة بأحكام واحكام، فالديانة والدين بمعنى واحد، ويأتي الدين لغةً بمعنى العادة والشأن، يقال: دانه: أي أذلّه واستعبده، ودانه ديناً أي جازاه، كما تدين تدان أي كما تجازي تجازى بفعلك لقوله تعالى:

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ (الصافات: ٥٣) أي مَجزيون، ومن أسماء الحق (الديّان).

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ (المائدة: من الآية ٣) فمن سار بسيرة نبيه وسلك طريقة وليه فقد ثبت في عقيدته وصحّ يقينه فوصل إلى معرفة الأسماء وشاهد مقامات السماء، قال النبي ﷺ مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى داراً فأحسنها وأجملها وأكملها إلّا موضع لبنة من زاويةٍ من زواياها فجعل الناس يطوفون ويعجبهم البُنيان فيقولون: ألاَ وضِعتْ هاهنا لبنةٌ فيتم بناؤه! فقال النبي ﷺ: فأنا تلك اللبنة.

البلــوغ

بلَغَ: يَبْلُغُ بُلوغاً وبَلاغاً الغلامُ: أدرك سنَّ الرشد.

بلغ: أدرك وصل إنتهى إلى، تناهى.

بَلَغَ: أدرك، إحتلم، شبَّ. وضدها: هَرِم أسَنَّ شاب شاخَ كبُر.

البلوغ هي المرحلة التي يقدر الإنسان عندها ذكراً وأنثى أن يؤدي وظائفه ويقيم واجباته.

وقد عبّر القرآن الكريم عن مرحلة هذا البلوغ عند الإنسان ﴿وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَـٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ (النساء: من الآية ٦).

فعلامة البلوغ في الفقه هو الإحتلام أو الإنزال وهذا من صفة الذكر والحيض والطمث من صفة الأنثى، فهذه الصفات دالة على البلوغ الخَلقي.

عند الرُماني: ما البلوغ؟ الجواب: المصير إلى حد من الحدود، بلغَ يَبلُغ بلوغاً وأبلغه بلاغاً وبلّغه تبليغاً وتبلّغ تبليغاً وتَبالغَ تبالغاً والبلوغ والوصول واحد.

الحديث الشريف: رفع القلم عن ثلاثة (عن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يفيق، وعن النائم حتى يستيقظ).

المشهور في البلوغ عند الذكور هو أن يكون سنُّهُ في الخامسة عشرة سنةً وتارةً بإنبات الشعر الخشن وتارةً بإنعقاد الإمناء، والبلوغ عند الصبية بحصول الحيض، وهذا البلوغ الحاصل في طبيعة الجسم يعني أنه قبلَه فصار تحت قلم التكليف ومن ثَمَّ بلغ وقت الكتاب عليه أي التكليف وجب عليه، فيجب على

البالغ أن يبادر إلى البحث والفحص عن أحوال طريقه ومذهبه الذي يوصله إلى براءة الذمة ومن ثَمّ إلى طريق النجاة والطمأنينة، في الكافي عن الصادق عليه السلام: أن اللّه خلق قلوب المؤمنين مطوية على الإيمان، فإذا أراد إستنارة ذلك نضحها بالحكمة وزرعها بالعلم، والزارع لها والقيّم عليها رب العالمين، إلّا أنه لما كان الإنسان جاهلاً بكيفية العمل وهو في مقام الإستفادة مما منحه اللّه تعالى من العقل والإمكانات الذاتية والإيمان الإجمالي والتوحيد الفطري فأكرمه اللّه تعالى بالإسلام أي بالتكاليف الإلهية حيث إنها هي الطريق للوصول إلى الإمدادات الربوبية فإذا التزم العبد في مقام العبودية اتصف بالمعرفة الإلهية.

هذه المرحلة من زمان ومكان كونيان حتى تلبست الماهية بالوجود فتمايزت في البلوغ بحيث وصلت باستعداد القوى لتلقي قبول البلاغ النبوي فيصحَّ بها أن تمتثل للحكم الشرعي الموجه بالخطاب النبوي لقوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (ابراهيم:٥٢) فالبلوغ شرط وجوبي على من تجب عليه الصلاة وتُقبل من العاقل لأنّ البلوغ التام يكون بالعقل وإلاّ فلا ينفع بلوغ الجسد ممن لا يدري ما ينفع ويضرّ.

قال النبي صلى الله عليه وآله: من بلغه أني أدعو إلى لا إله إلّا اللّه فقد بلغه.

أي أُلزم بالتكليف من غير جبر.

قال أمير المؤمنين عليه السلام (العقل شرع من داخل والشرع عقل من خارج) أي مبين للطريق كالسراج وورد في حديث: العقل وسط الكل.

من معاني بلغ بلوغاً وبلاغاً أي وصل إلى مراده وانتهى إلى غايته، وبلغ مقلوب غلب، فالبلوغ تمام الصورة ويكون قد وصل إلى الشيء صلوحه فيجري عليه التكليف المساوق الوجود وهذا التأخير ذاتي فإما أن يتجاوز الحدود وينقلب على تكليفه وهو الملح الأجاج وإما أن يلتزم بالحدود وهو العذب الفرات لقوله تعالى: ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ

فِيهَآ أَبَدًا﴾ (الجن: ٢٣) فمنشأ الطينتين بحسب القابلية والإختيار والفعل بمقتضى الإقرار والإنكار.

قال الصادق‌عليه السلام: (لا تتمّ الصلاة إلّا لذي طهرٍ سابغ وتمام بالغٍ) فالبلوغ التامّ يكون باستيعاب العقل حدود الأوامر والنواهي وما يصلح وما يفسد وما ينفع وما يضرّ وإلاّ لا ينتفع ببلوغ جسده لأن البالغ العاقل هو الذي يعقل الخطاب عن مولاه بما أراد من الأمر والنهي وكلّ ما ألقاه في سرّه واستودعه في طينته حتى يفرق بين خواطر القلب فيمن هو من عند اللّه ومن هو من هواجس نفسه ومزجته، وفي هذا البلوغ تنفعه الطهارة الباطنية على الحد المشروع.

﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ (قّ: من الآية ٣٨) لغب مقلوب بلغ ومعناها التعب والعياء والكذب والفساد، فالذين صلحوا فحق فيهم القول (انتهى المخلوق إلى مثله وألجاه الطلب إلى شكله).

فالذين مسهم اللغوب هم الذين غلب إمكانهم كونهم فظهر الخبيث أو جهةُ العدم وخلقوا منه ثانياً بعملهم النوعي والشخصي وهم ذلك عن اختبار وتكليف أي هم من الذين غلبت ماهيتُهم وجودَهم.

وقد عرفت كما تواتر عقلاً ونقلاً أن محمداً صلى الله عليه وآله هو المبلّغ للمكلفين والطالب منهم في الذرو الأول والثاني وفي كل الدعوات والمبيّن لهم كل ما يحتاجون إليه بقدر استعدادهم وطاقتهم من الكتاب والسنة والولاية تمام النعمة.

بهرمانيات في السجود

إنّ للسجود صوراً فعلية لا تثبت إلّا بها كما له مقامات عقلية ومراتب فعلية يترقى بسبحانيتها المؤمن من لسان القول والفعل إلى لغة العقل ومن مقام الصفات إلى ملاحظة بهرانية الذات بلا توسط مرآة فيستجير بها منها ويفرّ منها إليها لقوله تعالى: ﴿لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾ (التوبة: من الآية ١١٨) بقول النبي ﷺ في سجوده: (أعوذُ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك) فاستعاذ أولاً ببعض أفعاله من بعض، ثم ترقّى إلى مصادرها فاستعاذ ببعض صفاته من بعض ثم ترقى إلى ملاحظة خطاب الحضرة الذاتية فاستعاذ به منه، وهذه المراتب حين أُمِرَ بالقرب في قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ (العلق: ١٩) ولما نزلت ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ (الأعلى: ١) قال رسول اللّه ﷺ: اجعلوها في سجودكم.

عند الرماني: ما السجود الجواب: الخضوع بالعبادة أو الدعاء إلى العبادة، فكل شيء من المقدورات فهو يسجد بالدعاء إلى العبادة بما فيه من الآية التي تقتضي الحاجة إلى اللّه عز وجل، وكل محق من العبادة فهو يسجد بالعبادة.

ما السجود؟ الجواب: خفض الجبهة بالوضع على بسيط من أرضٍ وغيره وأصله الإنخفاض.

كما يأتي السجود لآدم بمعنى سجود التحية والمكرمة وهذا يدل عما يوجب من المسارعة إلى طاعة اللّه عز وجل كما سارعت الملائكة عليهم السلام للسجود لآدم من غير أنفةٍ كما أنف إبليس ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ (الحجر: ٣١).

فالسجود التكويني وهو أنه اعترف بالخالق وبالعلة الأولى، وأما السجود الإختياري من خلال الحركة الذاتية العقلية فهذا الذي امتنع عنه إبليس ولذلك جنوده يصلون ويصومون ويتمسكون بالظواهر ويقفون عند حدود الإسلام والحواسّ واللباس ولمّا يدخل الإيمان في قلوبهم ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ (الروم: ٧).

قال أبو سليمان الداراني: سألت معروف الكرخي عن الطائعين للّه، بأي شيء قدروا على الطاعة؟ فقال: بإخراج الدنيا عن قلوبهم ولو كان في قلوبهم منها شيء لما صحت لهم سجدة واحدة.

(ورد في كتاب الأمالي للصدوق) أن ذا القرنين لما انتهى من عمل السد، انطلق على وجهه فبينا هو يسير وجنوده إذ مرّ على شيخ يصلي فوقف عليه بجنوده حتى انصرف من صلاته، فقال له ذو القرنين لِمَ لم يرعْك ما حضرك من جنودي؟ قال: كنت أناجي من هو أكثر جنوداً منك وأعز سلطاناً وأشد قوةً ولو صرفت وجهي إليك لم أُدركْ حاجتي قبله، فقال له ذو القرنين: هل لك في أن تنطلق معي فأواسيك بنفسي وأستعين بك على بعض أمري؟ قال نعم إن ضمنتَ لي أربع خصال: نعيماً لا يزول وصحة لا سقم فيها وشباباً لا هرم فيه وحياة لا موت فيها، فقال له ذو القرنين: وأي مخلوق يقدر على هذه الخصال؟ فقال الشيخ فإني مع من يقدر عليها ويملكها وإياك.

وعند العارفين أن السجود هو مقام فناء المادة بالمدة وتسليم الأعضاء لأصلها وهو طواعية الكثافة الجاسية للطافة والليونة وإشارة ذلك أن الكل هالك عند إشراق صبح الوجود ويبقى وجهه الكريم فلا شيء يشبهه بل هو هو ولا شيء غيره لأنهم موجودون به وقائمون به ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (القصص: ٨٨).

سجــود الســهو

سجدة السهو: السهو هو عدم التفطن للشيء مع بقاء صورته في الذهن أو معناه في الخيال بسبب اشتغال النفس بعارضٍ والتفاتها سهواً أو نسياناً إلى بعض مهمّاتها الظاهرة فيلحق الشكُ المصلي في تقصيرٍ أو زيادةٍ أو نسيانٍ، أما الغفلة: عدم خطور الشيء في البال بالفعل فهي أعمّ من السهو.

قال الرضا ﷺ (وإنما ينسى ويسهو المخلوق المحدَث).

فليس للمخلوق مما يمتنع عنه أو يغيب عنه شيءٌ ما أن يتركه أو يدعه، ويأتي النسيان بمعنى تأخير الأمر ولم يعمل به، أما السهو هو انشغال الفكر بأمرٍ ما عند تزاحم الأمرين، والنسيان هو انشغالها بالهوى والدنيا وهو ميراث الغفلة.

تعريف السهو: هو السكون واللين، والسهوة الأرض اللينة التربة، ولذلك يأتي السهو في الشيء أي تركه من غير علمٍ، وقد تأتي سها عنه أي تركه عن علمٍ، فالسهو حيثما كان هو ضعفٌ، أما في الصلاة فالمقصود من السهو هو الغير مقصود ويغلب عليه الضعف في النفس، ولذلك نجبر كل زيادة ونقصان في الصلاة بسجدتي السهو في المقام قبل القيام بما ضيّعنا أو نسينا لينال المصلي العفو والإقالة والصفح من صاحب المدد والفيض، وهذا العارض تقصير في معرفة الحاضر.

ورد عند اللغويين: ما الغفلة؟ الجواب: ذهابُ المعنى عن النفس والغفلة والسهو من النظائر ونقيض الغفلة: اليقظة، والعالم بالشيء ليس بغافل عنه.

سئل الإمام الصادق ﷺ عمّن سها خلف الإمام؟ قال: لا شيء عليه، الإمام يتحمل عنه، وسئل عن السهو في النافلة؟ قال: لا شيء عليه، يتطوع في النافلة بركعة أو بما يشأ.

وعنه قال: من شكّ في شيء من صلاته بعد أن خرج مضى في صلاته، إذا شكّ في التكبير بعدما ركع مضى، وإذا شك في الركوع بعدما سجد مضى، وإذا شك في السجود بعدما قام أو جلس للتشهد مضى، وإن شك في الصلاة بعد أن يسلم منها لم تكن عليه إعادة وهذا كله إذا شكّ ولم يتيقن، فأما إذا تيقن لم يمضِ على الخطأ.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: سجدتا السهو بعد التسليم وقبل الكلام.

عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وآله قال: إذا زاد الرجل أو نقص فليسجد سجدتين.

وكيفية هذا السجود إنه سجدتان لا فاصل بينهما كسجدتي من ركعة واحدة، وتجب فيها نية القربة والتكبير والذكر ووضع الكفين والركبتين والإبهامين وموضع الجبهة بما يصح السجود والذكر مع التشهد والتسليم.

ففي المصطلح لم يفرّق الفقهاء بين السهو والنسيان لأنّ معناهما واحد وهو التركُ من غير انتباه، فالسهو هو عزوب الشيء وشرد عن خزانة العقل والنسيان هو عزوب القوة نفسها والعزوب عن العقل، أما الشك فهو تساوي الطرفين في الإحتمال والظنّ هو ترجيح أحد الطرفين ويأتي النسيان بمعنى الترك ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا﴾ (الأعراف الآية ٥١) في الحديث

(يا إنسان اعرفْ نفسك تعرف ربك) فمن أراد تنبيه نفسه عن رقدة الغفلة والنسيان فليشتغل بطلب ما أراد اللّه منه وليتخذْ الشرع طريقاً والعقل دليلاً على هواه فيجبر نقصه وضعفه وكسره فمن هناك يصفو ذكره ويُؤثر ربه.

بهمنيات في الركوع

في الخبر لمّا نزلت الآية: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ (الواقعة: ٩٦) قال رسول الله ﷺ: (اجعلوها في ركوعكم).

في أثناء القيام تكون القراءة دلالة على المعاني الجامعة لمظاهر الاسم العظيم ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ (العلق: ١) فيخضع الواقف بعد القراءة بالإنحناء مشيراً إلى عظمة المتجلي بأسماءه المربي بسلطانه وجبروته فيذكر (سبحان ربي العظيم وبحمده) فينعطف بما تعطّف عليه مولاه.

قال الإمام الصادق عليه السلام: لا يركع عبدٌ للّه تعالى ركوعاً على الحقيقة إلّا زيّنه اللّه بنور بهائه وأظلّه في ظلال كبريائه وكساه كسوة أصفيائه).

فالقيام أولاً والركوع ثانياً والسجود ثالثاً، فالقيام استعداد وأدب والركوع قابلية وقرب والسجود طواعية وطلب ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ (العلق: ١٩) وفي الخبر (واستوفِ ركوعك باستواء ظهرك وانحطّ عن همتك في القيام بخدمته إلّا بعونه وفرَّ بالقلب من وساوس الشيطان وخدائعه ومكائده فإن اللّه يرفع بقدر تواضعهم له ويهديهم إلى أصول التواضع والخضوع الخشوع بقدر اطلاع عظمته على سرائرهم).

فالركوع هو انفناء عند استماع القراءة بهيئة قوس الإنحناء وخضوع لامي لحقيقة نزول الحرف المعوج بنور البهاء وظلال الإكبار بالإهلال والتسبيح باللسان المترجم للسر بالإعلان والظهر بالإستواء من دون اعوجاج بالفقار لتسنفيم الذرية بالظهور.

إنّ الوقوف من قيامٍ كان عاماً ولما وقع النداء انحنى أهلُ الإجابة بالإقرار

خضوعاً وذلّةً واعتقدوا أنّ الآخذ الميثاق المشهود بالتجلي منه العون والطول ولا حولا ولا قوة إلّا باللّه العلي العظيم ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ (البقرة: من الآية ١٦٥) فالطواعية لأمر اللّه عز وجل هو قبول الحكم وتنفيذ الأحكام ولهذا عادت النفسُ سيرتها الأولى في هيولى المادة ومن ذلك هذا الإنحناء الذي هو قوس الإتصال بين عالم العقل الحرفي بعالم الكلمات الوالجة هيولى الأجسام والصور لمّا رأى المؤمن الآية الكبرى من قيام فركع بكلية أعضاءه لإزالة كبرياء صلصلة حمأة الطين التي تدقّ بخطرها ولا تبرح تتردد صدماتها تقرع الآذان كالأذان فهذا هو عين الإقرار في سابق عهود الميثاق الذي أذهب بتوفيقه لهم عنهم الوسوسة ومدخلية خيالها ووقوفها، فكان من الطائعين ذلك الركوع والمبادرة للذلة والخضوع ولهذا يستولي بركوعه على الوقوف بقيام الطاعة وحسن القراءة، فجزاه الربُّ العظيم بأن يستوي ويستقيم قائلاً (سمع اللّه لمن حمده) فيكون الربّ العظيم هو الموفّق بالقيام والإستواء والركوع ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ (الرعد: من الآية ٣٣).

في حديث المعراج: خاطبه العزيز (فانظر إلى عرشي) قال الرسول: فنظرت إلى عظمةٍ ذهبت لها نفسي وغشي عليَّ فألهمت أن قلت سبحان ربي العظيم وبحمده لعظم ما رأيت، فلما قلت ذلك تجلّى الغشي عني حتى قلتها سبعاً أُلْهَم ذلك فرجعت إليَّ نفسي كما كانت.

قال الإمام الكاظمعليه السلام لهشام: لما أُسري بالنبي صلى الله عليه وآله وكان من ربه كقاب قوسين أو أدنى رفع له حجاب من حجبه فكبّر رسول اللّه وجعل يقول الكلمات التي تقال في الإفتتاح، فلما رفع له الثاني كبّر فلم يزل كذلك حتى بلغ سبع حجب وكبر سبع تكبيرات فلذلك العلة يكبر في الإفتتاح في الصلاة سبع تكبيرات فلما ذكر ما رأى من عظمة اللّه ارتعدت فرائصه فابترك على ركبتيه وأخذ يقول (سبحان ربي العظيم وبحمده) فلما اعتدل من ركوعه قائماً نظر إليه

في موضع أعلى من ذلك الموضع خرّ على وجهه وجعل يقول (سبحان ربي الأعلى وبحمده) فلما قال سبع مرات سكن ذلك الرعب فلذلك جرت به السنة.

فالركوع هو جامع وحدة الأسماء والصفات أو أدنى وهو التوحيد الخالص المقذوف عند الإنحناء الكلي السجودي القالب في قلب العارفين تحناناً.

قال رجل لأمير المؤمنين ﷺ: يا ابن عم خير خلق اللّه ما معنى رفع يديك في التكبيرة الأولى؟ فقال: ألله أكبر الواحد الأحد الذي ليس كمثله شيء ولا يقاس بشيء ولا يلمس بالأخماس ولا يدرك بالحواس، قال الرجل: ما معنى مدّ عنقك في الركوع؟ قال: تأويله آمنتُ بوحدانيتك ولو ضربت عنقي.

الوضـــوء

في المقاييس لابن فارس:وضأ: الواو والضاد والهمزة كلمة واحدة تدلُّ على حُسنٍ ونظافةٍ. وضُوءَ يَوْضوءُ وهو وَضيءٌ، والوَضُوءُ:الماء الذي يُتَوضأ به، والوُضُوءُ فعلك إذا توضأتَ، من الوضاءة وهي الحُسنُ والنظافة، كأن الغاسل وجهه وَضّأهُ أي حسّنه.

من مرادفات وَضُؤَ = نَظُفَ نقي طهُر ويقابلها نجسَ اتسخَ تدّنس.

فحكم الوضوء أن يرفع الحدث فتؤدى به الفرائض والمندوبات.

قال أمير المؤمنين عليه السلام لمحمد بن أبي بكر: وانظر الوضوء فإنّه تمام الصلاة ولا صلاة لمن لا وضوء له، واعلم أن كل شيءٍ من عملك تابع لصلاتك، واعلم أنه من ضيّع الصلاة فإنه لغير الصلاة من شرائع الإسلام أضيع.

قال علي عليه السلام سمعت رسول اللّه يقول: ألا أدلكم على ما يكفّر الذنوب والخطايا، إسباغ الوضوء عند المكاره وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلك الرباط.

قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: إسباغ الوضوء في المكاره ونقل الأقدام إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة يغسل الخطايا غسلاً.

المكاره هو حمل النفس على الوضوء والقصد لبيوت اللّه تعالى فالنفس تكره ذلك وتستثقله لأن أفعال الخير ثقيلة على النفس إلّا على من خفّفها اللّه عليه ونقل الأقدام كناية عن السعي إلى عمارة المساجد وإحيائها بالعبادة والذكر تلبيةً لدعوة الحق.

الوُضوء ما أمر الشارع به لكل أمر عبادي سواءً كان واجباً لنفسه أو واجباً

لغيره ولا يقع إلّا بقصدٍ ونية القربة في كل العبادات لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ (المائدة: ٦).

فإذا تمكنت من استعمال الماء في الوضوء فاستشعر أنك بحسب العبودية عن معبودك في منزلة أباح اللّه لك تناول رحمته ولطفه وشرع لك تحصيل العلم الحقيقي إلى معرفته وموقع أحكامه لأنّ الماء من باب السماء ومناجاته عند الوضوء تطهيراً للنفس والجوارح وتخليصاً لها من حجب الغبرة والقترة والظلمة التي تُبعد عن الجوار فترتضي النفس عالم الخراب والبوار، فالماء الذي يطهّر الأبدان لأنه حياة لها كما في الباطن الماء هو العلم الذي يحيي النفوس، كما أنّ ترك الوضوء هو الغفلة عن مقام تجلي المشهود لارتضاءك بوسخ حيلولة الكدر وموانع هذه القذرات التي تلوث آلات وقوى الصلاة، فالوضوء لمعرفة نشأة التشخيص ودلالة الغسل على معرفة النشأة لتسلك في سير الطهارة وتقترب من النور.

عن الإمام علي عليه السلام عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله أنه قال: يحشر اللّه أمتي يوم القيامة بين الأمم غُرّاً محجلين من آثار الوضوء.

قال الإمام علي عليه السلام: أشربوا أعينكم الماء عند الوضوء لعلها لا ترى ناراً حامية.

في الحديث: من غضب منكم فليتوضأ فنار الغضب من النار.

قيل لسفيان الثوري: يا شيخ كم تتوضأ وأنت ضعيف؟ قال: لأن يلقاني عزرائيل وأكون على الوضوء متطهراً لا نجساً، إذ مع النجاسة لا يكون التوجه إلى اللّه تعالى ميموناً.

للوضوء فرائض إذا ترك المتوضئ فريضة منها بطل الوضوء.

وللوضوء سننٌ يُكره تركُ سنة منها ويُحرم المتوضئ ثواب السنة التي تركها.

قال جعفر بن محمد ﷺ: إن الوضوء لا يجب إلّا من حَدَث، وإنّ المرء إذا توضأ صلّى بوضوئه ذلك ما شاء من الصلوات ما لم يُحدث أو ينمْ أو يجامع، أو ما لم يُغْمَ عليه، أو يكن منه ما يجب له إعادةُ الوضوء.

* * *

إيتارات وضوئية

للوُضوء ١ـ صفة، ٢ـ وماهية، ٣ ـ وآلية، ٤ ـ وكيفية.

صفة الوُضوء = صفة الشيء ما يُعرف به ويتميز بها عن سواه، فالوضوء هو تطهير مملكتك وتنظيفها وردّ الأمانات كما أودعتها فإنْ لم تتوضأ فهي خيانة لأنك لوّثت وقذّرت مملكتك، فباطن صفة الوضوء هو مورد الغفران والستارية ليستريح الظاهر ويقوم بتخلية الباطن من الهيئات المظلمة ومن رجس الأخلاق الفاسدة التي يصعب علاجها لخبث أشخاصها ذات التراكيب الظلمانية المتعاكسة، كما أنّ تطهير الظاهر متوقف على تطهير الباطن لتنقية الجسم من الحرام وتطهير النفس من الشبهات وجهنمية الأخلاق والخصال الحادّة والمضادة. ولا يظهر طيبُ كلِّ مرتبة إلّا بالتكليف وبه تثبت الصورة ويتحقق المرجو.

فالصلاة بجميع أنواعها على المكلفين لها شروط ليست من ماهيتها وإنما هي أعمال فرضت قبل الدخول في الصلاة بنحوٍ لا تصحّ الصلاة بدون تحققها ولا يحصل الغرض من دون تثبيتها من أجل هذا كان التشريع،فصفة الوضوء الجارية في معاقد مفصلية مكتسية باللحم مثالها كالكلمات المحتجبة بسواد الحروف وسافرة عند إتصال المباني بالمعاني كاتصال الماء بعالم الحياة رحمة ونعمة، لقول الصادق ﷺ: إذا أردت الطهارة والوضوء فتقدمْ إلى الماء تقدمك إلى رحمة اللّه، فإن اللّه تعالى قد جعل الماء مفتاح قربته ومناجاته ودالاً إلى بساط خدمته.

وكما أن مغفرته ورحمته تُطهّر ذنوب العباد وتعفو عن السيئات فكذلك

النجاسات الظاهرة يُطهرها الماء والصعيد لا غير ويزيل عينها وأثرها قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾ (الفرقان: ٤٨).

ففعل وضَأ وضُأ غلبه بالحسن والسمة والنظافة.

وضاءت الشمس غلب نورها الظلام وقهر الأنوار.

قال تعالى: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٠).

فالضياء حجابٌ واقعي أقرب إلى العيون لأنه حسي منظور ومعنوي معقول، فالمحسوس لشدة قربه يتستر بالحس وعنه كما ورد في الآية السابقة ومرّ الحديث عن الوضوء في الكشف السابق، وأما المعنوي فقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (الأنبياء: ٤٨) لما كان الفرقان فيه الجملة والتفصيل كان الضياء هنا بمعنى الكشف والبيان للمشاهدات.

والضياء عند العارفين يطلق بمعنى رؤية الأغيار بعين الحق.

ورد في حديث: الوضوء على الوضوء نور على نور.

الوضوء لا يكون إلّا على العضو النظيف حتى يصح وضوءه أي طهرهُ، يعني أن تُزيل الوسخ عن العضو أولاً ثم توضّئهُ فسيرايةُ الوضوء تحدث الطهارة وتعطيك مفاتيح النور، فسُميَّ الوضوء والطهور باسم الضوء والنور لأن العرب تُسمي من منه الشيء باسم ذلك الشيء.

فالماء بلطافته وليونته أصله من الكون الضيائي والطهارة تُضيء الهيئة وتضيء القلب فسُمّي غسل الأعضاء بالماء بالوضوء.

وإذا لحظت مادة ضوأ ضياءً ووضأ وضوءاً ينكشف التداخل في المباني

والتآخي في المعاني، وكذلك حينما يُطلق النور على الوضوء، فبالوضوء تتمّ إزالة الأوساخ والأقذار المظلمة في البدن حتى تُرى نظيفة وبهية والنور يزيل الظلمة ويظهر الأجسام على هيئتها ولمّا كانت الأوساخ والأخباث هي ران على البدن وران على القلب فإذا أُزيلت إنقلب ران إلى نور، ولذلك لا بدَّ للوضوء من نية لقول الإمام علي ﷺ: لا وضوء إلّا بنية.

فالنية بداية والوضوء غاية ونكتفي بهذا المقدار.

* * *

ماهية الوضوء

عن علي ﷺ أنه قال: الطُهر نصف الإيمان.

وقال الرسول ﷺ : لا صلاة إلّا بطهور.

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (المائدة: من الآية ٦).

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ (الأنفال: ١١) فكلمة (مَآءً لِّيُطَهِّرَكُمْ) ما ينزل من ماءٍ فهو الماهية المتممة للوجود الحسي الذي يقوى بالإيمان ويثبت في آمرية الوضوء، فالنصف الأول هو عمارة الظاهر وإحياؤه بنظافة الجسم من الأوساخ والكدورات والطهارة بإفاضة الماء على الأعضاء الصورية والجوارح من الأفعال البشرية فتنكشف الحسيات بالإستعداد إلى النصف الثاني الذي هو عمارة الباطن بالأعمال الصالحة والأخلاق الحميدة والصفات المجيدة لتخرج النفس من البيوت المظلمة وتتنقى من لطخة جوار العدم والنقص والظلمات ﴿وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ (ابراهيم: ٤٥) فإذا عزّت هذه المطالب صعُب السلوك وبعُدَ الطريق الشائك وكثُرت العقبات وكثفت الحُجُب واشتدّت فيقعد المقصّر في منازل الحواس المظلمة وما له من نور، ومن جدّ في سيره واجتهد في خرق الحجب الظلمانية نال هذه المطالب النورانية وعرف مولاه وتفقه في معرفة الأسرار في بواطن السرار فيكون قد طوى عالم تراكيب النفس فاندكّ جسده وتلاشت أنانيته وإنّيته لتجلي مظاهر النور في لبّه الذي محق حجب الظلمات

والأغشية المادية للوجود الصاعق للكثائف والأجرام ومن تغشّاه ذلك البارق فقد عمل بإذن اللّه تعالى بالقرب على تنزيه مقامات الأنبياء والمرسلين والأئمة الطاهرين عن كل نقص مادي ووهنٍ نفسي. قال الصادق ﷺ: ثم عاشر خل اللّه كامتزاج الماء بالأشياء يؤدي كل شيء حَقه ولا يتغير عن معناه، معتبراً بقول رسول اللّه ﷺ: مثل المؤمن الخاص كمَثَل الماء، وليكن صفوتك مع اللّه في جميع طاعاتك كصفوة الماء حين أنزله من السماء وسمّاه طَهوراً.

قال أبو الفيض المصري: النقي هو الذي لا يدنّسُ ظاهره بالمعارضات ولا باطنه بالمخالفات ويكون واقفاً مع اللّه تعالى موقف الإتفاق

قال النبي ﷺ: أدنى شعب الإيمان إماطة الأذى عن الطريق).

فالإماطة هي إزالة ما يُعيق السالك في السير على الطريق مما يؤذيه، فتطهير البدن من الأذى والقاذورات الحسية واللطخات النفسية تبعاً للحكمة ومقتضياتها، والأذى هو كل ما يؤذيك ويعوقك عن سلوك طريق الوضوح والخير، ولهذا كانت الطهارة النفسية أصعب بمزجتها الإمكانية من الخارجية الظاهرة لقول النبيﷺ (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر) دلالة على المجاهدة مع القوى الباطنية بماء العلم النافع الطاهر الطهور وبارتياض شرعي صالح يشتغل حينئذٍ بتطهير القلب الذي هو أم القرى وبصلاحه تنكشف المواقيت ويأمن الذين أحرموا في سِربهم فيأنسون بنار العشق من جانب الطور ويتحلوا بالأسماء فيقتربوا من بساط الأنس حيث الجذبات وموطن أخبار الإصطلاء (أدّبني ربي فأحسن تأديبي) حيث يستكمل السائر الصفات فيكمل بالملكات بوصل جوهرة العبودية فتظهر عليه آثار صفة الربوبية (تخلّقوا بأخلاق اللّه).

آليـة الوضوء

هي المنظومة التوصلية التي تتمّ بها صورة الوضوء وتوفّر شروطه التي يجب على المكلفين تحقيقها وما يُتوصل بها إلى الغاية المرجوة، فاستحضار النية المهيجة للفعل ووفرة الماء ومعرفة الأعضاء وغاية الفعل وموقّتية الزمان تدلُّ على إرتباط العلة بسبب الآلية بمعلولها الواقع فيه الخطاب (اذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا) فوصول الأثر إلى المؤثّر أي المستجيب للأوامر الإلهية بحدوث عملية الطهارة وهو تنقية الباطن من التكاثر الصفاتي واللّهو النفساني وإزالة الأغيار التي توسوس في الصدر وتشتت جنود الفكر، فتنظيف الظاهر الثياب والجسد من الدرن والوسخ ومسح الكدر وإزالة القذر عن الأعضاء الحسية لتستعدّ لمقابلة فيض الشجرة المباركة وتنزلات الإبراق واللمعات والبهرات، فبهذه الآلية يتم ارتفاع الران عن الإيهاب المباشر للحضرة حتى يُزال الغلاف عن القلب فينشرح الصدر بعد زوال معوقات الجوار ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ (المدثر: ٤) وارتفاع الموانع المادية ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ (المدثر: ٥) وأصحاب الحجب الظلمية المنفعلة عن الغفلة والنسيان في دار العناء وسموات التناسل، عندئذٍ تُستخرج علة الحرج وتُستتَمُّ النعمةُ ويقع الشكر الدائم ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ (الأنفال: ١١).

وعند الحكماء كأرسطو تُطلق الآلة على الحواس.

قال النبي ﷺ فوضع يده بين كتفي فأحسستُ برد أنامله بين ثديي فعلمت ما في السماوات وما في الأرض.

يد اللّه عز وجل هي كناية عن الإمتنان والإختصاص بالمدد الجاري وسريان الفيض بالوصل الرباني، وهي الصفة الفائقة ما بين عالم الغيب والشهادة حتى

يشاهد الباطن كالظاهر والأول كالآخر ولذلك قال النبي ﷺ: (إني أراكم من ورائي كما أراكم من أمامي) لأنه ﷺ كان بين يديه عالم الغيب والشهادة لقوله (أوتيت جوامع الكلم) فهذه اليد هي نظرة الفيض الخاتمة بين كتفي النبي بالمقابلة للقلب المتوسط في الصدر لقوله (أحسست برد أنامله بين ثديي) وهذا البرد هو سكينة كشوف الوحي بالعروج والنزول من سرايا الأقفال بسريان المفاتيح فبهذه اليد احتوى عوالم النشأتين وكليات وجزئيات الأحكام الشرعية في المفروضات والمسنونات، ولطيفة ذلك أن عالم الإنسان يقابل عالم الشهادة ولذلك كان العروج من عالم الشهادة إلى عالم الملكوت الكبير بليل أنوار الخليل وهذا هو التشخيص الراصد بثقابته في عالم المُثُل، لأن من عرف نفسه عرف ربه، والأدنى بالصورة سبب لمعرفة المثل الأعلى كما الألفاظ الهوائية المتموجة تدل على المعاني اللطيفة البثية لكشف الحقائق من أمام الصورة لقوله تعالى: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾ (النبأ: ١٩) وفي الكون السفلي المغلّف بموادّ الأعيان والأشخاص ينفتح للروح بالطهارة والنقاوة عالم العقليات ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ﴾ (الزخرف: ٣٤) فتزاحم الحُجُب والتزاز الطبقات بالأسوار المضروبة في عالم الحس بلا مسافة فمن هذا العذاب له أبواب ظاهرة وباطنة فالمنافقون حُرموا من برد الحياة الدنيا فأفسدوا طيباتهم بجحدهم ونكرانهم، فاليد لها أنامل خمس وهي رقيم الكلمات الإلهية بقلم الإرادة فمن أحسَّ بنعمة برودتها تخلّص من آصار حجب المادة وتمّت صورته اللطيفة القابلة التكليف وتحمّل الأمانة، لأن الوجودات الأربعة التي تربعت في الكون مع الكلمة العالية هم حملة العرش: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (الأنعام: ١١٥) فجبريل هو وحي العلم والنفس الكلية المتممة للصور ومعه إسرافيل لنفخ الروح الحيوانية والصور الكلية ومعه ميكائيل بأجنحة الإرادة ومعه عزرائيل الماسك الأنفاس بقبضة القدرة لأن أثره في المادة دوماً مقوماً ومحللاً.

كيفية الوضوء

وعن جعفر بن محمدﷺ أنه قال: إذا أردت الوضوء فقل: بسم اللّه وعلى ملة رسول اللّه أشهد أن لا إله إلّا اللّه وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبدهُ ورسوله.

أولاً: إعلم أن الوضوء من العبادات ولذلك تنوي ومن ثُمّ تغسل يديك يعني تفرك الكفين بالماء، ومن ثم المضمضة ومن ثم الإستنشاق ويُجزئ غُرفة واحدة عند الإطمئنان، وقد رغّبت السنّةُ في ذلك لأن اللّه عز وجل لم يذكرهم في جملة الوضوء ولكن فعلهم رسول اللّه ﷺ وهي سنّة في الوضوء، ولا يجب تركها ولا أن يتهاون بها، وليس على من نسيها أو جهلها إعادة كمن ترك طهارة عضوٍ من الأعضاء الأربعة التي أمر اللّه بغسلها وتبتدئ فريضة الوضوء بغسل الوجه ثم اليدين إلى المرافق ومسح الرأس من وسطه إلى منقطعه من الجبهة ـ ثم يرد يديه من وسط الرأس إلى آخر الشعر من القفا ويمسح مع ذلك الأُذنين ظاهرهما وباطنهما ـ وبعد ذلك مسح الرجلين إلى الكعبين، ونهى الرسول والأئمة الطاهرون عليهم السلام التقديم والتأخير في الغسل والمسح، بل الموالاة والترتيب، ونهوا عن التبعيض في الوضوء ولكن يُتمّهُ في وقتٍ واحدٍ، ومن قطعه عن تمام الوضوء عُذرٌ فأراد أن يُتمّه فعليه أن يَبتديه من أوله، والإسباغ في الوضوء ليس ذلك بكثرة الماء ولكن أن يعُمّ بالماء أعضاء الغسل ويُمرّ اليدين عليها بالتمام ويمسح أعضاء المسح أصاب البلل منها ما أصاب.

في الوسائل (كتاب الطهارة) رقم الحديث (١٠٥٢):

وبإسناده عن الحسين بن سعيد عن علي بن رئاب قال: سألت أبا عبد

اللهﷺ: الأذنان من الرأس؟ قال: نعم، قلت: فإذا مسحت رأسي مسحت أذني؟ قال: نعم، كأني أنظر إلى أبي وفي عنقه عكنة، وكان يحفي رأسه إذا جزّه، كأني أنظر والماء ينحدر على عنقه.

وما روي عن ابن عباس في صفة وضوء النبي ﷺ: أنه عليه الصلاة والسلام غرف غرفة فمسح برأسه وأذنيه.

محل التنازع: أن الأذنين من الرأس تمسحان معه.

وفي رواية ثانية: روى الحر العاملي بالأسانيد الصحيحة عن زرارة قال: سألت أبا جعفر ﷺ قلت: إن ناساً يقولون إن بطن الأذنين من الوجه وظهرها من الرأس؟ فقال: ليس عليهما غسل ولا مسح. فعند الإمامية: لأن القرآن لم يذكر ذلك، فدليل عدم مسحهما.

وروي في كتاب علل الشرائع في حديث المعراج:

ثم قال ربي عز وجل: يا محمد مُدَّ يدَك فيتلقاك ماءٌ يسيل من ساق عرشي اليمين.

فنزل الماء فتلقيتُه باليمين، فمن أجل ذلك أول الوضوء باليُمنى.

ثم قال: يا محمد خُذْ ذلك فاغسلْ به وجهك ـ وعلّمه ذلك ـ فإنك تريد أن تنظر إلى عظمتي وأنت طاهرٌ.

ثم أغسلْ ذراعيك اليمين واليسار ـ وعلّمه ذلك ـ فإنك تريد أن تتلقى بيديك كلامي، وامسحْ بفضل ما في يديك من الماء رأسك ورجليك إلى كعبيك ـ وعلّمه المسح برأسه ورجليه ـ.

وقال: إني أريد أن أمسح رأسك وأبارك عليك، فأما المسحُ على رجليك، فإني أُريد أن أُوطئَك مَوطئاً لم يطأْهُ أحدٌ قبلك، ولا يطأه أحدٌ غيرك.

سريانيات في الوضوء

رسٌّ مائي وسرٌّ ترابي، فالوضوء أن تعرف الماء الجاري على كثرة صور الأعضاء الممدودة بصفاوة سرّ الماء اللطيف بظاهره في عين الجمع، فماء الغيث لطيف وصافٍ وله مزاج واحد ولم يمتزج بغيره فهو كمثال العلم الراكد في السُحُب فطعمه واحد ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: من الآية ١٣٦) فهذه التعددية بالرسل والأنبياء والمعصومين فدعوتهم واحدة وجوهرهم نورٌ كماء الغيث ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾ (الفرقان: من الآية ٤٨) أما ماء العيون والآبار فاختلف الطعم بحسب بقعة التربة لأنه امتزج بها ولهذا يكدّ المؤمن في يومِ مترتبه لاكتساب قوته وتحصيل العلم من الأفكار التي لا تخلو من شوائب الأخلاط والمواد المحسوسة فاخترْ لنفسك أي الطهورين، وترابية التيمم هو إحتوائية التجلي برؤية النظر في كسوة المشابهة لمعرفة القدرة بصعيد علائق كثرة المغايرة.

فرسُّ الماء هو سرايته من الباطن إلى الظاهر كنزوله من باطن سحاب الرحمة لأنه سرّ الحياة التي هي أصل العالم المشهود، وسرُّ صعيد التيمم الترابي الذي هو أصل النشأة ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ (طه ٥٥) هو من ظاهر اللمس إلى باطن الحس سارياً بأحكام مفاتيح الغيب.

وقد يكون التقدير أولاً الماء العنصري الصافي لإباحة العبادة التي لا تقبل النقص والزيادة من جهة إتصالها بأشخاص طهارة الأعضاء وثانياً الوجود الذي هو نور الأنوار وعنصر العناصر واسطقس الاسطقسات الذي منه جعل كل شيء حياً وهو مفتاح العمل للوصول إلى الطهارة النفسية.

فإذا نزّهت الحيّ القيوم المتجلي عن قيد الأسماء والنقص في الفعل والتشبيه بالقرب والبعد كان الوضوء النفسي طهارة ونوراً، وإذا أخللتَ بتراتبية الأعضاء غسلاً ومسحاً وتيمماً وأرجعت النقوص والقيود والحدود إلى جهة المحدود والمنقوص من الخلق فهو التيمم لقوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلاً﴾ (الإسراء: ٨٤).

في الحديث قال له الرب عز وجل: فيمَ يختصم الملأ الأعلى؟ قال له في الكفّارات والدرجات، فقال له الرب عز وجل: وما الكفارات؟ قال: إسباغ الوضوء عند السبرات وعمل الأقدام للجماعات والجمعات.

الإسباغ في الظاهر هو إفاضة الماء على جملة الجوارح وبالتخصيص على أعضاء الوضوء، في الحديث (إذا غسل العبد يديه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفار عينيه) والإسباغ يزيل الوسخ ويسقط الخطية وهذه طهارة حسية فهذا الإسباغ وسيلة للوصول إلى الطهارة الباطنية وهذا هو المدخل من لمس الجوارح إلى حس الجوانح للولوج إلى عالم القدس، في الحديث (إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطى إلى المساجد) فمن أسبغ الطهارة وتخلّى عن سفساف الأخلاق ومذامّ الأوصاف فلا مندوحة يكون قد تحلّى بمحاسن ومحامد الصفات وصفا عقلُه من الأفكار الضالة ووسخ الشبهات وآراء الباطل، فهو الذي تمكن في سرّه من رؤية الحق جل وعلا ونزّهه عن ملامسة الأعضاء ومجانسة الصور، فمن تطهر بماء الحياة لم تعد تحرقه النار وهذا هو الحصول على الطهارة المعنوية والنظافة الحسية لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة: من الآية ٢٢٢).

الغسل هو فناء والوضوء بقاء والتيمم صفاء، مقام نوراني يتلوه مقام روحاني يتبعه محلّ نفسي، وأما الغُسل فهو التطهر من جنابة الظلمة والتبرؤ من ما يقاربها.

الأحداث التي توجب الوضوء

قال الإمام جعفر ﷺ: إن الذي ينقضُ الوضوء الغائط والبول والريح تخرج من الدبر، والمنيّ ففيه غُسلٌ.

قال الصادق ﷺ: إن الكذبة لتنقض الوضوء إذا توضأ الرجل للصلاة وتفطر الصائم فقيل له: إنا نكذب، فقال: ليس هو باللغو ولكنه الكذب على اللّٰه وعلى رسوله وعلى الأئمة عليهم السلام.

عن حريز عن زرارة قلت لأبي جعفر ﷺ: ما ينقض الوضوء؟ قال: ما يخرج من طرفيك الأسفلين من الذكر والدبر من الغائط والبول أو مني أو ريحٍ والنوم حتى يذهب العقل.

وأما الحجامة والفصد والقيء والدم والصديد أو القيح يخرج من جرحٍ أو خُراج ليس عليه وضوء واجب، بل يغسل مواضع ذلك ويتمضمض من القيء ويصلي إذا كان متوضئاً قبل ذلك.

وكذلك القُبلة واللمس ولا المسّ في أي موضعٍ من الجسد يوجب الوضوء، وإن غسل يديه فهو حسنٌ مرغّب فيه ومندوب فيه، وإن صلّى ولم يغسلهما لم تفسد صلاته.

وعند الأئمة الأنوار ﷺ: من أيقن أنه توضأ ثم شك في أنه قد أحدث بعد ذلك فإنه على يقين من طهارته، لأن الشك لا يُنقض وضوءه حتى يتيقن أنّه قد أحدث فحينئذٍ يتوضأ، وإذا أحدث ثم شك بعد ذلك في أنه توضأ لم يُجزِه أن يُصلي حتى يزيل شكه باليقين وهو أن يتوضأ.

في مذهب أهل البيت الطاهرين: إن المرأة إذا حاضت أو نفست حرمت

عليها الصلاة والصوم وحرم على زوجها وطؤها حتى تطهر وتغتسل بالماء أو تتيمم إن لم تجد ماءً، فإذا طهرت كذلك قضت الصوم ولم تقضِ الصلاة وحلت لزوجها.

وفي وصية النبي ﷺ لعلي ﵇ قال: يا علي ليس على النساء جمعة ولا جماعة ولا أذان ولا إقامة ولا عيادة مريض ولا اتباع جنازة ولا هرولة بين الصفا والمروة ولا استلام الحجر ولا حلق ولا تولّي القضاء ولا تستشار ولا تذبح إلّا عند الضرورة ولا تجهر بالتلبية ولا تقيم عند قبر ولا تحضر لتسمع الخطبة ولا تتولى التزويج بنفسها، ولا تخرج من بيت زوجها إلّا باذنه، فإن خرجت بغير إذنه لعنها اللّه عز وجل وجبريل وميكائيل ولا تعطي من بيت زوجها شيئاً إلّا باذنه ولا تبيت وزوجها ساخط عليها وإن كان ظالماً لها.

وقال الإمام علي ﵇: الغُسل من الحيض والنفاس كالغسل من الجنابة وإذا تعددت الأحداث إكتفيت بغسل واحدٍ.

الغســـل

في معجم ابن فارس:

الغُسلُ: الغين والسين واللام أصلٌ صحيح يدل على تطهير الشيء وتنقيته. والغُسلُ الإسم، والغَسُولُ: ما يُغسلُ به الرأس من خطمي أو غيره.

وأمر الله سبحانه بغسل جميع البشرة لأن أدنى حالات الإنسان أشدُّ تعلقاً بالشهوات حالة الجماع فموجب الغسل وتنظيف البدن مدخل للطهارة النفسية ولهذا قال ﷺ (إن تحت كل شعرة جنابة) أي إن الغسل يجب أن يعمّ جميع البدن، لأن البدن إلتذّ كله فوجب إسقاط نجاسة الجنابة بالغسل حيث انغمست النفس في اللذات الدنيّة واظطلمت من سكرتها ولكي تتأهل النفس لمقابلة الجهة الشريفة والدخول في العبادة لا بدّ من إسقاط الجنابة، وحينما تقول رجل جُنُبٌ وامرأةٌ جنبٌ أي أحدث كبيرةً فأصابته الجنابة أي النجاسة وهو الإحتكاك بحرارة أخرى فتنفعل طاقة مكبوتة تحمل أثراً غليظاً زائداً، ويأتي لغةً الجُنُب أي البعيد والغريب، لقوله تعالى: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ (النساء: من الآية ٣٦) ولمّا كانت الشكوك والضدود وولاية الطاغوت هي الظلمة والرجس كانت الجنابة الكبرى وإسقاطها يكون بماء الولاية العلوية والجنابة الصغرى هي التقصير والظن والتمني المادي وحب الرئاسة والمظاهر والشغف بالرياء وملازمة المراءاة فإسقاطها بالعودة إلى المعوذتين والإستغفار والتوبة مع الإستمرار في طلب العفو والرحمة وإلاّ يبقى المرء جنباً ولو كان في المحيط. ولمّا كانت اللذة النفسانية سارية في البدن المشعرة عن وجود الطبيعة للنفس وليس للمرء بها ذلك من عقله بل من القرائن ولذلك تُبعده عن

موطن القرب وحدود الوطن من جهة أنانيته وتعلقه بمستهوياته، فالجنابة غُربة عن وطن العبودية ودخول في حدود نَهَم الغريزة والطفرة النفسية من اهتياج أوهام لذة الطبيعة التي لا يقف نهمُها، ولذلك يغتسل المرء بالماء مع نية التطهير من مساقط الأقذار والأكدار الذي دنّس مدته ومنّى نفسه بالأفكار المضلّة ووسخ الشبهات والآراء الباطلة ولذلك يعود إلى طهارة الماء الذي هو أصل الحياة والوجود والعلم اليقيني ويلبس لباس الوجود والسيادة فيتطهر من ذلك بمعمودية نهر الحضور ويتصل بسيالة اليقظة المنبهة من كل غفلةٍ سوءٍ ويغسل جميع بدنه للإعتراف بالتقصير.

قال الإمام علي عليه السلام: إذا اغتسل الجنبُ ولم ينوِ بغُسله الغسل من الجنابة لم يُجزْه وإن اغتسل عشر مرّات.

وورد عن المعصومين عليهم السلام في إسقاط الجنابة وإزالة الحدث الكبير والصغير: الإرتماس في الماء وهو أن ينوي الطهر ويرتمس في الماء.

وورد في الأحاديث من أنزل في اليقظة أو في المنام من جماع أو غيره بشهوةٍ فعليه الغُسلُ.

الإرتماس في الماء أن لا يطيل اللبث في الماء، والإنغماس أن يطيل اللبث فيه وقد ورد: يكتحل الصائم ويرتمس ولا يغتمس.

التيمم

التيمم من فعل: يمّم أي قصد وتيمّم الأمر توخّاه وقصده.

ومقلوبها ميت لأن التراب جسم موات وعندما يقصد المرء التراب ليتطهّر من النجاسة ويزيل الوسخ أو ليسقط الحدث وينفض عن جلده علوق كدورة وسخه وما التصق به من أدران المادة وتركيباتها المظلمة ليقصد يمَّ الحياة أويتيمّم بالصعيد المطهر لمنفعلاته الذي يصعد بجوارحه عن الهبوط في سفلانية ظلمات المادة فتطيب أعماله وتزكو أفعاله.

مرادفات يَمّمَ = إتجهَ، قصدَ، تَوجّهَ، أمّمَ.

أضدادُها = أفلَ، عادَ، رَجِعَ، آبَ.

همّة الحياة بالقصد فالقصدُ معناه التواضع والإستقامة في السير والعيش تنفيذاً للنية المتحكمة بهذه الحركة وقصد أخو قصر وقصّ أي استقام بحكمه وسفرٌ قاصد أي سهلٌ قريبٌ، ولذلك يقول الحكيم إقليدس: إن الخط المستقيم هو أقصر مسافة بين نقطتين.

وعلى ذلك فالتيمّم هو القصد يعني أنّ الفاعل قصد أي توجّه توّاً والقصد هو الإعتماد والأمُّ والتوجه نحو المراد فلا يعرجه شيءٌ عن نيته، يقول إبن جنّي في خصائصه (قصد ومواقعها في كلام العرب: التوجه والإعتزام والنهود والنهوض نحو الشيء على اعتدال كان ذلك أو جور).

ولذلك تدخل النية في قصد التيمم للقيام بالمسؤولية على عمدٍ، قال الحكيم سقراط: فإن كانت جريمتي بغير قصدٍ فلا يحاسب عليها القانون).

ما هي حركةُ التيمم ومتحركاتُ المسح؟ لمّا كان التيمم مسْحَ الوجه

واليدين بالتراب قصدَ الطهارة عند فقْدِ الماء أو وقوعِ الضرر، فيأتي فعلُ مَسَحَ = نشَّفَ، والمسْحُ إمرارُكَ يدكَ على الشيء تريدُ إذهابه، ويأتي بمعنى = أزال ومحا وطمسَ وطلس، ويأتي المِسْحُ = الثوبُ واللباس والكساء.

وتمسّحَ منه أي أزاله ونشّفه وتمسّح به أي تبرّك به.

وسمي المسيح لأنه مسح أي طهّر من كل خطيئة، والأمسح من المفاوز الأملس الذي لا شيء عليه تشبيهاً بالذي لا ذنب عليه ولا خطيئة ولهذا ورد المسح على الرأس والرجلين بمعنى إزالة الوسخ والأذى عنها.

مصطلحاً: أمر الشارع بمسح الأعضاء بالتراب الطاهر عند تعذر غسلها بالماء الطهور. لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (المائدة: ٦).

ذُكر في الآية: مرضى وسفر وجاء من الغائط ولامستم النساء، ورتّب عليه الطهارة عند الحدث الأكبر أو الأصغر فإن لم يجد ماءً فأجاز له التيمم عند فقد الماء لكلٍ من هؤلاء، غيرَ أنّ المريض إذا كان مرضُه يمنعه من استعمال الماء سواءً لتعذر حصول الماء أم لتعذّر استعماله جاز له التيمم لأنّ مرضه أدخله بالسببية.

طيباً: أي إذا كان لذيذاً لأنّ الطيّب ما تستلذّه الحواس، ثم استعمل في التنزّه عن النقائص والتعرّي عن القبائح والإتصاف بصفات الكمال لأن الشيء لا يستلذ حتى يخلص ممّا يستكره وتنفر النفس عنه، ويحتوي على ما يهتش الطبع له ويلائم النفس، ولذلك وصفوا كل حسن جيّد بأنه طيب، وفي الحديث (إن

اللّه طيّبٌ لا يقبل إلّا طيباً) أي منزّهٌ عن النقائص مقدّس عن الآفات والعيوب متصف بجميع صفات الكمال، وتقول إنسان طيّب أي متعرّي من خبث الطوية ونجاسة الجهل والفسق وقبائح الأعمال وتحلّى بالعلم ومحاسن الأفعال والآداب لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ (النحل: من الآية ٣٢).

قال رسول اللّه ﷺ: أُعطيت ثلاثاً لم يُعطهن نبي قبلي، نصرت بالرعب وأُحلّت لي الغنائم وجُعلت لي الأرض مسجداً وترابها طهوراً.

﴿فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (المائدة: من الآية ٦).

وعن الصادق عليه السلام أنه وصف التيمم فقال: التيمم وضوء الضرورة.

ورد في السُنّة المطهرة من حديث جابر بن عبد اللّه قال: خرجنا في سفرٍ فأصاب رجلاً منا حجرٌ فشجّه في رأسه، ثم احتلم فسأل أصحابه فقال: هل تجدون لي رخصةً في التيمم؟ فقالوا: ما نجد لك رخصةً وأنت تقدرُ على الماء، فاغتسلَ فمات، فلما قدمنا على النبي أُخبرَ بذلك فقال ﷺ: قتلوه، قتلهم اللّه، ألا سألوا إذا لم يعلموا؟ فإنما شفاء العيِّ السؤال.

سأل أحد أصحاب الصادق عليه السلام قال: سألته عن مجدور أصابته جَنَابةٌ فغسلوه فماتَ؟ قال: قتلوه، ألاَ سألوا! فإنّ دواءَ العِيِّ السؤال.

حُكمُ المريض الذي يتأذى من الغسل أو يتضرر من الماء أن يتيمم، فمن غسّله أو أفتى بغسله فهو ضامن، فالصادق بيّن الحكم كي لا يقع الفاعل أو المفتي بالهلاك ومنشأ ذلك الضرر هو الجهل، لأن كثيراً من المجهولات يعلم بالسؤال والتعلم.

﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ الغائط هو المكان المنخفض أو المطمئن من

الأرض والمجيء منه كناية عن الحدث لأنّ العادة كانت أنّ من يريد قضاء الحاجة يذهب إليه ليواري شخصه عن أعين الناس.

﴿أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ (النساء: من الآية: ٤٣) اختلفوا في ذلك هل المراد من الملامسة المسُّ باليد أم هي كناية عن الجماع؟ فالظاهر هو كناية عن الجماع لإطلاق الآية في ذلك: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ (البقرة: من الآية: ٢٣٧) كما الوطء حقيقته المشي بالقدم فإذا أضيف إلى النساء لم يُفهم منه غيرُ الجماع.

* * *

جهجهة التيمم في هجهجة الصعيد

لمّا كانت الصلاة في الأصل ركعتين والفرد يبتدئ من الثلاثة والزوج من الإثنين، فإنك ترى في التيمم للوجه واليدين اللذين هما إثنان والوضوء لأربعةٍ الوجه واليدين والرأس والرجلين، تتضح أمامنا البسائط العددية (أربعة) التي هي أصل العشرة، وما تفرّع عنها أصول، فالظهر والعصر والعشاء أربع ركعات والمغرب ثلاث ركعات والفجر ركعتان.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن الأشياء لما ازدوجت ازدوج الكسل والعجز فنتج منهما الفقر.

ولمّا كان المرء في عالم الجسمانيات تقيده العناصر وتحكمه الطبائع انفعلت منها الغفلة والنسيان والسهو والتقصير وإذا كانت مظاهر اللطف مرتفعة التي هي مورد فيوضات ماء الحياة فكان التيمم أدنى صلةً في حالات الطهارة والتطهر في القصد لأصحاب العلم اليقيني الذين أخلصوا في الطاعات ومعاملة الأخوة والتعصيب والتعويل ووفوا بالعهود والأمانة إذ بهم يصل العلم بجريانه إلى حيث حياة القلب، ومن وراء الصعيد الطيب يستحصل العلم اللدني لنقصان الجُنب في طينته أو من يخاف من نفسه الوقوع في التقصير والشك والشرك فحينئذٍ يجب عليه التقليد واقتفاء أثر الثقاة، ويتفكر في أصله ونشأته حتى يتحقق بالمعرفة سبب ذلك وهبوطه فيتطهر بهذا النظر والتفكر في نفسه ويتدبر بالفعل.

أعلى اللّذات وأدومها اللّذة العقلية لأنها تدل على صفاوة المزجة ونقاوة الباطن وهي الحاصلة بسبب معرفة الأشياء والوقوف على حقائقها وهي اللّذة الطيبة الحقيقية وعلى هذا تكون لذّةٌ محصورة في المعارف اليقينية وهي السعادة

الدائمة، أمّا اللّذة التي يتطهر من أثرها المرء هي أمرٌ عدمي يفنى عند برودة الشهوة والبطنة، فعند العارفين اللّذة الفانية في الدنيا تحصل بتعبٍ وألم وفراقٍ، وأما من جهة كرامة الآخرة تحصل من غير ألم ولا حزنٍ على فراق ما يفنى ويبطل، لقوله تعالى: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الزمر: ٦١) الذين اغتسلوا بالماء الحقيقي طهروا بسبب التقوى وفازوا بقطع العقبات لأنهم حققوا أسباب الفلاح والفوز بهيئات حسنة.

لما كانت الطهارة في الأصل تنقية النفس من شوائب الأفكار وغلولها ووسخ الشبهات وكدوراتها كما الظاهر لا بدّ من تطهيرها من أجرام المادة القذرة والأوساخ التي يستقبحها الطبع وتستعيفها الأبصار، كان الوضوء تنبيهاً على سمو هذه الأركان لدلالتها على مقامات روحية وأشائر نورانية، وكذلك الغُسل دلالة على الفناء الذي عمّ جسد الجُنُب ليطهره من لزجة الغرائز ورطوبة اللذّة النفسانية السارية بسيلان النفس الدموية المشعرة بوجود لباس حيوانية النفس، فيُعاد صبُّ الماء الذي هو أصل النشأة والحياة والعلم ليقرّب بالغسل ما أجنبته منية النفس بنطفتها وتمنّي أنانيتها ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (الحج: ٥٢).

ولمّا فاتته دعوة المقام واشتغل بالعروض لنفسه قام بالتلوين والتزويق ففاتته الرؤية والتصق بطبع ظلمته بالرؤيا كأحلام وأمنيات دنيّة تسوّد القلب بالوسوسة والظنّ ولكنّ رحمته تداركت عبيده فأكرمه بالتيمم صعيداً طيباً حتى يصل العلم ليحيي القلب بالتكسب وجهود التحصيل بعدما فرّط في العلم اللدني من صاحب المقام المألوف بالصبغة، فداخله النقصان مما كسبت يداه في الفطرة فأوهن قواه ولهذا يتوقف الشيء على قابليته في ظهوره من خزانة الإمكان إلى ميدان الأكوان وهي منفعلة منه طواعيةً مثل الإنكسار والإنجبار لأن الكسر متوقف في الظهور

عليه مع أنه مخلوق من الكسر بمعنى قبول عكوسات الأنوار وتُصيغها الطينة الطاهرة وتزداد المنكرة خبثاً ومكراً، فيأتي النسخ بإشراق نور الشريعة على القلب فيصبغه بطهارة القدس ويزيل ظلمة النفس فيرى فساد المنفعلات وتلقيّاتها ثم يحكم اللَّه آياته، أما النفوس المنقادة بالقهر والسلاسل لعلّتها تبطن النفاق والجحود والخلاف عن استيقان بل عن تزلزل أو تبعية لغلبة أصلها العدمي المظلم، فبأقل اختيار وتطور في الظهور تبدي النكران وتكون مع كل ناعق.

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١) النفس الواحدة يعني آدم وخلق منها زوجها أي حواء، فمادة الأشياء هو الأب بدلالة دخول مِنْ عليه كقولك (صغت الخاتم من فضةٍ) فإن الفضة هي المادة بدليل دخول مِنْ عليه وهي المسماة (بالوجود) في اصطلاح القوم والأم هي الصورة وهي الماهية اصطلاحاً وهي المخلوقة من المادة لأن الأم مخلوقة من جوهر الأب فهي تضاف إليه ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ فالنفس آدم خلق منه حواء أي خُلقَت من ضلعه الأيسر، فكل مخلوق يتوقف في إمكانية ظهوره إلى مدينة الأكوان على قابليته وقابليته منه تتوقف على تحقيقه في الخارج وما ألهمه الباري عز وجل، فالنفس في مقام التكليف هي القابلة في معرض الصفات والأسماء بحوايتها لحواء القابلية لما يتممها ويكمل صورتها، لأنها بمقام الحدوث تقبل بصلوحها مدد القديم ولهذا فالمحدثات لا تسع القديم إلّا بظهور الصفة والدلالة وكذا القديم لا يمازج ولا يخالط الحادث فلا يسعه، لافتراق الجوهرين وتباين الصفات في العلة الفاعلة والمعلول المفعول.

كيف وكم في التيمم

قال الإمام عليه السلام للمتيمم: تُجزيه ضربةٌ واحدة يضرب بيديه الأرض ويمسح بهما وجهه ويديه.

وقال المعصومون عليهم السلام: من كانت به قروح أو علة يخاف منها على نفسه إنْ تطهر يتيمم ويصلي وكذلك إن خاف أن يؤذيه البرد إن تطهّر يتيمم ويصلي.

كون التيمم في عضوين أي تتريب الوجه والكفين وقد رآى أحدُ الصحابة من يجعل بين وجهه والتراب وقاية فقال له (ترّبْ وجهَكَ) أي ألصق وجهك بالتراب فإنه أقرب إلى التذلل وقد جُعل التيمم للعضوين المغسولين وسقط عن العضوين الممسوحين الرأس والرجلين وفيه إشارة على أنّ المسح بالصعيد هو إظهار الباطن لبيان وكشف المراد، كما أن المسح تخفيف عن الغسل لبيان التعريض والتلويح في ظاهر المقام، عن زرارة قال: قلت لأبي عبد اللّه عليه السلام: ألا تخبرني من أين علمت وقلت إن المسح ببعض الرأس وبعض الرجلين؟ فضحك ثم قال: يا زرارة قاله رسول اللّه ونزل به الكتاب من اللّه لأن اللّه يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ فعرفنا أن الوجه كله ينبغي له أن يغسل، ثم قال ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ ثم فصل بين الكلامين فقال: ﴿وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ﴾ فعرفنا حين قال برؤوسكم أن المسح ببعض الرأس لمكان الباء، ثم وصل الرجلين بالرأس كما وصل اليدين بالوجه فقال: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ فعرفنا حين وصلها بالرأس أن المسح على بعضها ثم فسر ذلك رسول اللّه للناس فضيعوه، ثم قال: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ﴾ فلما وضع عمن لم يجد الماء أثبت مكان الغسل مسحاً لأنه قال

بوجوهكم، ثم وصل بها ﴿وَأَيْدِيكُمْ﴾ ثم قال ﴿مِنْهُ﴾ أي من ذلك التيمم، لأنه علم أن ذلك أجمع لم يجرِ على الوجه لأنه يعلق من ذلك الصعيد ببعض الكفّ ولا يعلق ببعضها، ثم قال: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ﴾ في الدين ﴿مِنْ حَرَجٍ﴾ والحرج الضيق.

فالتيمم هو بمقام الوضوء ويكون عند الضرورة في إزالة الحدث وإسقاط الغُسل من الجنابة، كما ورد أن عمار بن ياسر أصابته جنابة فتجرّد من ثيابه وأتى صعيداً فتمعّك عليه، فبلغ ذلك رسول اللّه فقال يا عمار تمعّكت تمعّك الحمار؟ قد كان يُجزيك من ذلك أن تمسح بيديك ووجهك كما قال عز وجل).

سئل الصادق عليه السلام: عن مَجْدورٍ أصابته جنابةٌ فغسّلوهُ فماتَ؟ قال: قتلوهُ، ألاَ سألوا فإنّ دواء العِيِّ السؤال.

لأن حكم المريض إذا أجنب ولم يقدر على الغسل أو أنه يتضرر به هو أن يتيمّم فمن غسّله أو أفتى بغسله فهو ضامن.

إن في الوضوء والغسل والتيمم ترقّياً في المرتبات للإستدلال على الحقائق المحتجبة بقيام الواجبات والوظائف فمنها مباشرة إزالة الأوساخ والأقذار عن الجسد ومواضع الوضوء للتهيؤ لإقامة الصلاة، لأن بقاء القذر والوسخ على البدن يؤذي النفس والجار بالجنب ويبطل العمل كقبول الصلاة فهذا حجاب الكدورة العارضة من قبل المعاصي والصفات المرذولة التي تستطيل بدرنها على مرآة النفس لقوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (المطففين: ١٤) فالنفس الناطقة قد تتنجس من سريان جرم الأقذار إلى الإستكبار وتعالي الأوساخ إلى لطخات على النفس فتخبث بسبب انغمارها في معاصي الشهوات وارتكابها الموبقات العارضة والمانعة عن أن تتجلى فيها الطهارة وتنكشف لها حقائق الربوبية. فإذا تكاثرت تلك الظلمات وتراكمت تلك الكدورات فلا محالة تصير مانعة عن أن تطهر وحاجبة للإشراقات وهذا هو الخسوف في النفس، فإذا

اظلم الباطن ارتفع نور القلب فحصل الجهل بالأمور ووقع الشر فلا محالة يسقط القلب عن الإستعداد الذاتي وهذا هو الكسوف العياني وهذا هو تضييع الفاعلية وطمسها في وقفة البرزخية ومن ثَمَّ بالعدمية قال تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ (البقرة: من الآية ٢٦٧) فالمؤمن ينفق إخلاصاً ونقاوةً ولا يقصد رياءً ونفاقاً ليُخبِّث باطنه، فالمؤمن حين يصيب اللمم تخنس فيه روحُ الإيمان وتتماهى مع المخالفة ومن ثَمَّ تعود هدايتها بسبب التوبة والندم والإستغفار وهذا من أسرار علوق المزجة والمرتبة من الكون، ومن لا يكون فيه الإمكان من غير لزوم الخلل وبطلان القاعدة بل قواعد العدل وقانون الوجود تقتضيه وتوجبه، أمّا الترقي بالنظافة إلى الطهارة حتى تحصل الإنارة ويكون الفكر محصوراً في تحصيل تفاصيل الطاعات والعبادات البدنية من تطهير الثوب والجلوس في المسجد للصلاة ومراقبة أوقات الصلاة والنوافل وغيرها من أقسام العبادات وذلك مثله أن الأرواح جوهرها محجوب بعالم الطبيعة وتراكيب البدن فهي بعدُ في عالم الإمكان أي الظلمة التي لم تصِر مجلوة بالفعل فالصفاوة والجلاوة مختفية كإختفاء الزيت بالزيتونة والسمن باللبن، فالخروج يحتاج إلى أعمال تخرجه من القوة إلى الفعلية والجلائية، كما أن تحصيل موارد الحلال قد يشغله في هذه الأمور المشروعة فيكون ذاهلاً وغافلاً وهذه الفطرة تكون مختفية أو مظلمة والصفاوة مختفية فلا بد من أعمال تزيل به تلك الظلمات والكدورة، وبدون هذا التطهير والتصفية للباطن ما لو غسلت الأعضاء الصورية بماء المحيط ما تطهّرت ولا توجد فيها لياقة لذلك المقام بل يكون للشيطان فيها تصرّف ويكون المرء مبعوداً من حمى الرعاية قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ (يوسف: ١٠٥) فالتيمم يُطلَبُ من تحتٍ والأرض هي المكان وموضوع التيمم العضوان الظاهران فمن ترابها يكون تمكن التيمم، وهذا عند العارفين لأنّ الأرض هي القابلة لما ينزل إليها من سماء العقل من الصور والهيئات المشرقة بنور ربها لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ

﴿أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ (الرعد: ٤١) ننقصها من أطرافها أي نُزيل عنها التغيير والإنفعال فيجعلها اللّه جوهراً صافياً واصلاً بالعالم القدسي، وبهذه المعرفة يتطهر من الأقذار ويتخلص من النجاسات وولاية الأنجاس والطواغيت ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ (الزمر: ١٧) فالإجتناب هو التبرؤ منهم مع معرفة ما هم فيه ومجانبة الأوساخ والأقذار باطناً وظاهراً بالتطهر منها، فالغسل هو إسقاط الجنابة وشهادة للحق بالعبودية والإنابة بالمعرفة والطاعة (إن اللّه لا ينظر إلى صوركم بل ينظر إلى قلوبكم) فالقلب محلّ الطهارة والتزكية ونصيب الجوارح حظها منه، وقد بيّن الإمام الرضا ﷺ: فإن قال (قائل): فلم أمروا بالصلاة؟ قيل: لأن في الصلاة الإقرار بالربوبية وهو صلاح عام لأن فيه خلع الأنداد والقيام بين يدي الجبار بالذل والاستكانة والخضوع والخشوع والاعتراف وطلب الإقالة من سالف الذنوب ووضع الجبهة على الأرض كل يوم وليلة ليكون ذاكراً للّه غير ناس له ويكون خاشعاً وجلاً متذللاً طالبا راغباً في الزيادة للدين والدنيا مع ما فيه من الإنزجار عن الفساد، وصار ذلك في كل يوم وليلة لئلا ينسى العبد مدبره وخالقه فيبطر ويطغى وليكون في طاعة خالقه والقيام بين يدي ربه زاجراً له عن المعاصي وحاجزاً ومانعا عن أنواع الفساد.

فان قال (قائل): فلم أمروا بالوضوء وبدأ به؟

قيل له: لأن يكون العبد طاهراً إذا قام بين يدي الجبار وعند مناجاته إياه مطيعاً له فيما أمره نقياً من الأدناس والنجاسة مع ما فيه من ذهاب الكسل وطرد النعاس وتزكية الفؤاد للقيام بين يدي الجبار.

فان قال (قائل): فلم وجب ذلك على الوجه واليدين والرأس والرجلين؟ قيل: لأن العبد إذا قام بين يدي الجبار فإنما ينكشف عن جوارحه ويظهر ما وجب فيه

الوضوء وذلك بأنه بوجهه يسجد ويخضع وبيده يسأل ويرغب ويرهب ويتبتل وينسك وبرأسه يستقبل في ركوعه وسجوده وبرجليه يقوم ويقعد.

فان قال (قائل): فلم وجب الغسل على الوجه واليدين وجعل المسح على الرأس والرجلين ولم يجعل ذلك غسلاً كله أو مسحاً كله؟ قيل: لعلل شتى، منها أن العبادة العظمى إنما هي الركوع والسجود، وإنما يكون الركوع والسجود بالوجه واليدين لا بالرأس والرجلين ومنها أن الخلق لا يطيقون في كل وقت غسل الرأس والرجلين ويشتد ذلك عليهم في البرد والسفر والمرض وأوقات من الليل والنهار وغسل الوجه واليدين أخف من غسل الرأس والرجلين وإذا وضعت الفرائض على قدر أقل الناس طاقة من أهل الصحة ثم عم فيها القوي والضعيف ومنها أن الرأس والرجلين ليس هما في كل وقت باديان ظاهران كالوجه واليدين لموضع العمامة والخفين وغير ذلك.

فإن قال (قائل): فلم وجب الوضوء مما خرج من الطرفين خاصة ومن النوم دون سائر الأشياء؟ قيل: لأن الطرفين هما طريق النجاسة وليس للإنسان طريق تصيبه النجاسة من نفسه إلا منهما، فأمروا بالطهارة عندما تصيبهم تلك النجاسة من أنفسهم وأما النوم فلان النائم إذا غلب عليه النوم يفتح كل شيء منه واسترخى، فكان أغلب الأشياء عليه في الخروج منه الريح، فوجب عليه الوضوء لهذه العلة.

فان قال (قائل): فلم لم يؤمروا بالغسل من هذه النجاسة كما أمروا بالغسل من الجنابة؟ قيل: لأن هذا الشيء دائم غير ممكن للخلق الاغتسال منه كلما يصيب ذلك ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة: من الآية ٢٨٦) والجنابة ليست هي أمر دائم إنما هي شهوة تصيبها إذا أراد ويمكنه تعجيلها وتأخيرها الأيام الثلاثة والأقل والأكثر وليس ذلك هكذا.

فان قال (قائل): فلم أمروا بالغسل من الجنابة ولم يؤمروا بالغسل من الخلا

وهو انجس من الجنابة وأقذر؟ قيل: من أجل أن الجنابة من نفس الإنسان وهو شيء يخرج من جميع جسده والخلا ليس هو من نفس الإنسان إنما هو غذاء يدخل من باب ويخرج من باب.

* * *

علة وغاية

في الروايات جاء جماعة من اليهود سألوا النبي ﷺ لأيّ علة تُوضّأ هذه الجوارح الأربع وهي أنظف المواضع في الجسد؟

فقال ﷺ النبي لمّا أن وسوس الشيطان إلى آدم ﷺ دنا من الشجرة فنظر إليها فذهب ماء وجهه ثم قام ومشى إليها وهي أول قدمٍ مشت إلى الخطيئة ثم تناول بيده ما عليها فأكل فتطاير الحلي والحلل عن جسده فوضع آدم ﷺ يده على رأسه وبكى، فلما تاب اللّٰه عز وجل عليه فرض عليه وعلى ذريته تطهير هذه الجوارح الأربع فأمره اللّٰه عز وجل بغسل الوجه لمّا نظر إلى الشجرة وأمره بغسل اليدين إلى المرفقين لما تناول بهما وأمره بمسح الرأس لما وضع يده على أم رأسه وأمره بمسح القدمين لما مشى بهما إلى الخطيئة وكما أن غسل الجوارح ومسحها كان كفّارة ذنب أبينا آدم ﷺ فكذلك كفارة لنا أيضاً.

إنّ تطهير الأعضاء الظاهرية هو دلالة على الطهارات القلبية، وما دام الإنسان في عالم النقص والأغلال والغفلة ولا يجمع بين الطهارتين فليس من أهل المعرفة والسلوك، لقول الصادق ﷺ: (وطهّر قلبك بالتقوى واليقين عند طهارة جوارحك بالماء) وهذه مراتب العبادات التي تشرع في طريقي السير والسلوك لتخلو النفس من الأغيار وتتحلى بالصفات فتتهيأ لها لطائف التجليات الجمالية التي هي غاية العبادة وروح الوظائف الشرعية.

قال محمد بن سنان دخلت على حضرة مولاي الإمام الرضا ﷺ وسألته عن هذه العلل؟ فأجابني: علة غسل الجنابة: النظافة وتطهير الإنسان نفسه مما أصاب

من أذاه وتطهير سائر جسده، لأن الجنابة خارجة من كل جسده فيجب عليه تطهير جسده كله.

وعلة التخفيف في البول والغائط، لأنه اكثر وأدوم من الجنابة، فرضي فيه بالوضوء أكثره، ومشقته ومجيئه بغير إرادة منهم ولا شهوة والجنابة لا تكون إلا باستلذاذ منهم والإكراه لأنفسهم.

وعلة غسل العيدين و الجمعة وغيره ذلك من الأغسال ، لما فيه من تعظيم العبد ربه واستقباله الكريم الجليل وطلب المغفرة لذنوبه، وليكون لهم يوم عيد معروف يجتمعون فيه على ذكر اللّه تعالى فجعل فيه الغسل تعظيماً لذلك اليوم وتفضيلا له على سائر الأيام وزيادة العبادة ولتكون تلك طهارة له من الجمعة إلى الجمعة.

وعلة غسل الميت أنه يغسل، لأنه يطهر وينظف من أدناس أمراضه وما أصابه من صنوف عللّه، لأنه يلقى الملائكة ويباشر أهل الآخرة، فيستحب إذا ورد على اللّه ولقي أهل الطهارة ويماسونه ويماسهم أن يكون طاهراً نظيفاً موجهاً به إلى اللّه عز وجل ليطلب به ويشفع له.

وعلة أخرى أنه يخرج منه المني الذي منه خلق فيجنب فيكون غسله كله.

وعلة اغتسال من غسله أو مسه فطهارة لما أصابه من نضح الميت، لأن الميت إذا خرجت الروح منه بقي أكثر آفته، فلذلك يتطهر منه ويطهر.

وعلة الوضوء التي من أجلها صار غسل الوجه والذراعين ومسح الرأس والرجلين، فلقيامه بين يدي اللّه عز وجل واستقباله إياه بجوارحه الظاهرة وملاقاته بها الكرام الكاتبين فغسل الوجه للسجود و الخضوع، وغسل اليدين ليقلبهما ويرغب بهما ويرهب ويتبتل، ومسح الرأس والقدمين لأنهما ظاهران مكشوفان يستقبل بهما في كل حالاته، وليس فيهما من الخضوع والتبتل ما في الوجه والذراعين.

ما سمعه من الإمام علي الرضا ﷺ قال الفضل بن شاذان: سأل سائل فقال أخبرني هل يجوز أن يكلف الحكيم عبده فعلاً من الأفاعيل لغير علة ولا معنى؟

قيل له: لا يجوز ذلك لأنه حكيم غير عابث ولا جاهل.

فإن قال قائل: فأخبرني لما كلف الخلق؟ قيل لعلل كثيرة.

فإن قال قائل: فأخبر ني عن تلك العلل معروفة موجودة هي أم غير معروفة ولا موجودة؟ قيل: بل هي معروفة موجودة عند أهلها.

فإن قال: أتعرفونها أنتم أم لا تعرفونها؟

قيل لهم: منها ما نعرفه ومنها ما لا نعرفه.

فإن قال قائل فما أول الفرائض؟

قيل له: الإقرار بالله وبرسوله وحجته وبما جاء من عند الله عز وجل.

فإن قال قائل لِمَ أمر الخلق بالإقرار بالله وبرسله وبحججه وبما عند الله عز وجل؟

قيل: لعلل كثيرة، منها أن من لم يقر بالله عز وجل ولم يجتنب معاصيه ولم ينته عن ارتكاب الكبائر ولم يراقب أحداً فيما يشتهي ويستلذ عن الفساد والظلم، وإذا فعل الناس هذه الأشياء وارتكب كل إنسان ما يشتهي ويهواه من غير مراقبة لأحد، كان في ذلك فساد الخلق أجمعين ووثوب بعضهم على بعض، فغصبوا الفروج والأموال وأباحوا الدماء والنساء، وقتل بعضهم بعضاً من غير حق ولا جرم، فيكون في ذلك خراب الدنيا وهلاك الخلق وفساد الحرث والنسل، ومنها إن الله عز وجل حكيم ولا يكون الحكيم ولا يوصف بالحكمة إلا الذي يحظر الفساد ويأمر بالصلاح ويزجر عن الظلم وينهى عن الفواحش، ولا يكون حظر الفساد والأمر بالصلاح والنهي عن الفواحش إلا بعد الإقرار بالله عز وجل ومعرفة الآمر والناهي، ولو ترك الناس بغير إقرار بالله عز وجل ولا معرفته لم يثبت أمر

بصلاح ولا نهي عن فساد، إذ لا آمر ولا ناهي، ومنها أنا وجدنا الخلق قد يفسدون بأمور باطنة مستورة عن الخلق، فلولا الإقرار بالله وخشيته بالغيب لم يكن أحد إذا خلا بشهوته وإرادته يراقب أحداً في ترك معصية وانتهاك حرمة وارتكاب كبيرة إذا كان فعله ذلك مستوراً عن الخلق غير مراقب لأحد فكان يكون في ذلك خلاف الخلق أجمعين، فلم يكن قوام الخلق وصلاحهم إلا بالإقرار منهم بعليم خبير يعلم السر وأخفى، آمر بالصلاح ناه عن الفساد لا تخفى عليه خافية ليكون في ذلك إنزجار لهم عما يخلون به من أنواع الفساد.

فإن قال (قائل): فلم وجب عليهم معرفة الرسل والإقرار بهم والإذعان لهم بالطاعة؟ قيل: لأنه لما أن لم يكن في خلقهم وقواهم ما يكملون به مصالحهم وكان الصانع متعاليا عن أن يرى وكان ضعفهم وعجزهم عن إدراكه ظاهراً لم يكن بدٌّ لهم من رسول بينه وبينهم معصوم يؤدي إليهم أمره ونهيه وأدبه ويقفهم على ما يكون به اجترار منافعهم ومضارهم فلو لم يجب عليهم معرفته وطاعته لم يكن لهم في مجيء الرسول منفعة ولا سد حاجة ولكان يكون إتيانه عبثا لغير منفعة ولا صلاح وليس هذا من صفة الحكيم الذي أتقن كل شيء.

فإن قال (قائل): فلم جعل أولي الأمر وأمر بطاعتهم؟

قيل: لعلل كثيرة، منها أن الخلق لما وقفوا على حد محدود وأمروا أن لا يتعدوا ذلك الحد لما فيه من فسادهم لم يكن يثبت ذلك ولا يقوم إلا بأن يجعل عليهم فيه أمينا يمنعهم من التعدي والدخول فيما حظر عليهم، لأنه لو لم يكن ذلك لكان أحد لا يترك لذته ومنفعته لفساد غيره، فجعل عليهم قيما يمنعهم من الفساد ويقيم فيهم الحدود والأحكام، ومنها أننا لا نجد فرقة من الفرق ولا ملة من الملل بقوا وعاشوا إلا بقيم ورئيس، ولما لا بد لهم منه في أمر الدين والدنيا، فلم يجز في حكمة الحكيم أن يترك الخلق مما يعلم إنه لا بد له منه، ولا قوام لهم إلا به فيقاتلون به عدوهم ويقسمون فيئهم ويقيم لهم جمعهم وجماعتهم،

ويمنع ظالمهم من مظلومهم، ومنها إنه لو لم يجعل لهم إماما قيما أميناً حافظاً مستودعاً لدرست الملة وذهب الدين وغيرت السنن والأحكام ولزاد فيه المبدعون ونقص منه الملحدون وشبهوا ذلك على المسلمين، لأنا وجدنا الخلق منقوصين محتاجين غير كاملين مع اختلافهم واختلاف أهوائهم وتشتت أنحاءهم، فلو لم يجعل لهم قيما حافظا لما جاء به الرسولﷺ لفسدوا على نحو ما بينا وغيرت الشرائع والسنن والأحكام والإيمان، وكان في ذلك فساد الخلق أجمعين.

فان قال (قائل): فلم لا يجوز أن يكون في الأرض إمامان وفي وقت واحد وأكثر من ذلك؟

قيل: لعلل، منها أن الواحد لا يختلف فعله وتدبيره، والاثنين لا يتفق فعلهما وتدبيرهما، وذلك أنا لم نجد اثنين إلا مختلفي الهمم والإرادة، فإذا كانا اثنين ثم اختلفت هممهما وإرادتهما وتدبيرهما وكانا كلاهما مفترضي الطاعة لم يكن أحدهما أولى بالطاعة من صاحبه، فكأن يكون في ذلك اختلاف الخلق والتشاجر والفساد ثم لا يكون أحد مطيعاً لأحدهما إلا وهو عاص للآخر فتعم معصية أهل الأرض ثم لا يكون لهم مع ذلك السبيل إلى الطاعة والإيمان ويكونون إنما أتوا في ذلك من قبل الصانع الذي وضع لهم باب الاختلاف والتشاجر والفساد، إذ أمرهم باتباع المختلفين، ومنها إنه لو كانا إمامين لكان لكل من الخصمين أن يدعو إلى غير الذي يدعو إليه صاحبه في الحكومة، ثم لا يكون أحدهما أولى بأن يتبع صاحبه، فيبطل الحقوق والأحكام والحدود، ومنها إنه لا يكون واحد من الحجتين أولى بالنطق والحكم والأمر والنهي من الآخر، وإذا كان هذا كذلك وجب عليهما أن يبتديا بالكلام، وليس لأحدهما أن يسبق صاحبه بشيء إذا كانا في الإمامة شرعاً واحداً، فإن جاز لأحدهما السكوت جاز السكوت للآخر وإذا جاز لهما السكوت بطلت الحقوق والأحكام وعطلت الحدود وصار الناس كأنهم لا إمام لهم.

قال قائل (قائل): فلم لا يجوز أن يكون الإمام من غير جنس الرسول ﷺ؟ قيل: لعلل، منها أنه لما كان الإمام مفترض الطاعة لم يكن بد من دلالة تدل عليه ويتميز بها من غيره، وهي القرابة المشهورة والوصية الظاهرة ليعرف من غيره ويهتدي إليه بعينه، ومنها إنه لو جاز في غير جنس الرسول لكان قد فضل من ليس برسول على الرسل، إذ جعل أولاد الرسول اتباعاً لأولاد أعدائه كأبي جهل وابن أبي معيط، لأنه قد يجوز بزعمهم أن ينتقل ذلك في أولادهم إذا كانوا مؤمنين فيصير أولاد الرسول تابعين وأولاد أعداء اللّٰه وأعداء رسول متبوعين، فكان الرسول أولى بهذه الفضيلة من غيره وأحق، ومنها أن الخلق إذا أقروا للرسول بالرسالة وأذعنوا له بالطاعة لم يتكبر أحد منهم عن أن يتبع ولده ويطيع ذريته ولم يتعاظم ذلك في أنفس الناس، وإذا كان ذلك في غير جنس الرسول كان كل واحد منهم في نفسه إنهم أولى به ودخلهم من ذلك الكبر ولم تسنح أنفسهم بالطاعة لمن هو عندهم دونهم، فكان يكون ذلك داعية لهم إلى الفساد والنفاق والاختلاف.

فان قال (قائل): فلم وجب عليهم الإقرار والمعرفة بان اللّٰه واحد أحد؟ قيل: لعلل، منها إنه لو لم يوجب عليهم الإقرار والمعرفة لجاز لهم أن يتوهموا مدبرين أو أكثر من ذلك، وإذا جاز ذلك لم يهتدوا إلى الصانع لهم من غيره، لأن كل إنسان منهم كان لا يدري لأنه إنما يعبد غير الذي خلقه ويطيع غير الذي أمره، فلا يكونون على حقيقة من صانعهم وخالقهم ولا يثبت عندهم أمر آمر ولا نهي ناه إذا لا يعرف الأمر بعينه ولا الناهي من غيره، ومنها إنه لو جاز أن يكون اثنين لم يكن أحد الشريكين أولى بأن يعبد ويطاع من الآخر وفي إجازة أن يطاع ذلك الشريك إجازة أن لا يطاع اللّٰه وفي إجازة أن لا يطاع اللّٰه كفر باللّٰه وبجميع كتبه ورسله وإثبات كل باطل وترك كل حق وتحليل كل حرام وتحريم كل حلال والدخول في كل معصية والخروج من كل طاعة وإباحة كل فساد وإبطال كل حق، ومنها إنه لو جاز أن يكون أكثر من واحد لجاز لإبليس أن يدعي إنه ذلك

حتى يضاد اللّه تعالى في جميع حكمه ويصرف العباد إلى نفسه، فيكون في ذلك أعظم الكفر وأشد النفاق.

فان قال (قائل): فلم وجب عليهم الإقرار باللّه بأنه ليس كمثله شيء؟ قيل: لعلل منها أن لا يكونوا قاصدين نحوه بالعبادة والطاعة دون غيره غير مشتبه عليهم أمر ربهم وصانعهم ورازقهم، ومنها إنهم لو لا يعلمون إنه ليس كمثله شيء لم يدروا لعل ربهم وصانعهم هذه الأصنام التي نصبها لهم آباؤهم والشمس والقمر والنيران إذا كان جائزاً أن يكون عليهم مشتبه وكان يكون في ذلك الفساد وترك طاعاته كلها وارتكاب معاصيه كلها على قدر ما يتناهى إليهم من أخبار هذه الأرباب وأمرها ونهيها، ومنها إنه لو لم يجب عليهم أن يعرفوا أن ليس كمثله شيء لجاز عندهم أن يجري عليه ما يجري على المخلوقين من العجز والجهل والتغيير والزوال والفناء والكذب والاعتداء، ومن جازت عليه هذه الأشياء لم يؤمن فنائه ولم يوثق بعدله ولم يحقق قوله وأمره ونهيه ووعده ووعيده وثوابه وعقابه وفي ذلك فساد الخلق وإبطال الربوبية.

فان قال (قائل): لم أمر اللّه تعالى العباد ونهاهم؟ قيل: لأنه لا يكون بقاؤهم وصلاحهم إلا بالأمر والنهي والمنع من الفساد والتغاصب.

فان قال (قائل): فلم تعبدهم؟ قيل لئلا يكونوا ناسين لذكره ولا تاركين لأدبه ولا لاهين عن أمره ونهيه إذا كان فيه صلاحهم وقوامهم، فلو تركوا بغير تعبد لطال عليهم الأمد فقست قلوبهم.

فان قال (قائل): اخبرني عن الأذان لم أمروا به؟ قيل: لعلل كثيرة، منها أن يكون تذكيراً للساهي وتنبيها للغافل وتعريفاً لمن جهل الوقت واشتغل عن الصلاة وليكون ذلك داعياً إلى عبادة الخالق مرغبا فيها مقرا له بالتوحيد مجاهرا بالإيمان معلنا بالإسلام مؤذنا لمن نسيها وإنما يقال مؤذن لأنه يؤذن بالصلاة.

فان قال (قائل): فلم بدأ فيه بالتكبير قبل التهليل؟ قيل لأنه أراد أن يبدأ

بذكره واسمه، لأن اسم اللّٰه تعالى في التكبير في أول الحرف وفي التهليل اسم اللّٰه في آخر فبدأ بالحرف الذي اسم اللّٰه في أوله لا في آخره.

فان قال (قائل): فلم جعل مثنى مثنى؟ قيل لأن يكون مكرراً في آذان المستمعين مؤكداً عليهم إن سها أحد عن الأول لم يسه عن الثاني ولأن الصلاة ركعتان ركعتان ولذلك جعل الآذان مثنى مثنى.

فان قال (قائل): فلم جعل التكبير في أول الأذان أربعاً؟

قيل: لأن أول الأذان إنما غفلة وليس قبله كلام ينبه المستمع له، فجعل ذلك تنبهاً للمستمعين لما بعده في الآذان.

فان قال (قائل): فلم جعل بعد التكبير شهادتين؟

قيل: لأن أول الإيمان إنما هو التوحيد والإقرار للّٰه عز وجل بالوحدانية والثاني الإقرار للرسول بالرسالة وإن طاعتهما ومعرفتهما مقرونتان وإن أصل الإيمان إنما هو الشهادة، فجعل الشهادتين في الأذان كما جعل في سائر الحقوق شهادتين فإذا أقر للّٰه تعالى بالوحدانية والإقرار للرسول بالرسالة فقد أقر بجملة الإيمان، لأن أصل الإيمان إنما هو الإقرار باللّٰه وبرسوله.

فان قال (قائل): فلم جعل بعد الشهادتين الدعاء إلى الصلاة؟

قيل لأن الأذان وضع لموضع الصلاة وإنما هو النداء إلى الصلاة فجعل النداء إلى الصلاة في وسط الأذان فقدم المؤذن قبلها أربعاً التكبيرتين والشهادتين وأخر بعدها أربعاً يدعو إلى الفلاح حثاً على البر والصلاة ثم دعا إلى خير العمل مرغبا فيها وفي عملها وفي أدائها ثم نادى بالتكبير والتهليل ليتم بعدها أربعاً كما أتم قبلها أربعاً وليختم كلامه بذكر اللّٰه كما فتحه بذكر اللّٰه تعالى.

فان قال (قائل): فلم جعل آخرها التهليل ولم يجعل آخرها التكبير كما جعل في أولها التكبير؟ قيل: لأن التهليل اسم اللّٰه في آخره، فاحب اللّٰه تعالى أن

يختم الكلام باسمه كما فتحه باسمه.

فان قال (قائل): فلم لم يجعل بدل التهليل التسبيح والتحميد واسم اللّه في آخرها؟ قيل: لأن التهليل هو إقرار للّه تعالى بالتوحيد وخلع الأنداد من دون اللّه وهو أول الإيمان وأعظم من التسبيح والتحميد.

فإن قال: فلم بدأ في الاستفتاح والركوع والسجود والقيام والقعود بالتكبير؟ قيل: للعلة التي ذكرناها في الأذان.

فإن قال: فلم جعل الدعاء في الركعة الأولى قبل القراءة ولم جعل في الركعة الثانية القنوت بعد القراءة؟

قيل: لأنه أحب أن يفتح قيامه لربه وعبادته بالتحميد والتقديس والرغبة والرهبة ويختمه بمثل ذلك وليكون في القيام عند القنوت أطول فأحرى أن يدرك المدرك الركوع ولا يفقه الركعة في الجماعة.

فإن قال: فلِمَ أمروا بالقراءة في الصلاة؟

قيل: لئلا يكون القران مهجوراً مضيعاً وليكون محفوظاً فلا يضمحل ولا يجهل.

فإن قال: فلم بدأ بالحمد في كل قراءة دون سائر السور؟

قيل لأنه ليس شيء في القرآن والكلام جمع فيه جوامع الخير والحكمة ما جمع في سورة الحمد، وذلك إن قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ للَّه﴾ (الفاتحة: ٢) إنما هو أداء لما أوجب اللّه تعالى على خلقه من الشكر وشكره لما وفق عبده للخير ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ تمجيد له وتحميد وإقرار وأنه هو الخالق المالك لا غيره.

(الرحمن الرحيم) استعطاف وذكر لآلائه ونعمائه على جميع خلقه.

(مالك يوم الدين) إقرار له بالبعث والنشور والحساب والمجازاة وإيجاب له ملك الآخرة كما أوجب له ملك الدنيا.

(إياك نعبد) رغبة وتقرباً إلى اللّه عز وجل وإخلاصاً بالعمل له دون غيره.

(وإياك نستعين) استزادة من توفيقه وعبادته واستدامته لما أنعم اللّه عليه وبصره. (إهدنا الصراط المستقيم) استرشاداً لأدبه واعتصاماً بحبله واستزادة في المعرفة بربه وبعظمته وبكبريائه.

(صراط الذين أنعمت عليهم) توكيد في السؤال والرغبة وذكر لما تقدم من أياديه ونعمه على أوليائه ورغبة في مثل تلك النعم.

(غير المغضوب عليهم) استعاذة من أن يكون من المعاندين الكافرين المستخفين به وبأمره ونهيه.

(ولا الضالين) اعتصاماً من أن يكون من الضالين الذين ضلوا عن سبيل اللّه من غير معرفة وهم يحسبون (إنهم يحسنون صنعاً) فقد اجتمع فيها من جوامع الخير والحكمة في أمر الآخرة والدنيا مالا يجتمعه شيء من الأشياء.

فان قال: فلم جعل التسبيح في الركوع والسجود؟

قيل: لعلل، منها أن يكون العبد مع خضوعه وخشوعه وتعبده وتورعه واستكانته وتذلّله وتواضعه وتقربه إلى ربه مقدساً له ممجدا مسبحاً مطيعاً شاكراً لخالقه ورازقه، فلا يذهب به الفكر والأماني إلى غير اللّه.

فان قال: فلم جعل أصل الصلاة ركعتين ولم زيد على بعضها ركعة وعلى بعضها ركعتان ولم يزد على بعضها شيء؟

قيل: لأن أصل الصلاة إنما هي ركعة واحدة لأن أصل العدد واحد، فإن نقصت من واحدة، فليست هي صلاة، فعلم اللّه عز وجل أن العباد لا يؤدون تلك الركعة الواحدة التي لا صلاة أقل منها بكمالها وتمامها والإقبال عليها ركعة أخرى ليتم بالثانية ما نقص من الأولى، ففرض اللّه عز وجل أصل الصلاة ركعتين، ثم علم رسول اللّه ﷺ: إن العباد لا يؤدون هاتين الركعتين بتمام ما أمروا به

وكماله، فضم إلى الظهر والعصر الآخرة ركعتين ليكون فيها تمام الركعتين الأوليين ثم إنه علم أن صلاة المغرب يكون شغل الناس في وقتها أكثر للانصراف إلى الإفطار والأكل والشرب والوضوء والتهيئة للمبيت فزاد فيها ركعة واحدة ليكون أخف عليهم، ولأن تصير ركعات الصلاة في اليوم والليلة فرداً ثم ترك الغداة على حالها لأن الإشتغال في وقتها أكثر والمبادرة إلى الحوائج فيها أعم، ولأن القلوب فيها أخلى من الفكر لقلة معاملات الناس بالليل ولقلة الأخذ والإعطاء، فالإنسان فيها أقبل على صلاته منه غيرها من الصلوات، لأن الفكر أقل لعدم العمل من الليل.

فان قال: فلم جعل التكبير في الاستفتاح سبع تكبيرات؟

قيل إنما جعل ذلك، لأن التكبير في الركعة الأولى التي هي الأصل سبع تكبيرات تكبيرة الاستفتاح وتكبيرة الركوع وتكبيرتان للسجود وتكبيرة أيضاً للركوع وتكبيرتان للسجود، فإن كبر الإنسان أول الصلاة سبع تكبيرات فقد أحرز التكبير كله فإن سهى في شيء منها أو تركها لم يدخل عليه نقص في صلاته.

فان قال: فلم جعل ركعة وسجدتين؟

قيل لأن الركوع من فعل القيام، والسجود من فعل القعود وصلاة القاعد على النصف من صلاة القائم، فضوعف السجود ليستوي بالركوع، فلا يكون بينهما تفاوت، لأن الصلاة إنما هي ركوع وسجود.

فان قال: فلم جعل التشهد بعد الركعتين؟

قيل لأنه كما تقدم قبل الركوع والسجود الأذان والدعاء فكذلك أيضاً أمر بعدها التشهد و التحميد والدعاء.

فان قال: فلم جعل التسليم تحليل الصلاة ولم يجعل بدله تكبيراً أو تسبيحاً أو ضرباً آخر؟ قيل: لأنه لما كان في الدخول في الصلاة تحريم الكلام للمخلوقين

والتوجه إلى الخالق كان تحليلها كلام المخلوقين والانتقال عنها وابتداء المخلوقين في الكلام إنما هو التسليم.

فإن قال: فلم جعل القراءة في الركعتين الأوليين والتسبيح في الأخيرتين؟ قيل: للفرق بين ما فرض عز وجل من عنده وما فرضه من عند رسوله.

فإن قال: فلم جعل الجماعة؟ قيل لئلا يكون الإخلاص والتوحيد والإسلام والعبادة للّٰه إلا ظاهرا مكشوفا مشهوراً، لأن في إظهاره حجة على أهل الشرق والغرب للّٰه وحده عز وجل وليكون المنافق والمستخف مؤديا لما أقر به بظاهر الإسلام والمراقبة وليكون شهادات الناس بالإسلام بعضهم لبعض جائزة ممكنة مع ما فيه من المساعدة على البر والتقوى والزبر عن كثير من معاصي اللّٰه عز وجل.

فان قال: فلم جعل الجهر في بعض الصلاة ولم يجعل في بعض؟

قيل: لأن الصلاة التي يجهر فيها إنما هي صلاة تصلى في أوقات مظلمة، فوجب أن يجهر فيها لأن يمر المارّ فيعلم أن هاهنا جماعة فإذا أراد أن يصلي صلى، ولأنه إن لم ير جماعة تصلي سمع وعلم ذلك من جهة السماع والصلاتان اللتان لا يجهر فيهما فإنما هما بالنهار وفي أوقات مضيئة فهي تدرك من جهة الرؤية فلا يحتاج فيها إلى السماع.

فان قال: فلم جعل الصلاة في هذه الأوقات ولم تقدر ولم تؤخر؟

قيل لأن الأوقات المشهورة المعلومة التي تعم أهل الأرض، فيعرفها الجاهل والعالم أربعة غروب الشمس معروف يجب عنده المغرب وسقوط الشفق مشهور معلوم يجب عنده العشاء الآخرة وطلوع الفجر مشهور معلوم يجب عنده الغداة وزوال الشمس مشهور معلوم يجب عنده الظهر ولم يكن للعصر وقت معلوم مشهور مثل هذه الأوقات، فجعل وقتها عند الفراغ من الصلاة التي قبلها.

وعلة أخرى إن اللّه عز وجل أحب أن يبدأ الناس في كل عمل أولا بطاعته وعبادته فأمرهم أول النهار أن يبدؤوا بعبادته ثم ينتشرون فيما احبوا من مرمة دنياهم فأوجب صلاة الغداة عليهم، فإذا كان نصف النهار وتركوا ما كانوا فيه من الشغل وهو وقت يضع الناس فيه ثيابهم ويستريحون ويشتغلون بطعامهم وقيلولتهم، فأمرهم أن يبدؤوا أولا بذكره وعبادته، فأوجب عليهم الظهر، ثم يتفرغون لما أحبوا من ذلك فإذا قضوا وطرهم وأرادوا الانتشار في العمل لآخر النهار بدءوا أيضاً بطاعته، ثم صاروا إلى احب من ذلك، فما وجب عليهم العصر ثم ينتشرون فيما شاءوا من مرمة دنياهم فإذا جاء الليل ووضعوا زينتهم وعادوا إلى أوطانهم ابتدءوا أولًا بعبادة ربهم، ثم يتفرغون لما أحبوا من ذلك، فأوجب عليهم المغرب فإذا جاء وقت النوم وفرغوا مما كانوا به مشتغلين أحب أن يبدئوا أولا بعبادته وطاعته ثم يصيرون إلى ما شاءوا أن يصيروا إليه من ذلك فيكونون قد بدئوا في كل عمل بطاعته وعبادته، فأوجب عليهم العتمة فإذا فعلوا ذلك لم ينسوه ولم يغفلوا عنه ولم تقس قلوبهم ولم تقل رغبتهم.

فان قال: فلم إذا لم يكن للعصر وقت مشهور مثل الأوقات أوجبها بين الظهر والمغرب ولم يوجبها بين العتمة والغداة وبين الغداة والظهر؟ قيل: لأنه ليس وقت على الناس أخف ولا أيسر ولا أحرى أن يعم فيه الضعيف والقوي بهذه الصلاة من هذا الوقت، وذلك أن الناس عامتهم يشتغلون في أول النهار بالتجارة والمعاملات والذهاب في الحوائج وإقامة الأسواق، فأراد أن لا يشغلهم عن طلب معاشهم ومصلحة دنياهم وليس يقدر الخلق كلهم على قيام الليل ولا يشعرون به ولا ينتبهون لوقته لو كان واجباً ولا يمكنهم ذلك، فخفف اللّه عنهم ولم بجعلها في أشد الأوقات عليهم، ولكن جعلها في أخف الأوقات عليهم، كما قال اللّه عز وجل: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ (البقرة: من الآية ١٨٥).

فان قال: فلم يرفع اليدين في التكبير؟

قيل: لأن رفع اليدين هو ضرب من الابتهال والتبتل والتضرع، فأحب الله عز وجل أن يكون العبد في وقت ذكره له متبتلا متضرعاً مبتهلا، ولأن في رفع اليدين إحضار النية وإقبال القلب على ما قال وقصده.

فان قال: فلم جعل صلاة السنة أربعاً وثلاثين ركعة؟

قيل: لأن الفريضة سبع عشرة ركعة فجعلت السنة مثلي الفريضة كمالاً للفريضة.

فان قال: فلم جعل صلاة السنة في أوقات مختلفة ولم يجعل في وقت واحد؟ قيل: لأن أفضل الأوقات ثلاثة عند زوال الشمس وبعد المغرب وبالأسحار، فاحب أن يصلي له: في كل هذه الأوقات الثلاثة، لأنه إذا فرقت السنة في أوقات شتى، كان أدائها أيسر وأخف من أن تجمع كلها في وقت واحد.

فان قال: فلم صارت صلاة الجمعة إذا كانت مع الإمام ركعتين وإذا كانت بغير إمام ركعتين وركعتين؟ قيل: لعلل شتى، منها أن الناس يتخطون إلى الجمعة من بعد، فأحب الله عز وجل أن يخفف عنهم لموضع التعب الذي صاروا إليه، ومنها إن الإمام يحبسهم للخطبة وهم منتظرون للصلاة، ومن انتظر الصلاة فهو في صلاة في حكم التمام، ومنها إن الصلاة مع الإمام أتم وأكمل لعلمه وفقهه وعده وفضله، ومنها أن الجمعة عيد وصلاة العيد ركعتان ولم تنقص لمكان الخطبتين.

فان قال: فلم جعلت الخطبة؟ قيل: لأن الجمعة مشهد عام فأراد أن يكون للإمام سبباً لموعظتهم وترغيبهم في الطاعة وترهيبهم عن المعصية وتوقيفهم على ما أراد من مصلحة دينهم ودنياهم ويخبرهم بما ورد عليه من الأوقات ومن الأحوال التي لهم فيها المضرة والمنفعة.

فان قال : فلم جعلت الخطبة يوم الجمعة قبل الصلاة وجعلت في العيدين بعد الصلاة؟ قيل: لأن الجمعة أمر دائم يكون في الشهر مراراً وفي السنة كثيراً، فإذا أكثر ذلك على الناس صلوا وتركوه ولم يقيموا عليه وتفرقوا عنه، فجعلت قبل الصلاة ليحتسبوا على الصلاة ولا يتفرقوا ولا يذهبوا، وأما العيدان فإنما هو في السنة مرتان وهي أعظم من الجمعة والزحام فيه أكثر والناس منهم أرغب، فإن تفرق بعض الناس بقي عامتهم وليس هو بكثير فيميلوا ويستخفوا به.

قال مصنف هذا الكتاب (الصدوق): جاء هذا الخبر هكذا:

والخطبتان في الجمعة والعيد بعد الصلاة، لأنهما بمنزلة الركعتين الأخيرتين وإن أول من قدم الخطبتين عثمان بن عفان، لأنه لما أحدث ما أحدث لم يكن الناس يقفون على خطبة ويقولون: ما نصنع بمواعظه؟ وقد أحدث ما أحدث، فقدم الخطبتين ليقف الناس انتظاراً للصلاة ولا يتفرقون عنه.

فان قال: وجبت الجمعة على من يكون على فرسخين لا أكثر من ذلك؟ قيل لأن ما يقصر فيه الصلاة بريدان ذاهب وجائي والبريد أربعة فراسخ، فوجبت الجمعة على من هو على نصف البريد الذي يجب فيه التقصير، وذلك إنه يجيء على فرسخين ويذهب فرسخين فذلك أربعة فراسخ وهو نصف طريق المسافر.

فان قال: فلم زيد في الصلاة السنة يوم الجمعة أربع ركعات؟

قيل: تعظيما لذلك اليوم وتفرقه بينه وبين سائر الأيام.

فان قال: فلم قصرت الصلاة في السفر؟ قيل: لأن الصلاة المفروضة أولا: إنما هي عشر ركعات والسبع إنما زيدت عليها بعد، فخفف اللّه عنهم تلك الزيادة لموضع السفر وتعبه ونصبه واشتغاله بأمر نفسه وظعنه واقامته لئلا يشتغل عما لا بد له من معيشة رحمة من اللّه عز وجل وتعطفاً عليه إلا صلاة المغرب، فإنها لم تقصر، لأنها صلاة مقصورة في الأصل.

فان قال: فلم وجب التقصير في ثمانية فراسخ لا أقل من ذلك ولا أكثر؟
قيل: لأن ثمانية فراسخ مسيرة يوم للعامة والقوافل والإثقال، فوجب التقصير في مسيرة يوم.

فان قال: فلم وجب التقصير في مسيرة يوم لا أكثر؟

قيل: لأنه لو لم يجب في مسيرة يوم، لما وجب في مسيرة سنة، وذلك أن كل يوم يكون بعد هذا اليوم فإنما هو نظيره هذا اليوم، فلو لم يجب في هذا اليوم لما وجب في نظيره إذ كان نظيره مثله ولا فرق بينهما.

فان قال: قد يختلف السير فلم جعلت مسيرة يوم ثمانية فراسخ؟

قيل : لأن ثمانية فراسخ مسير الجمال والقوافل وهو سير الذي تسيره الجمالون والمكارون.

فان قال: فلم ترك تطوع النهار ولم يترك تطوع الليل؟

قيل: لأن كل صلاة لا تقصير فيها، فلا تقصير في تطوعها وذلك إن المغرب لا تقصير فيها فلا تقصير فيما بعدها من التطوع، وكذلك الغداة لا تقصير فيما قبلها من التطوع.

فان قال: فما بال العتمة مقصورة وليس تترك ركعتاه؟

قيل: إن تلك الركعتين ليستا من الخمسين وانما هي زيادة في الخمسين تطوعاً بها بدل كل ركعة من الفريضة ركعتين من التطوع.

فان قال: فلم جاز للمسافر والمريض أن يصليا صلاة الليل في أول الليل؟
قيل: لاشتغاله وضعفه ليحرز صلاته، فليستريح المريض في وقت راحته ويشتغل المسافر باشتغال وارتحاله وسفره.

فان قال: فلم أمروا بالصلاة على الميت؟

قيل: ليشفعوا له ويدعوا له بالمغفرة، لأنه لم يكن في وقت من الأوقات أحوج إلى الشفاعة فيه والطلب والاستغفار من تلك الساعة.

فان قال: فلم جعلت خمس تكبيرات دون أن يكبر أربعاً أو ستا؟

قيل: أن الخمس إنما أخذت من الخمس الصلوات في اليوم والليلة.

فان قال: فلم لم يكن فيها ركوع أو سجود؟ قيل: لأنه إنما أريد بهذه الصلاة الشفاعة لهذا العبد الذي قد تخلى عما خلف وأحتاج إلى ما قدم.

فان قال: فلم أمر بغسل الميت؟

قيل: لأنه إذا مات كان الغالب عليه النجاسة والآفة والأذى، فأحب أن يكون طاهراً إذا باشر أهل الطهارة من الملائكة الذين يلونه ويماسونه فيما بينهم نظيفاً موجهاً به إلى اللّه عز وجل، وليس من ميت يموت إلا خرجت منه الجنابة فلذلك أيضا وجب الغسل.

فان قال: فلم أمروا بكفن الميت؟

قيل: ليلقى ربه عز وجل طاهر الجسد ولئلا تبدو عورته لمن يحمله ويدفنه ولئلا يظهر الناس على بعض حاله وقبح منظره وتغير ريحه، ولئلا يقسو القلب من كثرة النظر إلى مثل ذلك للعاهة والفساد وليكون أطيب لأنفس الأحياء ولئلا يبغضه حميم فيلقى ذكره ومودته فلا يحفظه فيما خلف وأوصاه وأمره واجباً كان أو ندباً.

فان قال: فلم أمر بدفنه؟ قيل: لئلا يظهر الناس على إفساد جسده وقبح منظره وتغير ريحه ولا يتأذى به الأحياء بريحه وبما يدخل عليه من الآفة والفساد وليكون مستورا عن الأولياء والأعداء فلا يشمت عدوه ولا يحزن صديقه.

فان قال: فلم أمر من يغسله بالغسل؟ قيل: لعلة الطهارة مما أصابه من نضح الميت لأن الميت إذا خرج منه الروح بقي منه أكثر آفته.

فان قال: فلم لم يجب الغسل على من مس شيئاً من الأموات غير الإنسان كالطير والبهائم والسباع وغير ذلك؟ لأن هذه الأشياء كلها ملبسة ريشاً وصوفاً وشعراً ووبراً، هذا كله زكي طاهر ولا يموت، وانما يماس منه الشيء الذي هو زكي من الحي والميت.

فان قال: فلم جوزتم الصلاة على الميت بغير وضوء؟

قيل: لأنه ليس فيها ركوع ولا سجود وانما هي دعاء ومسالة، وقد يجوز أن تدعو اللّه وتسأله على أي حال كنت، وانما يجب الوضوء في الصلاة التي فيها الركوع والسجود.

فان قال: فلم جوزتم الصلاة عليه قبل المغرب وبعد الفجر؟

قيل: لأن هذه الصلاة إنما تجب في وقت الحضور والعلة وليست هي موقتة كسائر الصلوات، وانما هي صلاة تجب في وقت حدوث الحدث ليس للإنسان فيه اختيار وانما هو حق يؤدي وجائز إن تؤدي الحقوق في أي وقت إذا لم يكن الحق موقتا.

فان قال: فلم جعلت للكسوف صلاة؟

قيل: لأنه آية من آيات اللّه عز وجل لا يدرى لرحمة ظهرت أم لعذاب؟ فأحب النبي ﷺ أن يفزع أمته إلى خالقها وراحمها عند ذلك ليصرف عنهم شرها ويقيهم مكروهها كما صرف عن قوم يونس ﷺ حين تضرعوا إلى اللّه عز وجل.

فإن قال: فلم جعلت عشر ركوعات؟

قيل: لأن الصلاة التي نزل فرضها في السماء إلى الأرض أولا في اليوم والليلة، فإنما هي عشر ركعات، فجمعت تلك الركعات هيهنا وإنما جعل فيها السجود لأنه لا يكون صلاة فيها ركوع إلا وفيها سجود ولأن يختموا أيضا

صلواتهم بالسجود والخضوع، وإنما جعلت أربع سجدات لأن كل صلاة نقص سجود من أربع سجدات لا تكون صلاة، لأن أقل الفرض السجود في الصلاة لا يكون إلا على أربع سجدات.

فإن قال: فلم لم يجعل بدل الركوع سجوداً؟

قيل: لأن الصلاة قائماً أفضل من الصلاة قاعداً ولأن القائم يرى الكسوف والانجلاء والساجد لا يرى.

فإن قال: فلم غيرت عن أصل الصلاة التي افترضها اللَّه؟

قيل: لأنه صلى لعلة تغير أمر من الأمور وهو الكسوف، فلما تغيرت العلة تغير المعلول.

فإن قال: فلم جعل يوم الفطر العيد؟

قيل: لأن يكون للمسلمين مجمعاً يجتمعون فيه ويبرزون إلى اللَّه عز وجل فيحمدونه على ما من عليهم، فيكون يوم عيد ويوم اجتماع ويوم فطر ويوم زكاة ويوم رغبة ويوم تضرع، ولأنه أول يوم من السنة يحل فيه الأكل والشرب، لأن أول شهور السنة عند أهل الحق شهر رمضان، فأحب اللَّه عز وجل أن يكون لهم في ذلك اليوم مجمع يحمدونه فيه ويقدسونه.

فإن قال: فلم جعل التكبير فيها أكثر منه غيرها من سائر الصلاة؟

قيل: لأن التكبير إنما هو تكبير للَّه وتمجيد على ما هدى وعافى كما قال اللَّه عز وجل: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة: من الآية ١٨٥).

فإن قال: فلم جعل فيها اثنتا عشرة تكبيرة؟ قيل: لأنه يكون في كل ركعتين اثنتا عشرة تكبيرة، فلذلك جعل فيها اثنتا عشرة تكبيرة.

فان قال: فلِمَ جعل سبع تكبيرات في الأولى وخمس في الثانية ولم يسوِ بينهما؟ قيل: لأن السنة في صلاة الفريضة أن يستفتح بسبع تكبيرات، فلذلك بدئ هاهنا بسبع تكبيرات، وجعل في الثانية خمس تكبيرات، لأن التحريم من التكبير في اليوم والليلة خمس تكبيرات وليكون التكبير في الركعتين جميعاً وتراً وتراً.

* * *

دعوة الصلاة بعناصر الأكوان

عن أبي صالح قلت لأبي عبد اللّه ﵇: أوقفني على حدود الإيمان؟ فقال: شهادةُ أن لا إلهَ إلا اللّه وأن محمداً رسولُ اللّه والإقرار بما جاء به من عند اللّه وصلواتُ الخمسِ وأداءُ الزكاة وصومُ شهر رمضان وحجُّ البيت وولايةُ وليّنا وعداوةُ عدونا والدخولُ مع الصادقين.

وفي الخبر: بني الإسلام على خمسة: شهادة أن لا إله إلّا اللّه والصلاة والزكاة والصوم والحج.

وفي الخبر قال رسول اللّه ﷺ: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمداً رسول اللّه وتُقيم الصلاة وتُؤتي الزكاة وتصوم شهر رمضان وتَحجُّ البيت إن استطعتَ إليه سبيلاً.

في حديث عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال: لا تترك الصلاة متعمداً، فمن تركها متعمداً فقد خرج من الملة.

أركان الإسلام: الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد.

جمع ركن وهو الجانب القوي من الشيء وهو الذي يُستند إليه ويقوم به البناء، والمراد هنا بالركنية ما لم يتمّ الواجب إلّا به والذي يجب إقامته والمحافظة عليه لأنه مقوِّم للفرائض ولا يُتمّم إلّا به كما أنّ هذه الأركان لا تُقبل إلّا من المسلم بشرطيته، والآلة التي تحمل ذلك هي الجوارح كما في الحديث يوم الحساب (ويقال لأركانه انطقي) أي جوارحه ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النور: ٢٤).

قال أحد العارفين المحققين إقامة هذه الأحكام والمحافظة عليها لأنها في

الحقيقة هي المصفيّة لأصول العناصر الممتزجة في الإنسان المشتمل على البواطن والظاهر والروح والجسد، أنزل الصوم من العنصر الناري للمناسبة بين الصوم والنار ولمعنى مشترك بينهما في رفع الأغيار وتنوير مكان الإبصار، والصلاة من العنصر المائي لمناسبة بينهما في إثبات الآثار والأثمار، والحج من العنصر الريحي لمناسبةٍ بينهما في قم البيوت وإخراج السكينة من التابوت ولمعنى مشترك في كشف الأستار وتبيين المقدار، والزكاة من العنصر الترابي المشترك بينهما في الإمساك والتحصين ودفع الظن والتخمين ولمعنى رفع رذائل البخل، فالإنسان إذا صام ظاهراً وباطناً صار عنصره الناري طاهراً ولطيفاً، فيتبين فيه واحد من حملة العرش وهو جبريل النازل إلى العرش وصار قلباً له على النفس، وإذا صلّى صلاة ناهيةً عن الفحشاء والمنكر صار عنصره المائي رياً يطهره المطهر ويتبين فيه واحد من حملة العرش وهو ميكايل وصار عقلاً له، وإذا حجّ البيت فرضاً ووقف المواقف عرضاً صار عنصره الريحي طويلاً وعريضاً ويتبين فيه واحد من حملة العرش وهو إسرافيل وصار روحاً له في الحياة، وإذا زكّى ماله لقطع الرذائل صار عنصره الترابي صافياً ويتبين فيه واحد من حملة العرش وهو عزرائيل وصار نفساً له في دار السلام فإذا جاء الوقت فينبغي له أن يبادر إلى الصلاة لأن اللّٰه سبحانه أرسل إليه من يطلبه لخدمته ذلك الوقت الخاص، ولذلك كان الإمام الحسين عليه السلام إذا سمع الأذان تغيّر وجهه واصفر لونه فقيل له في ذلك؟ قال إن اللّٰه تعالى أرسل إليّ من يطلبني لخدمة خاصةٍ ولا أدري أيقبلها مني أم لا فكيف لا يتغير لوني.

قال الجنيد قدسه اللّٰه: أتدرون ما فرض الصلاة؟ قالوا: لا.

قال: قطع العلائق وجمع الهم والحضور بين يدي اللّٰه تعالى، قيل له: كيف تدخل في الصلاة؟ قال: بالقاء سمعٍ وشهود قلبٍ وحضور عقلٍ وجمع همٍّ.

في كتاب تأويل الآيات: بالإسناد إلى الفضل بن شاذان عن داوود بن كثير

قال: قلت لأبي عبد اللّه ﷺ أنتم الصلاة في كتاب اللّه وأنتم الزكاة وأنتم الحج؟ فقال: يا داؤود نحن الصلاة في كتاب اللّه ونحن الزكاة ونحن الصيام ونحن الحج ونحن البلد الحرام ونحن كعبة اللّه ونحن قبلة اللّه ونحن وجه اللّه، ونحن الآيات ونحن البينات، وعدونا في كتاب اللّه الفحشاء والمنكر والبغي والخمر والميسر والأنصاب والأزلام والأوثان والجبت والطاغوت والميتة والدم ولحم الخنزير.

يا داؤود إن اللّه خلقنا وأكرم خلقنا وفضلنا وجعلنا أمناءه وحفظته وخزانه على ما في السماوات وما في الأرض وجعل لنا أضداداً وأعداءً، فسمانا في كتابه وكنى أسمائهم وضرب لهم الأمثال في كتابه في أبغض الأسماء إليه وإلى عباده المتقين.

قال الرضا ﷺ: إن الإمامة منزلة الأنبياء وإرث الأوصياء، إن الإمامة خلافة اللّه وخلافة الرسول ومقام أمير المؤمنين وميراث الحسن والحسين، إن الإمامة زمام الدين ونظام المسلمين وصلاح الدنيا وعز المؤمنين، إن الإمامة أساس الإسلام النامي وفرعه السامي بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وتوفير الفيء والصدقات وإمضاء الحدود والأحكام ومنع الثغور والأطراف، الإمام يحل حلال اللّه ويحرم حرام اللّه ويقيم حدود اللّه ويذبّ عن دين اللّه ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة والحجة البالغة.

المساجد والجوامع والبيوت

قال رسول الله ﷺ: الجلوس في المسجد لانتظار الصلاة عبادة ومن كان القرآن حديثه والمسجد بيته بنى الله له بيتاً في الجنة ورفعه درجة دون الدرجة الوسطى.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: الجلوس في المسجد بعد طلوع الفجر إلى طلوع الشمس أسرع في طلب الرزق من الضرب في الأرض.

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: لا تدخلوا المساجد إلّا بعد الطهارة ومن دخل مسجداً بغير طهارة فالمسجد خصمه ومن نام في المسجد بغير عذرٍ إبتلاه الله بداءٍ لا دواء له.

وقال الصادق عليه السلام: يأتي في آخر الزمان أُناسٌ من أمتي يأتون المساجد يقعدون فيها حلقاً، ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس للّه بهم حاجة.

في الحديث: قال الله تعالى يا عبادي إن بيوتي في الأرض المساجد وأن زواري فيها عمارها، فطوبى لعبدٍ تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور أن يُكرم زائره.

قال أمير المؤمنين عليه السلام مَن اختلف إلى المساجد أصاب إحدى الثماني: أخاً مستفاداً في الله عز وجل أو علماً مُستطرفاً أو آيةً محكمةً أو رحمةً منتظَرَة أو كلمةً تردُه عن ردى أو يسمع كلمةً تدُلُه على هدى أو يترُكُ ذنباً خشيةً أو حياءً.

قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ (النور: ٣٦) المراد من الإذن هو الإذن الشرعي التكليفي أي أمر الله

عباده أمراً تكليفياً بتعظيم تلك البيوت بالإحترام والتقدير ورفع شأنها بالطهارة وتعظيمها بما يليق بها من رفع الأذان والذكر وإقامة المفترضات والصلوات كافةً والتسبيح بالتوحيد والتنزيه بغدوّ التجلي اللامع والآصال عند الإستتار المقبوض بالشحوبة، فالإذن لمعرفة من احتجب في أول النهار وأصيله الطرف الآخر فالأول والآخر الظهور والغيبة الغدو والآصال ولذلك يخفت المصلي ويجهر بقراءته وهو دليل على معرفة تراخي شراشر التجليات الكاشفة للحقائق في العبادة العينية والعقلية ومعرفة آصال الإستتار بحجب الظلمة والتلبيس، وتكون المحافظة على الصلوات والشعائر الدينية لا رفع بناء المساجد وفخامتها وزينتها فقط، كما أن تركها إهانة لها وخراب واستخفاف بما أمر اللّه تعالى تعظيمه واحترامه، كما أوجب الجهر بذكر الأسماء في البيوت لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ (الأعراف: من الآية ١٨٠) قال الإمام الصادق ﷺ (نحن واللّه الأسماء الحسنى) لأنهم محل البيان ومسرى الإحسان ومظهر الجمال وبهم تكون المعارج السمانية في (الكافي): نحن واللّه الأسماء الحسنى).

قال أبو شعيب محمد بن نصير: (إن اللّه أضاف الأشياء إليه وهو غيرها وهي غيره فأفعاله معروفة به وليس هو يعرف بأفعاله).

هذه الإضافات الأسمائية والصفاتية التي لا تُعرَف إلّا به وهو غنيٌّ عنها فهي خارجة عن ماهية الذات لأنها تُعرَف بذاتها وهي إذا أُضيفت إليه لا تفيد تركيباً في الذات ولا تكتمل بها، لأنه هو سببها وعلتها للدلالة على قدرته التي بها قوام كل شيء وعلمه الذي أحاط بكل شيء، إذاً هذه الأسماء والصفات والأفعال لا تدخل في صفات الذات حتى يُعرَف بها لأنه قائم بذاته الغنية عن الأسماء والصفات والحدود التي لا تُعرَف إلّا به وهو يعرف بذاته ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ (فاطر: ١٥) فهنا الاسم محض العلامة

والتعريف، والصفة معنى خارج وملحوظ بالإضافة لتتمّ المعرفة والفعل بمعنى الخلق الذي يدل على الخالق وإضافة الأشياء إليه تنزيهٌ له عن المماثلة والمجانسة والمشابهة لأنّ هذا عبد وهذا معبود وهذا قديم أزل قائم بذاته وهذا محدَث يقوم بغيره فارتفعت المساواة فالإضافة إليه لتُعرف بأنها مخلوقة له وراجعة إليه بالسبب والمدد والعلة ومعروفة به فهذه تُعرف به عز وجل ولا يُعرف بها وذلك أنه تعالى لا شيء أظهر منه وأبين منه فيُعرف به فيكون أقرب إلى الخلق منه وهذا باطل لقوله تعالى: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ (الحج: ٦٤).

وبالإسناد عن محمد بن سنان قال: سألته (الرضاﷺ) عن الاسم ما هو؟ قال: صفة لموصوف.

دلّ المولى الرضا ﷺ على أن الإسم صفة لمسمى، فلا بد من الأسماء ليعرف بها وإلاّ تكون تدعو إلى مجهول وتصف معدوماً وتنادي موهوما وهذا هو عين الجهل والتعطيل، لقوله تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ (الحج: من الآية ٤٥).

وعن محمد بن سنان قال: سألت أبا الحسن الرضا ﷺ: هل كان اللّه عارفاً بنفسه قبل أن يخلق الخلق؟ قال ﷺ: نعم.

قلت: يراها ويسمعها؟ قال: ما كان محتاجاً إلى ذلك لأنه لم يكن يسألها ولا يطلب منها شيئاً، هو نفسه ونفسه هو قدرته نافذة، فليس بمحتاج إلى أن يسمي نفسه، ولكنه اختار أسماءً لغيره يدعوه بها، لأنه إذا لم يدع باسمه لم يعرف، فأول ما اختار لنفسه (العلي العظيم) أعلى الأشياء كلها، فمعناه (اللّه) واسمه (العلي) هو أول أسمائه لأنه علا كل شيء.

قال الحسين ﷺ: كيف يُستَدلُ عليك بما هو في وجوده مفتقرٌ إليك، أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك، متى غبت

حتى تحتاج إلى دليل يدلُّ عليك، ومتى غبتَ حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك، عميت عينٌ لا تراك ولا تزال عليها رقيباً، وخسرت صفقة عبدٍ لم تجعل له من حبّك نصيباً.

قال أمير المؤمنين ﷺ: لا صلاة لجار المسجد إلّا في المسجد إلّا أن يكون له عذرٌ وبه علة، فقيل ومن جار المسجد يا أمير المؤمنين قال: من سمع النداء.

وقال ﷺ: الجلوس في المساجد رهبانية العرب والمؤمن مجلسه مسجده وصومعته بيته.

قال الكاظم لهشام إن المسيح قال للحواريين: يا عبيد السوء، اتخذوا مساجد ربكم سجوناً لأجسادكم وجباهكم، واجعلوا قلوبكم بيوتاً للتقوى ولا تجعلوا قلوبكم مأوى للشهوات.

قال أبو بكر النساج سمعت السري السقطي قدسه اللّٰه: لو علمت أن جلوسي في البيت أفضل من خروجي إلى المسجد ما خرجت ولو علمت أن انفرادي عنكم أفضل من جلوسي إليكم ما جالستكم ولكن إذا دخلت اقتضاني العلم لكم وإن خرجت نافرتني الحقيقة، فأنا عند منافرتي مستحي وأنا عند اقتضاء العلم محجوج.

في المسجد مناخ يشدّك إلى عالم الآخرة فيستوجب على الداخل فيه أن يتنفس من كونه وأن يخلع عن كون أنانيته ويلتزم بقيود آداب مناخ المسجد لأن أجوائه تربوية تجمع النفوس كما يجمع القلب القوى من شتات الدنيا وكما تلملم الذات أشعات الصفات وقد شرفت بالذكر والعبادة وهي محاذية للتوجه ومكان للقصد، وهذه البيوت الظاهرة طريق إلى البيت الحقيقي كما في الحديث: لا يسعني سماءي ولا أرضي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن وقد أوحى اللّٰه تعالى إلى داؤود: يا داؤود فرّغ لي بيتاً أسكن فيه، فقال: يا رب إنك تجلُّ عن المكان

والمسكن، فأوحى إليه يا داؤود فرغ لي قلبك، فكل قلب لم يكن فيه سوى محبة اللّه فهو بيت اللّه حقاً.

إذا وقعت الأعضاء الظاهرة للإنسان في تصرّف إبليس تكون أعضاؤه شيطانية ويكون غاصباً لمملكة الحق، لأنّ الأصل أن تكون مملكة الجسد والقوى والمساجد مباحة وملكاً لقوى الرحمن لأنها ملك للحق عز وجل ولهذا خُلقت، ومن سدّ منافذ الشيطان وأغلق شبابيك غرفته وطرد من بيته الكواسر وخطاطيف الوهوم وبوم الظلمة فتصح عندئذٍ الصلاة وتضيء البيوت وتطهر الأمكنة لأهل المعرفة ويرتفع الميزان في المساجد، كما في المرويات: أوحى اللّه إلى موسى ﷺ: يا موسى كن كالطير الواحد الذي يأكل من رؤوس الأشجار ويشرب من ماء القراح، إذا جنّه الليل أوى إلى كهف من الكهوف إستئناساً بي واستيحاشاً ممن عصاني، يا موسى: آليت على نفسي أن لا أتمّ لمدبرٍ دوني عملاً، يا موسى لأقطعنَّ أمل كل مؤملٍ يؤمل غيري ولأقصمنّ ظهر من استند إلى سواي ولأطيلنّ وحشة من استأنس بغيري ولأعرضنّ عمّن أحب حبيباً سواي، يا موسى: إن لي عباداً إن ناجوني أصغيتُ إليهم وإن نادوني أقبلت عليهم وإن أقبلوا عليّ أدنيتهم وإن دنوا منّي قرّبتهم وإن تقرّبوا مني أكنفتهم وإن والوني واليتهم وإن صافوني صافيتهم وإن عملوا لي جازيتهم هم في حماي وبي يفتخرون أنا مدبر أمورهم وأنا سائس قلوبهم وأنا متولي أحوالهم لم أجعل لقلوبهم راحة في شيء إلّا في ذكري فذكري لأسقامهم شفاء وعلى قلوبهم ضياء.

المسجد الحرام: المراد به البقعة التي فيها الكعبة والمكان هو مكة المكرمة.

المسجد الأقصى: بيت المقدس الذي بناه النبي سليمان الحكيم ﷺ، وفي صحيح بخاري عن أبي ذر (رض) قال: قلت يا رسول اللّه أي مسجد وضع في الأرض أولاً؟ قال ﷺ: المسجد الحرام. قال: قلت ثم أي؟ قال: المسجد

الأقصى. قال: ثم قلت: يا رسول اللّه كم بينهما؟ قال: أربعون سنة.

الميم أربعون بالحساب فيكون بينهما أولُ حرف محمد ﷺ لأنه الإسم الجامع لمادة المساجد وهو المخصوص بهذه المعجزة وهو المسري به بينهما وهو آيتهما الغائية بمظاهر حجاب الكون.

فالمسجد إسم مكان من فعل سجد أي خضع وذل، فالجوارح الساجدة هي الأقصى من حيث الموقع والقلب هو الحرام لأنه حرَمُ اللّه كما جاء في الحديث (إن السموات والأرض لا تسعني ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن، فقلب عبدي حرمي فحرام على حرمي أن يسكنه أحدٌ غيري).

وحتى يحصل الاتصال بين المسجد الأقصى أي الجوارح التي هي موضع الوضوء والطهارة والتيمم والقلب الذي هو الحرم لا بدَّ من الإسراء وهو الإتصال بين الظاهر الجوارحي والباطن الجوانحي لتصحّ رقيقة الصلوات فتكون الصلاةُ صلةً باللّه وسمة الهداية لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ (الجن: ١٨).

قال العالم الأنوري ومبرّز النتائج من قلب معادن المطالب بمعول البرهان:

ولو لم يعُدْني طيفُ لمياء في القلى   وألطافها عند المحبين لا تُحصى
لما هديت نفسي إليها ولا سرتُ   من المسجد الأدنى إلى المسجد الأقصى

فالمسجد الأقصى والبيت المقدس راموز إلى مظهر المادة الكلية الراشحة في فضاء القدس ومحل قيمومة طوفان الأنس ومعقد البُراق ومحط الركوع وموضع السجود، فسبحان الذي خلق الطبيعة الكلية بإرادته لترتبط نفس عبده شوقاً بمادة الكمالات الذاتية السارية بالطبائع الأربع وتتنزّل آثارها إلى أرض العبادة بصور وهيئات وأفعال مماثلة لجوهرها كي تسعى لقيام الصلاة في المساجد والبيوت المرفوعة بالذكر الموصولة بالستر الذي لا يخفى.

بالإسناد عن أحمد بن عبد الملك قال: سمعت أبا الفيض يقول: الذي اجتمع عليه أهل الحقائق في حقائقهم أن اللّٰه غير مفقود فيُطلب ولا ذو غاية فيُدرك، فمن أدرك موجوداً فهو بالموجود مغرور وإنما الموجود عندنا معرفة وكشف علم بلا حال.

قال الرسول ﷺ: (جُعلت لي الأرضُ مسجداً وطهوراً) فالنشأة الطبيعية والمرتبة الظاهرة التي هي نهاية الكون والتكوين مكانها طبيعة الأرض وتماثيلها، والعارف يدرك بأنه في عالم الطبيعة أسير الطبائع وحبيس قيود الأمكنة ولا يتخلّص من آصارها وأغلالها إلّا بطول الركوع والسجود والقنوت وأن الأرض محلّ البيوت والمساجد لأنّ هيولى النشأة وقوامها من طينة ترابها ليُتمّم السالك مقاصده التوصلية فيقوم حارساً لنفسه بالآداب والتكاليف ولا يخرج عن مساجد العبودية ولا يستأنس بغيرها ولا يتعلق قلبه بغيرها (لأنها تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض) فمن خالف ما خُلِق له فقد فضح نفسه ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ (الأعراف: ٢٣).

ولما كان السالك بظاهره وباطنه يجب عليه الإعتكاف وبالملازمة طهارة البدن فلا بدّ له أن ينظّف محلّ نشأته الأرضية من لطخات قوى إبليس وكدوراته ويتأدب في المسجد فهذه مرتبة القوى الظاهرة للنفس والبدن فإذا علم أنّ الأرض منها نفس أصول عناصره كما هي مسجد لجنود الرحمن وممرّ للمسافرين ومحطة للمغادرين فلا يُهملها وينجسها بقاذورات إبليس ولا يُسكن جنود إبليس المظلمة جوارحه فيكون ممن عصا ببدنه وخالف نشأته في مساجد بدنه وبيوت نفسه ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ (الأعراف: ١٤٩) وإذا أدرك السالك بأن الطريق يبتدئ من تنظيف بدنه البرزخي لتنبعث طهارة نفسه فيكون دخل مقام الذوق وتحكّم قلبه بإدارة مملكته وأطرافها، وإلاّ حوّل مسجده إلى مسجد ضرار وكفر وتفريق بين

باطنه وظاهره وجوارحه وجوانحه وأفسد طبيعته وأظلم نشأته، فمن أسس بنيانه على النظافة من القاذورات والطهارة من تصرفات الشيطان واعتكف يجاهد في مملكته فقد ربحت صفقته وعرف يقيناً عالمه الكبير بتجليات الأسماء والصغير بصفات الأفعال مستجمعاً النعمة والكرامة بروح العبادات ونفس المناسك وباطن المعرفة لاستحكام قلبه بمورد العنايات الخفية، لقول الإمام الصادق‌عليه السلام: (إذا بلغت باب المسجد فاعلم أنك قد قصدت باب ملك عظيم لا يطأ بساطه إلّا المطهّرون ولا يؤذن لمجالسته إلّا الصدّيقون).

فمن دخل المسجد معترفاً بالتقصير والعجز والإنكسار والفقر بين يدي مولاه ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ (الأنعام: من الآية ٦٥) فيكون قد توجه لَمن فوقه الذي يملك صفات القهر والغلبة ليرحمه بالمؤانسة الشهودية ومن التحت بحجب الطبيعة بخفي اللطف فيصلح الربُّ علانيته ويُخلص له سريرته وقد أخلى قلبه من كل الشواغل والأهواء والتجأ بصدقٍ ينتظر جامعية الرحمة واللطف.

قال الرسول صلى الله عليه وآله: الجلوس في المسجد إنتظاراً للصلاة عبادة ما لم يحدث، قيل يا رسول اللّه: وما يحدث؟ قال: الإغتياب.

فمن دخل مساجد القرب وجلس على بساط الطلب فيكون قد خلع أرجاس شياطين الطبائع ورجز الطبع الخيالي لأن لا يصدر الإذن للجلوس إلّا للذين يقدمون بالصدق والخلوص من جميع الشرك والشك، فمن وجد في نفسه حلاوة المناجاة ورأى حسن الإقبال فيكون قد قُبلت خدمته وطاب جلوسه فيوفّقه لمرضاته ويدنيه من بساط كرامته ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ (الجن: ١٨) إن كانت بمعنى المكان فلا يجوز أنْ تشتغل فيها بغير الذكر والعبادة ولا تُزاحم الحق في مقام كماله أيةُ صفة نقص وغيرة وإضافة له لإذعان كل شيءٍ بالسجود لعظمته، كما تفرّد الحق بالخلقة والتكوين فلا تدعو مع اللّه

أحداً لتحصّل أمنياتك وتحقق رغباتك المقتضية بشهوات الطبائع ونقوص الميول الجامحة للأهواء والرغبات بالعبادة.

روي أن أسماء بنت عميس لما جاءها خبر ولدها محمد بن أبي بكر أنه قُتل وأُحرق بالنار في جيفة حمار، قامت إلى مسجدها فجلست فيه، وكظمت غيظها حتى شخبت يداها دماً.

قال النبي ﷺ: جنبوا مساجدكم رفع أصواتكم وبيعكم وشرائكم وسلاحكم وجمروها في كل سبعة أيام وضعوا فيها المطاهر.

* * *

التكبير

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ (الحج: من الآية ٦٢). ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ (الإسراء: ١١١).

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ (المدثر: ٣).

﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (الجاثية: ٣٧).

﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ (العنكبوت: من الآية ٤٥).

وردت آيات التكبير في صفات اللَّه عز وجل، أما في ذاته المقدسة وردت في الأذان والإقامة (اللَّه أكبر)، (في كتاب معاني الأخبار) قال السائل: اللَّه أكبر من كل شيء! فقال عليه السلام: أين الشيء؟ بل هو أكبر من أن يوصف.

في حديث لأمير المؤمنين عليه السلام قال: والوجه الآخر اللَّه أكبر فيه نفي كيفيته كأن يقول (المؤذن): اللَّه أجل من أن يدرك الواصفون قدر صفته التي هي موصوف بها وانما يصفه الواصفون على قدرهم لا على قدر عظمته وجلاله تعالى اللَّه عن أن يدرك الواصفون صفته علواً كبيراً.

لما كانت القلوب عليلة والبصائر مدخولة جاء في الأذان التكبير بالأنوار الأربعة ليرفع الغشاوة عن البصر ويداوي الأمراض والعلل النفسية ويكشف الحجب ويزيل الران عن طبيعة القلب التي أظلمته وقيّدته حجب التعيّنات الخلقية ولقلقة الألسن والتمتمات اللفظية، فيتنبّه القلب بذكر التكبير فيجد لذّة المناجاة وحلاوة الذكر وتظهر آثار الكبرياء في ظاهر مملكته فيوافق باطنه علانيته وسره ظاهرَه فيرتفع من حجاب إلى حجاب متقرّباً بتكبيرات المعارج النورية ويقترب

بقدم الحب والعشق إلى محضر لمعات الأنس بجذبات الغيب من عشق المحضر والحاضر والإعلان يملأ الآذان لتسمع فتطيع المشهود بالعيان والمؤذن يصعق بكشفه التوحيد من مئذنته فتتجذب القلوب مقهورة من خيفته لقول أمير المؤمنين: إن لله عباداً كسرت قلوبهم خشيته فأسكتهم عن النطق.

وفي مثل هذا المقام تكون جذبات المحبوب هادية إلى لطفه لقول الرسول: (أرحنا يا بلال) فيحصّل الأذان ما في الصدور بحسب الطاقة وسعة الوعاء، ويسعى المحجوبون عن رؤية صاحب التجلي لإزالة تعب الدنيا والغشاوة بتلبية النداء، كما المحبوسون في سجن الطبيعة والمغلولون بأحبال الشهوات والآمال والأمنيات الخادعة ليتخلصوا من العناء وينفضوا دثار الشقاء فيحصلوا السعادة العقلية بعد أن أيقظهم الأذان من سكرة الطبيعة إلى صبح الأزل، أما النائمون تستيقظ أبدانهم ولا تفيق نفوسهم من ثقل النوم ولا يزالون في نطاق السهو والغفلة وقلوبهم محجوبة بطبيعتهم الأرضية التي برّدت حرارة اللقاء والسماع فوقفوا في مراتب عالم الحس ولم يتجاوزوا الظاهر من نطق اللسان ونظر الشحمتين وتكذيبهم بالقلب لأنّ هواهم غلب على أمر الله عز وجل، أما الذين سمعوا نداء الأذان ورأوا محضر الحق فهم أطوع لله فخبت قلوبهم للذكر والكبرياء للتجلي الملكوتي النازل بصفة التبليغ ونعت الوصية ليفهّم السامع والناظر بأن الحضرة قدسية وأن الحق حاضر في جميع الأمكنة والأحياز وهو أكبر من أن يدرك ويُحصَر، وعلى هذا يكون الأذان إعلاناً للصلاة والدخول في الحضرة بخصوصية اللقاء بموافقة القلب ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (يوسف: ٢٣) فكان بدء الأمر بالتكليف لتستشعر النفوس عظمة النداء وتشاهد المنادي والمنادى له على التدريج بتكليف الدعوة والأندية مستمرة لتبليغ الأذان بالنتائج المطلوبة ولذلك ابتدأ بمن ولهت به القلوب فكبُرت به

فكبّرته في مقام الرحمانية والرحيمية والتدريج يكشف مملكة الباطن من آثار الجمال والحق يؤيده ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٨) فمن قام للأمر فالحق يؤيده وينجيه من السقوط في النقصان كما يخرجه من ظلمات عالم الطبيعة وحجاباتها وينوّر أرضه بإشراق نور جملة الأذان مرتقياً بسموات اللطف الروحانية ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (الحج: ٢٧).

حُكي عن الجنيد أنه قال: لكل شيء صفوةٌ وصفوة الصلاة التكبيرة الأولى.

يبتدئ المؤذّن بالأذان بالتكبير والنظر إلى السماء والمؤذن يرفع يديه وقد وضع سبابتيه في أذنيه، أمّا في الإقامة تبتدئ بالتكبير والنظر إلى الأرض وقد أسبل يديه على جنبيه، فالإقامة من باب أقام في المكان أي دام فيه، كما أنّ للأماكن أثراً في الحجاب وإقبالاً إليه تعالى لا تُشغلهم، فرفع الإقامة أي دخلت في توحيد مظاهر الأفعال ووحدة الصفات ولهذا صارت أول أفعال الصلاة المشيرة إلى التوحيدات ولهذا لا يجوز القراءة إلّا من قيام، سأل رجل أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: يا بن عمّ خير خلق اللّٰه تعالى ما معنى رفع اليدين في التكبيرة الأولى؟ فقال: معناه اللّٰه أكبر الواحدُ الأحدُ الذي ليس كمثله شيء لا يُلمس بالأخماس ولا يُدرَك بالحواس.

يقول العارف باللّٰه (الآملي) وأما وضوء أهل الشريعة:

فذلك معلوم مشهور عند الخاص والعام، وأفعاله على ثلاثة أضرب، واجب ومندوب وأدب وهذا المكان غير محتاج إلى ذكر القسمين الأخيرين اللذين هما المندوب والأدب، فالأدب هو الهيئة الحسنة التي ينبغي أن يقع عليها الفعل المشروع، ولا يكون إلّا في الأمور المشروعة غير الممنوعة التي ينبغي أن يكون عليها الفعل فهو مما أطبق عليه العقلاء وأطبقوا على تحسينه فلا يختلف فيه اثنان، فلا أدب في الظلم والكذب والخيانة ولا أدب في الأعمال القبيحة والشنيعة،

وتحققه في العمل الاختياري، لأن منشأه من الأخلاق التي تحاكي العبودية وعبودية كل شيء عند الله الحق، وبذلك يسري التوحيد في الباطن والظاهر وتظهر العبودية المحضة من الأقوال والأفعال، لا ستر عليه ولا حجاب يغطيه.

فالعلوم العملية تثبت بالتجربة وهي التي تتعلم ليعمل بها، ولا أثر لها في نفس المتعلم إلا في ضمن العمل، لأن الكليات العلمية ما لم تنطبق على جزئياتها ومصاديقها تتثاقل النفس في تصديقها، ويفتر الإيمان بصحتها لإشتغال نفوسنا طول الحياة بالجزئيات الحسية وكلالها بحسب الطبع الثانوي من مشاهدة الكليات العقلية الخارجة عن الحس، فالتذبذب وليد النفس التي لا تطبق علمها بل تبقى في النظريات المخالفة للتطبيق العملي في زوايا النفس، ولذلك نرى أن العمل الذي لم تعهد النفس وقوعه في الخارج يصعب إنقيادها له فإذا وقع الإبتلاء وكأنه انقلاب من امتناع إلى إمكان ويعظم الأمر ويورث في النفس القلق والإضطراب، واذا وقع ثانية وثالثة انكسر سورته والتحق بإعياءات لا يُعبأ بها فالخير عادة كما الشر عادة. ولذلك ابتدأ الإسلام بالعمل وشفعه بالقول والبيان ولذلك فالإستكمال هو المجهز بالعمل الصالح بزاد التقوى.

وأما القسم الأول الذي هو الواجب فذلك على قسمين: أفعال وكيفيات، أما الأفعال فواجباته خمسة: النية وغسل الوجه وغسل اليدين ومسح الرأس ومسح الرجلين، وأما الكيفيات فواجباته عشرة، مقارنة النية لحال الوضوء واستمرار حكمها إلى الفراغ، وغسل الوجه من قصاص شعر الرأس إلى محادر شعر الذقن طولاً وما دارت عليه الإبهام والوسطى عرضاً، وغسل اليدين من المرفقين إلى أطراف الأصابع وألا يستقبل الشعر في غسلهما، والمسح بمقدم الرأس مقدار ما يقع عليه اسم المسح، ومسح الرجلين من رؤوس الأصابع إلى الكعبين، والترتيب وهو أن نبدأ بغسل الوجه ثم باليد اليمنى ثم اليسرى ثم بمسح الرأس ثم بمسح الرجلين.

والموالاة: وهي أن يوالي بين غسل الأعضاء ولا يؤخر بعضها عن بعض بمقدار ما يجف ما تقدم وبمسح الرأس والرجلين ببقية نداوة الوضوء من غير استئناف ماء جديد، هذا على طريق أهل البيت صلوات اللّه عليهم وسلامه بحسب الظاهر، وإلا على طريقة غيرهم ففيه اختلافات كثيرة لسنا بصدد بيانها، واللّه أعلم وأحكم.

أما وضوء أهل الطريقة:

فالطهارة عندهم بعد القيام بالطهارة المذكورة عبارة عن طهارة النفس من رذائل الأخلاق وخسائسها، وطهارة العقل من دنس الأفكار الدنية والشبه المؤدية إلى الضلال والإضلال، وطهارة السر من النظر إلى الأغيار وطهارة الأعضاء من الأفعال الغير المرضية عقلاً وشرعاً.

وأما أفعال هذه الطهارة المعبرة عنها بالوضوء فالنية فيه، وهي أن ينوي المكلف بقلبه وسره، أنه لا يفعل فعلاً يخالف رضا اللّه تعالى بوجه من الوجوه، ويكون جميع عباداته للّه خالصاً دون غيره، لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٢، ١٦٣) وغسل الوجه وهو أن يغسل وجه قلبه عن حدث التعليق بالدنيا وما فيها، فإن الدنيا جيفة وطلابها كلاب، فالطالب والمطلوب نجسان، ولهذا قال ﷺ (حب الدنيا رأس كل خطيئة وترك الدنيا رأس كل عبادة) وقال علي ؑ: (يا دنيا غرّي غيري فإني قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيها) وغسل اليدين، وهو غسلها وطهارتهما عما في قبضتهما من النقد والجنس والدنيا والآخرة، فإن طهارتهما حقيقة ليس إلا بترك مما في تصرفهما وحكمهما، ومسح الرأس وهو أن يمسح رأسه الحقيقي المسمى بالعقل أو النفس، أي يطّلع عليهما حتى يعرف أنه ما بقي عندهما شيء من محبة الدنيا وما يتعلق بها من المال والجاه، ومسح الرجلين وهو أن يمنعهما عن المشي بغير رضا اللّه وطاعته ظاهراً وباطناً، والمراد

بالرجلين في الظاهر معلوم، وأما في الباطن هما عبارتان عن القوة النظرية والعملية عند البعض، وعن القوة الشهوية والغضبية عند الآخرين، وإلى مثل هذا الوضوء المضاف إلى الوضوء الأول أشار النبي ﷺ وقال: (الوضوء على الوضوء نور على نور) أعني صفاء الظاهر مع صفاء الباطن الوجه المذكور فهو نور على نور، أي نور البصيرة على نور الشرع سبب صفاء الظاهر والباطن، وموجب ثبات السالك على الطريق المستقيم في الدنيا والآخرة لقوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ﴾ (ابراهيم: من الآية ٢٧) رزقنا الله الجمع بينهما والإقامة على كل واحد منهما لأنه المستعان وعليه التكلان.

وأما وضوء أهل الحقيقة

فالوضوء عندهم المعبر عنه بالطهارة عبارة عن طهارة السر عن مشاهدة الغير مطلقاً، والنية فيها وهي أن ينوي السالك في سره أنه يشاهد في الوجود غيره ولا يتوجه إلا إليه، لأن كل من توجه في الباطن إلى غيره فهو مشرك بالشرك الخفي المتقدم ذكره، المشار إليه في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ (الجاثية: من الآية ٢٣) ولقوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ (يوسف: ١٠٦) والمشرك نجس لقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ (التوبة: من الآية ٢٨) فطهارته لا تكون إلا بهذه النية التي هي عبارة عن التوحيد الحقيقي النافي للشرك مطلقاً، لأنه معلوم وبل مقرر أن الخلاص من الشرك جلياً كان أو خفياً لا يمكن إلا بالتوحيد، ألوهياً كان أو وجودياً كما سبق ذكره مفصلاً عند بحث الأصول، وغسل الوجه فيها عبارة عن طهارة الوجه الحقيقي ونظافة سره عن دنس التوجه إلى الغير، بحيث لا يشاهد غير وجه الكريم المشار إليه في قوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ (البقرة: من الآية ١١٥) ولا يعرف غير ذاته المحيط المومىء إليه في قوله: ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ (فصلت: من الآية ٥٤) وعن هذا التوجه أخبر من لسان إبراهيم ﵇ بقوله: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام: ٧٩) وغسل اليدين عبارة عن عدم الالتفات إلى ما في يديه من متاع الدنيا والآخرة من الدنيا كالمال والجاه والأهل والولد، ومن الآخرة كالعلم والزهد والطاعة، وما يحصل منها كالثواب والجنة والحور والقصور لأن رؤية الطاعة والعبادة واستحقاق التعظيم بهما عند أهل اللّه معصية، وفيه قيل: سيئة تسوءك خير من حسنة تعجبك، وفيه قيل: خير الأعمال ذنب احدث توبة، وشر الأعمال طاعة أورثت عجباً، وإليه أشار النبي ﷺ في قوله: (الدنيا حرام على أهل الآخرة، والآخرة حرام على أهل الدنيا وهما حرامان على أهل اللّه) ومسح الرأس عبارة عن تنزيه سره وتقديس باطنه الذي هو الرأس الحقيقي عن دنس الأنانية وحدث الغيرية الحاجب والحيز بينه وبين محبوبه لقوله بعض العارفين فيه:

بيني وبينك إنّيّ ينازعني فارفع بفضلك إنّي من البين

وفيه قيل: وجودك ذنب لا يقاس به ذنب، وقد سبق أن كل من شاهد الغير فهو مشرك، وكل مشرك نجس، والنجس ليس له طريق إلى عالم القدس والحضرة الإلهية لقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ (النساء: من الآية ٤٨) ومسح الرجلين عبارة عن تنزيه قوتي العملية والعلمية عن السير إلا باللّه وللّه وفي اللّه لأنهما كالقدمين والرجلين في الظاهر، لأنه بهما يسعى في طلب الحق وبهما يصل إليه وعند التحقيق: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ (طه: ١٢) إشارة إليهما، أعني إذا وصلت إلينا بواسطتهما فدعهما، فإنك بعد هذا ما أنت محتاج إليهما، ومعلوم عند الوصول يجب طرح كل ما في الوجود سيما القوى والحواس وما اشتمل عليهما ظاهراً وباطناً، وعند البعض المراد بالنعلين الدنيا والآخرة، وعند البعض عالم الظاهر والباطن، وعند البعض النفس والبدن والكل صحيح، وفي مثل هذا الحال وهذا المقام ورد الحديث القدسي: (لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت

سمعه وبصره ولسان ويده ورجله، فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق وبي يبطش وبي يمشي) إشارة إلى السير بالله الذي هو مقام التكميل دون الكمال المشار إليه في قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة: ١٢٢) وأما بالنسبة إلى اليدين كقوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ (الأنفال: من الآية ١٧) وهاهنا أبحاث وأسرار يطول ذكرها، يكفي الفطن اللبيب هذا المقدار، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وأما غسل أهل الشريعة

فالغسل عندهم يشتمل على واجبات ومندوبات ومحرمات ومكروهات وذلك يطول، والمقصود منه الواجبات التي تحصل الطهارة في الظاهر شرعاً، فالواجبات في الغسل ستة أشياء، ثلاثة منها أفعال وثلاثة كيفيات، أما الأفعال فالاستبراء من البول على الرجل، والاجتهاد في انقاء مجرى المني من البقية على سبيل الأغلب، والنية وهي قول المجنب باللسان بعد العقد بالقلب: أغتسل لرفع حدث الجنابة واستجابة الصلاة لوجوبه قربة إلى الله وغسل جميع الجسد على وجه يصل الماء على أصول كل شعر عليه من الرأس إلى القدم بأقل ما يقع عليه اسم الغسل، وأما الكيفيات فثلاثة: مقارنة النية لحال الغسل، والاستمرار عليها حكماً، والترتيب في الغسل أعني الابتداء بالرأس ثم بالجانب الأيمن ثم بالجانب الأيسر.

وأما غسل أهل الطريقة

فالغسل عندهم بعد القيام بالغسل المذكور طهارة من الجنابة الحقيقية التي هي البعد عن الله دون المجازية التي هي الأحداث الشرعية، والجنابة الحقيقية على قسمين: قسم يتعلق بهم، وقسم يتعلق بأهل الحقيقة، أما الذي يتعلق بأهل

الحقيقة فسيجيء بيانه بعد هذا بلا فصل، وأما الذي يتعلق بهم فهي الجنابة الحاصلة من محبة الدنيا، فإن الدنيا في الحقيقة كالمرأة التي لها كل ساعة بعل آخر، كما أشار إليه الإمام ﷺ في قوله: (قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيها) لأنها لو لم تكن كالمرأة أو في حكمها ما خاطبها الإمام بهذا الخطاب، فكل من يلامس مثل هذه ويجامعها بالنفس أو الروح أو القلب يكون جنباً بالحقيقة، والجنابة هي البعد عن اللّٰه تعالى، فكل من يحب الدنيا على الوجه المذكور يكون بعيداً عن اللّٰه ضرورة، فإن محبة اللّٰه وقربه ومحبة الدنيا وقربها ضدان لا يجتمعان، وإليه إشارة في القول السابق عن النبيﷺ الذي قال: (الدنيا حرام على أهل الآخرة والآخرة حرام على أهل الدنيا وهما حرامان على أهل اللّٰه) وكذلك ما قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ (الشورى: ٢٠)، وكذلك ما أشار الإمامﷺ في قوله: إن الدنيا والآخرة عدوان متفاوتان وسبيلان مختلفان، فمن أحب الدنيا وتولاها أبغض الآخرة وعاداها، وهما بمنزلة المشرق والمغرب، وماش بينهما كلما قرب من واحد بعد من الآخر، وهما بعدُ ضرتان، فالغسل والطهارة من هذه الجنابة يكون بترك الدنيا وما فيها، بحيث لا يبقى له تعلق بها بمقدار شعرة، لأن في الغسل الشرعي لو بقي على الجسد شعرة لم يصل الماء إليها لم يصح غسله ولم يطهر صاحبه من الجنابة، فإن التعلق من حيث التعلق له حكم واحد وهو التعلق، سواءٌ كان قليلاً أو كثيراً، كما قيل المحجوب محجوب، سواء كان بحجاب أو ألف حجاب، وترتيب هذا الغسل وهو أن يغسل السالك أولاً رأسه الحقيقي الذي هو القلب هاهنا بماء العلم الحقيقي النازل من بحر القدس من حدث الأهواء المختلفة والآراء المتشتتة المتعلقة بالدنيا وبمحبتها الموجبة للدخول في الهاوية التي هي النار، لأن الهوى إذا غلب انجذب صاحبه إلى عبادة الأصنام والأوثان الباطلة ذهناً كان أو خارجاً، أما الخارج فهو معلوم، وأما الداخل فذلك أيضاً قد سبق بحكم قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾

(الجاثية: من الآية ٢٣) وكان من أطاع هواه لا بد وأن يدخل النار لقوله تعالى أيضاً: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۞ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ (القارعة: ٨،٩) أي من خفت موازينه من العلم والعمل الصالح الصادرين من العقل الصحيح والنفس الكامل فهو في الهاوية التي هي أصلها وأمها، لأن منشأ الهوى من النفس الأمارة. والنفس الأمارة منشؤها ومنبعها الطبيعة الحيوانية والقوى الشهوية والغضبية اللتان هما من جنودها وأعوانها، كذلك صادران من الطبيعة والنفس، فلا تكون الهاوية في الحقيقة إلا التوجه إلى النفس الأمارة والشهوة والغضب، وأسفل سافلين ما أشار إلا إليها في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۞ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ (التين: ٤،٥) أي رددناه بأفعاله إلى أسفل عالم الطبيعة والنفس الأمارة بمتابعة الهوى ومخالفة الحق في أفعاله وأقواله، لقول أهل النار فيه: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ (الملك: من الآية ١٠) ولهذا دائماً أهل الدين هم أهل العلم الحقيقي والعمل الصالح والعقل الصحيح موصوفون بالسكينة والوقار والطمأنينة والإخبات وأمثال ذلك، لقوله تعالى فيهم: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۞ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ (القارعة: ٦،٧) ﴿فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ (الحاقة: ٢٢) وأهل الأهواء والبدع موصوفون بالخفة وقلة العقل وعدم السكينة والوقار، لقوله تعالى فيهم: ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ (الأنعام: من الآية ٧١) وقد سد باب سؤال كل سائل في هذا المقام قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۞ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ (النازعات: ٤٠،٤١) لأن هذا تحريض على منع النفس عن الهوى، وتشويق إلى دخول الجنة التي هي المأوى الحقيقي والموطن الأصلي من غير التراخي ولا التأخير، وإليه أشار علي عليه السلام في قوله (تخففوا تلحقوا فإنما ينتظر بأولكم آخركم) يعني تخففوا من أثقالكم الحاصلة من متابعة الهوى ومحبة الدنيا فإن إلحاقكم بالحق وبالجنة موقوف عليه، أي على تخفيفكم منها، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۞ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ (الصافات: ٦٠،٦١) ثم يغسل جانبه

الأيمن، أي يغسل ويطهر روحه وسره الذي هو من الجانب الأيمن المعبر عنه بالروحانيات عن محبة العلويات والروحانيات المعبرة عنها بالآخرة والجنة، لأن أهل الآخرة مخصوصون بأصحاب اليمين والعلويات، لقوله تعالى في الأولى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ۝ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۝ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۝ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ (سورة الواقعة ٢٧ - ٣١) ولقوله في الثاني: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ (الزمر: من الآية ٦٧) ثم يغسل جانبه الأيسر، أي يغسل ويطهر نفسه وجسده الذي هو الجانب الأيسر المعبر عنه بالجسمانيات عن محبة السفليات والنفسانيات المعبرة عنها بالدنيا بماء الترك والتجريد وعدم الالتفات إليه، فإن الدنيا مخصوصة بأهل الشمال، كما أن الآخرة مخصوصة بأهل اليمين، لقوله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ۝ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ۝ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ (الواقعة ٤١ - ٤٣) فإن بهذه الطهارة يحصل له استحقاق دخول الجنة واستعداد القرب لحضرة العز، كما قال: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ﴾ (القمر /٥٤، ٥٥) رزقنا الله الوصول إليها، فإن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ذو فضل العظيم.

وأما غسل أهل الحقيقة

فالغسل عندهم عبارة عن طهارتهم من الجنابة الحقيقية التي هي مشاهدة الغير مطلقاً، لأن الجنابة كما سبق بيانها هي البعد، وكل من شاهد الغير فهو بعيد عن الحق ومشاهدته ولا يمكن إزالة هذا البعد إلا بقربه إلى التوحيد الحقيقي الذي هو مشاهدته الحق تعالى من حيث هو هو لقوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (آل عمران: ١٨) وقد مر بيان هذا التوحيد مراراً، وترتيب هذا الغسل وهو أن يغسل رأسه الحقيقي الذي هو هاهنا روحه المجرد بماء التوحيد الذاتي عن حدث مشاهدة الغير، لأن محبة الله تعالى كما هو وظيفة الباطن المعبر عنه بالنفس المطمئنة، معرفة وظيفة

القلب ومشاهدته وظيفة الروح، كما أن الوصول إلى السر الذي هو باطن الروح، وإلى هذا الترتيب أشار جعفر ابن محمد الصادق ﷺ في بعض أدعيته وهو قوله: (اللّهم نور ظاهري بطاعتك وباطني بمحبتك وقلبي بمعرفتك وروحي بمشاهدتك وسري باستقلال اتصال حضرتك يا ذا الجلال والإكرام) وهذا الغسل لا يمكن إلا بفناء العارف في المعروف والشاهد في المشهود المعبر عنه بالفناء في التوحيد وذلك يكون بمشاهدة الحق من حيث هو هو، أعني يشاهده بحيث لا يشاهد معه غيره، أعني لا يشاهد في الوجود إلا وجوداً واحداً وذاتاً واحدة مجردة عن جميع الاعتبارات والتعينات، واليه أشار الحق تعالى في قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (القصص: من الآية ٨٨) وكذلك في قوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن ٢٦ و٢٧) وقد مر تحقيق هاتين الآيتين غير مرة والتكرار غير مستحسن، وحيث تقرر أن هذا التوحيد هو الصراط المستقيم الحقيقي المأمور بالاستقامة عليه نبينا ﷺ في قوله: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ (هود: من الآية ١١٢) والحد الأوسط المشار إليه في قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٣) وتقرر أن له طرفي من طرف إفراط وتفريط اللذين هما التوحيد الإجمالي والتوحيد التفصيلي، فالطهارة من دنس جانب الإفراط المعبر عنه بالإيمان يكون بخلاصة من التوحيد الإجمالي، والطهارة من دنس التفريط المعبر عنه بالأيسر يكون بخلاصة من التوحيد التفصيلي، والاستقامة على الصراط المذكور والحد الأوسط المعبر عنه بالطهارة الكبرى يكون بجمعه بين التوحيدين، وقطع النظر عن مشاهدة الغير أصلاً ورأساً مع اعتباره ومشاهدته من حيث الجمع المعبر عنه بأحدية الفرق بعد الجمع، وذلك صعب في غاية الصعوبة، ولهذا وصفه النبي ﷺ بأحدّ من السيف وأدق من الشعر، وقوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ (النجم: ١٧) إشارة إلى الطرفين، وقوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ (النجم: ٩) إشارة إلى التوحيد

الجمعي المحمدي الجامع للتوحيدات كلها.

وبالجملة ليست الجنابة الحقيقية إلا مشاهدة الغير على أي وجه كان، وليست الطهارة الحقيقية عند التحقيق إلا بعد خلاص وجهه منها على أي وجه كان، وفيه قيل:

قنعت بطيف من خيال بعثتم وكنت بوصول منكم غير قانع
إذا رمت من ليلى من البعد نظرة لتطوي جوى بين الحشا والأضالع
تقول نساء الحي تطمع أن ترى بعينيك ليلى مت بداء المطامع
وكيف ترى ليلى بعين ترى بها سواها وما طهرتها بالمدامع

وأمثال ذلك في هذا المعنى كثير، فليطلب من مظانها، والله أعلم وأحكم وهو يقول الحق وهو يهدي السبيل، هذا غسل الطوائف الثلاث بقدر هذا المقام.

وأما تيمم أهل الشريعة

فالتيمم عندهم عبارة عن طهارة ترابية مع تعذر الماء عوضاً عن الوضوء أو الغسل، وحينئذ لا يجوز التيمم إلا بأحد شروط ثلاثة: إما عدم الماء مع الطلب، أو عدم ما يتوصل إليه من الآلة والثمن كالدلو والحبل وأمثال ذلك، أو الخوف على النفس والمال من استعمال الماء ولا يصحّ أيضاً إلا بالأرض أو ما يقع عليه اسم الأرض على الإطلاق من تراب أو مدر أو حجر لأنه تراب عقدته الطبيعة أيضاً.

وكيفيته وهي أن يضرب المتيمم يديه على الأرض دفعة ضربة إن كان للوضوء وينفضهما ويمسح بهما وجهه من قصاص شعر الرأس من الناصية إلى طرف أنفه، ويمسح ببطن يديه اليسرى ظهر كفه اليمنى من الزند إلى أطراف الأصابع، وببطن كفه اليمنى ظهر كفه اليسرى من الزند إلى أطراف الأصابع، وإن كان للغسل يضرب ضربتين، ضربة للوجه والأخرى لليدين، والكيفية فيهما واحدة

ونواقض التيمم نواقض الوضوء والغسل، ويزيد عليهما التمكن من استعمال الماء، وكلّ ما يستباح بالوضوء من العبادة يستباح بالتيمم على حد واحد، والله أعلم وأحكم وهو يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وأما تيمم أهل الطريقة

فذلك يحتاج إلى تمهيد مقدمتين، الأولى في تحقيق الماء الحقيقي، والثانية في تحقيق التراب الحقيقي.

فالماء الحقيقي بحكم العقل والنقل عبارة عن العلوم والمعارف الإلهية المسماة بالحياة الحقيقية أيضاً، وبيان ذلك وهو أن الله تعالى أخبر في كتابه بأن حياة كل شيء من الماء لقوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ (الأنبياء: من الآية ٣٠) ومعلوم أن حياة كل شيء ليس من الماء الصوري، لأن الملك والجن والأفلاك والأجرام وأمثال ذلك يصدق عليهم بأنهم شيء، وليس حياتهم من الماء إن أراد به الماء الصوري والتناول منه، وإن أراد به أن جزء كل مركب من الماء الصوري، فكثير من الموجودات يخرج عن هذا الحكم كالبسائط والعلويات المذكورة وأحوالها، فتقرر أن المراد به العلم، وإن كمال العلم يتفاوت في الشرف والخسة كتفاوت الماء في العذب والأجاج وغير ذلك من الأوصاف، والذي سبق عند بحث التوحيد أن كل موجود له نطق وحياة ومعرفة دالة على صدق هذا المعنى، لأن المراد بالمعرفة العلم بالله وبأسمائه وصفاته وأفعاله، وليس هناك موجود يخلو من هذه العلوم على حسب استعداده واستحقاقه وقابليته كما بيناه أيضاً متمسكاً بقوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (الإسراء: ٤٤) لأن التسبيح للشيء لا يكون إلا بعد معرفته والإقرار بوجوده وهذان الفعلان لا يصدران إلا من موجود حي بحياة صورية أو معنوية، فصح قولنا إن كل شيء في الوجود له ثلاثة أشياء، العلم والمعرفة والحياة، وقوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ

﴿ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا﴾ (الرعد: من الآية ١٧) باتفاق أكثر المفسرين من المحققين إشارة إلى هذا المعنى، لأن الماء بمعنى العلم، والأودية بمعنى القلوب، وبقدرها بمعنى الاستعداد والقابلية الحاصلة لكل موجود من غير جعل من الجاعل كما سبق تحقيقه أولاً، وقول تعالى: ﴿وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾ (هود: من الآية ٧) دال على هذا لأنه ليس بين العرش الصوري والماء الصوري مناسبة، لا على طريق الشرع وترتيب الموجودات، ولا على طريق العقل وتحقيق المخلوقات، فحينئذ لا بد وأن يكون بمعنى العلم الذي هو الحقيقة الكلية السارية في كل شيء بقدر ﴿ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ (يس: من الآية ٣٨) وهذا الوجه أحسن الوجوه، لأن العرش وغير العرش ليس قيامهم إلا بالحياة، والحياة الحقيقية ليس إلا العلم، فيكون حياة كل شيء بالعلم، ويكون معنى الآية مطابقاً وخصوصية العرش بذلك لأنه أعظم الأجسام وأقرب الأشياء إلى العلويات المجردة، وإذا خصص أعظم الأشياء بشيء من الأوصاف المشتركة بين الكل فلا بد لأحقر الأشياء من ذلك، وكذلك قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ (طه: ٥) لأن الاستواء ليس إلا بمعنى الاستيلاء، وإذا كان كذلك فخصوصية العرش به يكون من حيث إنه أعظم الأشياء وأعظم الأجسام، والاستيلاء على أعظم الأشياء يستلزم الاستيلاء على أحقرها بطريق الأولوية، وهاهنا أبحاث من حيث المعقول ليس هذا موضعها، فافهم ذلك جيداً، اللَّه أعلم بحقائق الأشياء ودقائقها وهو يقول الحق وهو يهد السبيل.

وأما التراب الحقيقي الذي بازاء الماء بحكم العقل والنقل عبارة عن العلوم الظاهرة التي هي كالتراب بالنسبة إلى تلك، والقشر إلى تلك اللباب، فكما يكون المراد بالماء الحقيقي العلوم الروحانية والمعارف القدسية، يكون المراد بالتراب الحقيقي العلوم المحسوسة الكسبية والمعارف الفكرية الحدسية، لأن المراد بالتراب في جميع المواضع لو كان التراب الصرف لم يقل الحق تعالى في حق

آدم ﷺ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ (آل عمران: من الآية ٥٩) لأن أكمل خلقه ليس من التراب فقط بل من التراب وغيره من العناصر، بحيث يكون التراب جزءاً من أجزاء بدنه، لكن من جهة الأغلبية أشار إليه، وكذلك الحيوان بل وكل موجود، لأن إبليس أيضاً لم يكن مخلوقاً من نار صرف حيث قال: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ﴾ (الأعراف: ١٢) بل في العناصر الأربعة، لكن نسب نفسه إلى الأغلبية، لأن جزء النار أغلب في الجن الذي منهم الشيطان من أجزاء أخر، فحينئذ يكون المراد بالتراب الأرض وما عليها من المركبات في خلق آدم، وبالنسبة إلى الماء الحقيقي يكون العلوم الظاهرة الحاصلة من الحس بمعونة الفكر وإذا تقرر هذا فكل علم يكون منبعه ومنشؤه الحواس الظاهرة والباطنة كالعلوم الكسبية المذكورة نسبته إلى التراب أولى وأنسب، وكل علم يكون منبعه ومنشؤه الكشف والفيض، من العلوم الإلهية والمعارف الربانية المعبر عنها بالوحي والإلهام اللدني وغير ذلك نسبته إلى الماء أولى وأنسب، وإليهما أشار الحق تعالى في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ (المائدة: من الآية ٦٦) وقد قرر أن المراد بهذا الفوق العالم الروحاني والعلوم النازلة منه وبالتحت العالم الجسماني والعلوم الحاصلة منه، لأن قول المفسرين في هذا المقام ليس على الأصل الصحيح، لأنهم قالوا المراد بأكل الفوق المطر وبأكل التحت النبات وليس هذا بصحيح، لأن المطر والنبات يحصل لمن يقوم بالتوراة والإنجيل والقرآن، ولغيره من الإنسان والحيوان اللذين ليس لهما هذا القيام، والحال أن حصول هذين الأكلين موقوف على قيام التوراة والإنجيل والفرقان، ووجود المشروط بدون الشرط مستحيل ممتنع، وهذا لا يخفى على اللبيب الفطن، فأهل الطريقة إذا لم يكن لهم تمكن من طهارة الباطن بماء العلوم الحقيقية لمانع من الموانع يجوز لهم التوبة إلى العلوم الظاهرة المذكورة لاستعمال الباطن وصفاته بقدرها، لأن العلوم الظاهرة في المناسبة كالشريعة، والعلوم الباطن كالطريقة والتي فوقهما من المعارف

كالحقيقة، فالسالك إن لم يتمكن من القيام والطهارة من حيث الطريقة باستعمال الماء الحقيقي الذي هو العلوم الحقيقية يجوز له القيام بالشريعة وطهارة ظاهره بها، لأن طهارة الظاهرة على التدريج يؤدي إلى طهارة الباطن، ومن هذا أشار إلى علة التيمم وسببه مفصلاً ومبيناً، وقال: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (المائدة: من الآية ٦) هذا وجه، ووجه آخر وهو: إنه تعالى أمر عبده بأنه يرجع إلى طهارة النفس بمعاونة البدن الذي هو التراب الطيب، بقيامه بالوظائف الشرعية إن لم يتمكن من طهارة النفس بمعاونة العقل الذي هو كالماء في حصول الطهارة الحقيقية، وغرضه من ذلك ليحصل لعبده طهارة الظاهر قبل طهارة الباطن، لأن طهارة الظاهر معدات لطهارة الباطن كما سبق ذكره، واليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ (المدثر: ٤،٥) لأن المراد بالثياب البدن وما اشتمل عليه من أفعال الظاهر، وبطهارته حصلت الطهارة الشرعية، وبالرجز تعلقه بالدنيا وتلوثه بها، فإن الدنيا جيفة وطلابها كلاب، ويجوز أن يكون ذلك إرشاداً للسالك برجوعه إلى الفناء الأصلي والعدم الجبلي تقهقراً المسمى بالتراب الذي هو منه بحسب الظاهر البدن، وبالماء الذي هو أصله أيضاً بوجه آخر، أما التراب فلقوله: ﴿خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ (فاطر: من الآية ١١) وأما العدم فلقوله: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ (مريم: من الآية ٩) أعني إن لم يتمكن السالك من استعمال الماء الحقيقي وتحصيله لطهارة الباطن من الأحداث العارضة عليه، فليرجع إليه وإلى خلقته الترابية التي هي أرذل الأشياء وأخسها، ليحصل له بذلك الكسر التام والمذلة الكلية، ويصل بها إلى مقام الفقر والإنكسار الموجبين للدخول إلى حضرة العزة المعبرة عنها بالجنة الذاتية لقوله: أنا عند المنكسرة قلوبهم، ولقول عارفي عباده: إذا تم الفقر فهو من اللّه، وكذلك الاستغراق في بحر ماء الحياة الأبدية

التي بها تحصل الطهارة الحقيقية المشار إليها، والدخول في بيت اللّٰه الأعظم والمسجد الأقصى وبيت اللّٰه الحرام المحرم على غيره الدخول فيه، وإلى الوجه الأخير المتمثل بالتراب والفقر والإنكسار أشار الشيخ قدس اللّٰه سره في فتوحاته في فصل مفرد وقال: القصد إلى الأرض من كونها ذلولاً وهو القصد إلى العبودية مطلقاً، لأن العبودية هي الذلة والعبادة منها، فطهارة العبد إنما تكون باستيفاء ما يجب أن يكون العبد عليه من الذلة والافتقار والوقوف عند مراسم سيده وحدود أحكامه وامتثال أوامره، فإن فارق النظر من كونه أرضاً فلا يتيمم إلا بالتراب من ذلك، لأنه من تراب من نحن أبناؤه وبما بقي فيه من الفقر والفاقة من قول العرب: تربت يد الرجل إذا افتقر، ثم إن التراب أسفل العناصر، فوقوف العبد مع حقيقته من حيث نشأته طهور من كل حدث يخرجه من هذا المقام، وهذا لا يكون إلا بعدم وجدان الماء، والماء هو العلم، فإن بالعلم حياة القلوب كما أن بالماء حياة الجسد أو حياة الأرض، فكأنه حالة المقلد في العلم باللّٰه، والمقلد عندنا في العلم باللّٰه هو الذي يكون قلد عقله في نظره في معرفته باللّٰه من حيث الفكر، فكما أنه إذا وجد المتيمم الماء أو قدره على استعمال بطل التيمم، كذا إذا جاء الشرع بأمر ما من العلم الإلهي بطل تقليد العقل لنظره في العلم باللّٰه في تلك المسألة، ولا سيما إذا لم يوافقه في دليله كان الرجوع بدليل العقل إلى الشرع، فهو ذو شرع وعقل معاً في هذه المسألة، فاعلم ذلك فإنه ينفعك كثيراً في إدراك أسرار العبادات، وقد أشار أيضاً إلى تقسيم الماء وتخصيصه بالعلوم الحقيقية المتنوعة وتقسيم التراب وتخصيصه بالعلوم المجازية المتفننة في فصل مفرد تركناه خوف الإطالة والملالة، والمراد واحد وهو الذي ذكرناه وبيناه.

وبالجملة يجب على السالك التيمم على الوجه المذكور، ليحصل له التمكن عن استعمال الماء المذكور الذي هو العلوم الحقيقية، وترتيب هذا التيمم هو أن يمسح وجهه أولاً بالتراب المذكور، أي يطهر سره وحقيقته من حدث كل

تعلق وخبث كل محبوب غيره تعالى، ويزين ظاهره بالأعمال الشرعية والقوانين النبوية، ثم يمسح يمينه أي قلبه ليطهره من التعلق بالآخرة وما يتعلق بها من النعيم والحور والقصور وأمثال ذلك، ثم يمسح شماله أي نفسه من التعلق بالدنيا وما يتعلق بها من المال والجاه وذكر الخير وأمثال ذلك، فإن طهارتهما ليست إلا بتركهما، أعني طهارة اليمين والشمال ليست إلا بترك الدنيا والآخرة كما مر ذكره غير مرة، ولهذا شرط فيه مس ظاهر اليمين بباطن اليسار، ومس ظاهر اليسار بباطن اليمين، لئلا يخالف ظاهره باطنه، وباطنه ظاهره، ويكون طهارة هذا معيناً لطهارة ذاك وبالعكس، وذلك تقدير العزيز العليم وهو يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وأما تيمم أهل الحقيقة

فالتيمم عندهم عبارة عن فنائهم عن عالم الظاهر بأسره، أعني منه ومما اشتمل عليه من البسائط والمركبات، لأن هذا يطهرهم من الأنانية والغيرية اللازمة لتعلقهم بالدنيا وما فيها، وذلك لأن عالم الظاهر المعبر عنه بالملك بمثابة التراب، كما أن عالم الباطن المعبر عنه بالملكوت بمثابة الماء، لأن اللّٰه تعالى ما يشير إلى عالم الملك في أكثر المواضع إلا بالأرض، كما لا يشير إلى عالم الملكوت في أكثر المواضع إلا بالسماء، والأرض لها مناسبة بالتراب لثقلها وكثافتها بل هي التراب حقيقة، والسماء لها مناسبة بالماء للطفها وخفتها وبل هي هي الماء حقيقة، لأنها من الماء وجدت باتفاق أهل الشرع وبتطبيق الآفاق بالأنفس، وبيان ذلك وهو: أنهم إذا فرغوا من طهارة باطنهم بإفناء الروحيات الذي هو كالنية في الطهارة وكالماء في استعماله، شرعوا في طهارة ظاهرهم بإفناء الجسدانيات الذي هو كالفعل في الطهارة وكالتراب في تيممه، وهذا هو المعبر عنه عند أهل اللّٰه بفناء الفناء، والفرق بين أهل الطريقة في هذه الطهارة وبين أهل الحقيقة وهو أن أهل الطريقة يتطهرون في الطهارتين عن الأخلاق الذميمة والملكات الردية باتصافهم بالأخلاق الحميدة والملكات الحسنة، وأهل الحقيقة يتطهرون فيهما

عن الأنانية والبقية المؤدية إلى الاثنينية والغيرية لقوله النبي ﷺ: (إنه ليغان على قلبي واني لأستغفر اللّه كل يوم وليلة سبعين مرة) ولقول عارف أمته:

بيني وبينك إنّيّ ينازعني فارفع بفضلك انّي من البين

والغين المشار إليه في قول النبي ﷺ ليس إلا رجوعه إلى عالم الكثرة للدعوة والارشاد الذي هو من مقتضى التكميل وعالم البشرية لقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ (فصلت: من الآية ٦) وقوله: ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ (الجن: من الآية ٢٣) يشهد بذلك، والتجريد التام والتوحيد الحاصل له في بعض الأوقات بحكم قوله: (لي مع اللّه وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل) يشهد بأنه كان في عالم الوصول والقرب التام الذي هو من اقتضاء عالم البقاء بعد الفناء) ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ (النجم: من الآية ٩) من اقتضاء ذلك المقام: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ (فصلت: من الآية ٦) من اقتضاء المقام الأول، وكذلك الطهارة أعني الطهارة المائية والطهارة الترابية المعبر عنهما بإفناء عالم الملك والجسمانيات وإفناء عالم الملكوت والروحانيات، ونفض اليدين بعد ضربهما على التراب في التيمم إشارة إلى نفض اليدين عن العالمين بعد التعلق بهما، فافهم جيداً فإنه لطيف.

وترتيب هذه الطهارة وهو أن يضرب العارف بيديه الذين هما العقل والنفس على أرض عالم الظاهر وعالم الباطن ونفيهما عن النظر بالكفين ثم ينفض أيديهما المذكورتين عن رؤية هذا الفناء بالكفين أيضاً ثم يمسح بهما وجهه الحقيقي المعبر عنه بالسر تارة وبالروح أخرى، حتى بقي من محبة العالمين عنده شيء أم لا، ثم تمسح بكل واحد من اليدين المعبر عنهما بالعقل والنفس ظهر كل واحد منهما وبطنهما، ليعرف حقيقة أنه بقي عليهما من التعلق بالعالمين أثر أم لا، فإن التعلق بالغير مطلقاً قليلاً كان أو كثيراً يمنع عن الطهارة الحقيقية مائية كانت أو ترابية، فيجب على السالك التفتيش لظاهره وباطنه مع إفنائهما على أنه بقي فيهما

شيء من التعلق بالعالمين أم لا، وبعضد ذلك قوله ﷺ: (الدنيا حرام على أهل الآخرة والآخرة حرام على أهل الدنيا وهما حرامان على أهل الله) وقد سبق أيضاً أن محبة الدنيا والآخرة حجاب وشرك، ومع الحجاب والشرك يستحيل حصول الطهارة المذكورة، فإن صاحب الحجاب والشرك نجس بحكم قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ (التوبة: من الآية ٢٨) والطهارة والنجاسة ضدان لا يجتمعان، فيجب أولاً رفع النجاسة ثم الشروع في الطهارة على الوجه الذي بيناه واليه والإشارة بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۞ قُمْ فَأَنذِرْ ۞ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۞ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۞ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ (المدثر: ١ - ٥) لأن قوله (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) إشارة إلى طهارة الظاهر كما مر ذكره (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) إلى طهارة الباطن بهجرانه الرجز المعبر عنه بالشرك والحجاب والغيرية، وأمثال ذلك في القرآن والأخبار كثير فاطلبها من مظانها، هذا آخر الطهارات الثلاث من الوضوء والغسل والتيمم بقدر هذا المقام والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، وأما معرفة القبلة والوقت والمكان وأخواتها فتلك تطلب من مظانها من الكتب الفقهية، فإن هذا البحث قد طال ولا يحتمل أكثر من ذلك، مع أن هناك أبحاثاً أخر كما ستعرفها لا بد منها، وإذا فرغنا من المقدمات فلنشرع في حكمة أوضاع الصلاة التي هي أيضاً من الأبحاث الموعودة عند بحث الفروع، وهي هذه وبالله العصمة والتوفيق.

ضابطة كلية

في حكمة أوضاع الصلاة على الوضع المخصوص مطابقاً للعقل والنقل والكشف:

اعلم أيها السامع كحل اللّٰه عين بصيرتك بنور الهداية والتوفيق، أن جميع الأوضاع الإلهية والقوانين الربانية مبنية على رعاية الزمان والمكان والأخوان، صورية كانت أو معنوية أو كلاهما، أما الزمان فمثل زمان الصلوات والصوم والزكاة والحج والجهاد وغير ذلك من الأعياد والزيارات والاجتماعات المستحسنة، وأما المكان فمثل مكة والمدينة والسجد الحرام والكعبة والمسجد الأقصى والصخرة ومسجد الكوفة ومسجد البصرة ومدافن الأنبياء والأولياء عليهم السلام ومشاهد الأئمة المعصومين من أهل البيت ﷺ ، وأما الإخوان فكالأنبياء والرسل والأولياء والأوصياء وأولي العزم من الرسل والأئمة الراشدين وخلفاء اللّٰه في الأرضين والصحابة والتابعين رضوان اللّٰه عليهم أجمعين، ثم الملائكة على العموم ثم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل على الخصوص وأمثالهم من الملائكة وعباد اللّٰه الصالحين، وبيان ذلك مفصلاً وهو: إن الزمان من حيث الزمان وإن كان واحداً لكن فيه زمان مخصوص بوقت الصلوات والصوم والعبادات المذكورة، بحيث لا تحصل تلك العبادات بدونه، وذلك من خصوصيته وشرف على باقي الزمان المطلع عليه النبي أو الرسول بالوحي الخاص من عند اللّٰه، كما أن الصلاة مثلاً فإنها لا تصح قبل وقتها كما لا تصح بعد وقتها، وكذلك جميع العبادات، ومثال ذلك مثال شخص يتوفى ويوصي لأولاده بكنز في موضع معين ويعين لهم أن من الحائط الفلاني يعدون عشر خطوات إلى الجانب الفلاني ويأخذون الكنز، فأولاده لو عدوا إحدى عشرة خطوة ما لقوا

الكنز، وكذلك التسع، فيجب عليهم محافظة الأعداد ورعاية الجانب المعين، حتى يلقوا كنزهم، فكذلك في العبادات والأزمان المقررة لها، فإنها لو وقعت مثلاً في غير وقتها لا يقبل منها شيء ولا يحصل لصاحبها ثواب أصلاً، وكذلك المكان، لأن المكان من حيث هو المكان وإن كان واحداً لكن لبعض الأمكنة خصوصية وشرف ليس لغيرها، ولا يحصل المقصود بدونه، كالكعبة والمسجد الحرام والمسجد الأقصى وغير ذلك من الأمكنة المخصوصة، وكذلك الإخوان، لأن الإخوان من حيث هم إخوان وإن كانوا واحداً لكن لبعضهم خصوصية وشرف ليس للبعض الآخر منها شيء، كالأنبياء والرسل والأولياء والأوصياء وأمثالهم، وعند التحقيق لم يكن وضع الصلوات اليومية وصلاة الجمعة والأعياد والحج وأمثال ذلك إلا لأجل اجتماع هذه الثلاث، فإن الصلوات اليومية في المحلات مشتملة عليها، وصلاة الجمعة والجماعة في المدينة كذلك، والحج والزيارات في الأقاليم كذلك، أعني المكان الذي يصلون فيه الصلوات أو يحجون فيه الحج ويقضون المناسك أو يزورون فيه الزيارات، وهو مكان مخصوص معين موسوم ببيت اللّه وبيت عبيده جامع للزمان والإخوان، لأن الصلاة لا بد لها من الوقت المعين في ذلك المكان، وذلك الوقت هو الزمان، ولا بد من جماعة يصلون فيه الصلاة أو يحجون فيه الحج، وتلك الجماعة هم الاخوان، فحصل في فعل واحد المكان والزمان والإخوان، والحكمة في ذلك إجابة دعائهم فيما يدعون اللّه من الخير، واستحقاق الفيض الإلهي على نفوسهم فيما يستحقونه بالاستحقاق الذاتي والإستعداد الجبلي الذي لا يحصل بدون هذا الاجتماع على الأغلب وبل لا يمكن إلا به، لأن لكل اجتماع وصورة حكمة وفائدة لا توجد في غيرها كالأعداد مثلاً، فإن في الثلاث خاصة ليس في الأربع وبالعكس، كذلك بالنسبة إلى جميع الأعداد من العشرة والمائة والألف وما بين هذه المراتب، وقيل: إن هذا الترتيب وإن كان من اقتضاء ترتيب الوجود لكن من حيث الحقيقية ليس إلا من اقتضاء الحقيقة المحمدية التي هي جامعة لهذه

المراتب صورة ومعنى، وإليه الإشارة بقوله: (أُوتيت جوامع الكلم وبعثت لأُتمم مكارم الأخلاق) لأن هذا الكلام من اقتضاء التثليث الغالب عليه وعلى حقيقته كالنبوة والرسالة والولاية، والإسلام والإيمان والإيقان، والوحي والإلهام والكشف وأمثال ذلك من حيث المعنى، وكالمحبة للطيب والنساء والقيام بالصلاة وأمثالها من حيث الصورة لقوله: (حبب لي من دنياكم ثلاث، الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة).

والغرض من تقديم هذه المقدمات أنه: لما اقتضى ذاته الاجتماعات بين الأشياء والائتلاف بين الموجودات خصوصاً بين نوع الإنسان، كان غالباً عليه وضع أمثال هذه الأوضاع التي توجب الإئتلاف والاجتماع، لأن العلة الغائية من ظهوره وظهور الأنبياء والرسل لم يكن إلا هـذا، ومعلوم أن اجتماع طائفة مخصوصة من موضع مخصوص على وضع مخصوص مراراً متعددة في يوم واحد أو أكثر أو أقل يكون موجباً لاشتداد المحبة بينهم واستحكامه بقدر استعدادهم واستحقاقهم، كصلاة الجماعة في المحلة وصلاة الجمعة في المدينة والحج في كل سنة من مكة وغير ذلك من الاجتماعات، فإن العقل الصحيح يحكم بالائتلاف والمحبة بينهم بلا خلاف، وقد شهد به الكتاب الكريم في مواضع شتى، وتفضيل ذلك وهو أن المحبة كما تحصل من اجتماعهم في كل يوم خمس مرات في محلتهم، تحصل أيضاً من اجتماعهم كل جمعة في المدينة والمسجد الجامع، وتحصل أيضاً في بعض الشهور والأوقات في موضع معين من الأعياد والزيارات وتحصل أيضاً من اجتماع أهل الأقاليم في موضع معين للحج، لأن هذه الأوضاع ما وضعت إلا لأجل هذا كما سبق ذكره، وفي غير المحبة أيضاً فوائد أخر، كالمعاملات بينهم والمناكحات وغير ذلك من المعارف بين أهل إقليم وكل بلدان التي توجب تلك المعارف معارف أخر وهلم جرا، ولهذه الأوضاع أسرار وأبحاث لا يحتمل بعض ذلك هذه المقامات، لأنها يحتاج إلى

مجلدات معتبرة، والغرض أن الكل مبني على الزمان والكل والإخوان.

وإذا عرفت هذا فاعلم: أن معراج النبي ﷺ مشتمل على هذا، وكذلك بحسب المعنى أيضاً، وحيث إن المعراج معراجان، صوري ومعنوي، نشرح أولاً في بيان المعراج الصوري ثم في بيان المعراج الصوري ثم في بيان المعراج المعنوي، لأن فيه اختلافاً كثيراً بين العلماء والعلوم وبين الحكماء والصوفي.

المعـراج الصوري

هو أن النبي ﷺ أراد أن يحصل له هذه الاجتماعات الثلاثة بحسب الصورة، كما كان له حاصلاً بحسب المعنى في جميع الأمكنة الشريفة في السماوات والعرش وما بينهما، فمجيئه بحسب الصورة من المسجد الحرام إلى مسجد الكوفة ثم منه إلى المسجد الأقصى، ثم عروجه منه إلى السماوات السبع ثم إلى الكرسي ثم إلى العرش كما أخبر به الخبر والقرآن كان لأجل ذلك، أي لأجل الإجتماعات الثلاثة المذكورة، أما من طرفه أو من طرف سكان تلك الأمكنة واستدعائهم منه، فإن هذه الاجتماعات علة في إفاضة كمالاته عليهم، وسبب في زيادة كمالهم منه، لأنه يخرجهم من نقصهم ويوصلهم إلى كمالهم المعين لهم بحسب استعداداتهم وقابليتهم، أما الخبر فكخبر ليلة الإسراء وله طول وعرض، وأما القرآن فكقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الإسراء :١) وقوله: (لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا) يدل على عبوره على تلك الأمكنة الشريفة بحسب الصورة كما سنبينه في موضوعه إن شاء اللّٰه تعالى، وورد أنهم التمسوا من اللّٰه تعالى هذه الصورة المشتملة على هذه الاجتماعات، والحق تعالى أمر نبيه بذلك، أي بالعبور والعروج على تلك الأمكنة بجسده من حيث الصورة، حتى ورد أنه أراد أن يخلع نعليه عند عروجه إلى السماء كما خلع موسى عليه السلام عند صعوده إلى الطور، فقالت الملائكة يا نبي اللّٰه لا تخلع فإنا نريد أن تصل بركة نعليك إلى أمكنتنا، وهذا كله ليس ممتنعاً ولا مستحيلاً على اللّٰه تعالى لأنه ممكن مقدور، واللّٰه تعالى قادر على الممكنات والمقدورات، وأيضاً قد تقرر في الحكمة الإلهية والقوانين الربانية أن الأنبياء والأولياء والكمّل

والأقطاب، لهم هذه الخصوصية وهذه التصرف في الملك والملكوت، لأن الشخص إذا صار كاملاً واستحق خلافة اللّٰه تعالى في ملكه وملكوته حصل له التصرف فيهما بما أراد كتصرف بعض أولياء اللّٰه في الأرض بالطي والنشر، ومنه تصرف آصف في الأرض بطيه حين أراد حضور تخت بلقيس، وكتصرف موسى عليه السلام في الماء بشقه حين أراد هلاك فرعون ونجاة أهله، وكتصرف سليمان عليه السلام في الهواء بالركوب عليه والسير به بما أراد أخبر به الكتاب الكريم، وكتصرف إبراهيم عليه السلام في النار حين أُلقي فيها بالتبريد والخمود وعدم الإحراق، وكتصرف نبينا صلى الله عليه وآله وسلم بعد تصرفه في هذه الأربع حين أراد ظهور المعجزة في ملكوت القمر وشقه بحيث رآه الكفرة وغيرهم من المسلمين، وكتصرف شمعون الذي هو من أوصياء عيسى عليه السلام في ملكوت الشمس بردها من المغرب إلى المكان الذي أراد، وكتصرف علي عليه السلام بعد الكل في ملكوت الشمس بردها أيضاً إلى مكان الصلاة مرتين، مرة في المدينة ومرة في أرض بابل كما هو مذكور في كتب الشيعة والسنة، وكتصرف إدريس عليه السلام في ملكوت السماوات بصعوده عليها وبقائه فيها إلى الآن، وكتصرف عيسى عليه السلام كذلك وعروجه إليها، وأيضاً قد تقرر أن الملك والجن يتشكلون بأي شكل أرادوا ويدخلون في أي عالم كان، والإنسان أشرف منهم بالاتفاق، بل وهم مأمورون بسجد الإنسان وخدمته ومطاوعته ومتابعته في جميع الأمور، فكيف لا يتمكن هو من أمثال هذه وهم يتمكنون؟ وبل يجب أن يكون هو أقدر منهم على ذلك وأمثاله، ويعرف صدق هذا أيضاً من قصة الأبدال وكيفية تبديلهم من صورة إلى صورة أخرى، وحضورهم في أمكنة مختلفة على صورة واحدة وكذلك في ظهور جبرائيل بصورة دحية الكلبي في هذا العالم مراراً متعددة وغيره من الملائكة، كظهورهم لأجل النبي صلى الله عليه وآله وسلم في يوم بدر وحنين وغير ذلك، وإذا سلمت هذا كله وسلمت أن الإنسان أشرف المخلوقات وأعظمها، وسلمت أن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أعظم نوع الإنسان وأشرف، فلم لا تسلم أن كل إنسان كامل تمكن منه مثل هذه التصرفات؟ ولم لا تسلم أن أشرف الأنبياء والأولياء

يمكن منه مثل هذه التصرفات وأكثر؟ لأن العروج إلى السماء أقل تصرف من تصرفه في ملكوت القمر وملكوت الشمس وتصرفه في جبرائيل ﷺ حين أراد النزول، وكم مثل ذلك في هذا الباب، فافهم جيداً واعتقد صدقاً فإنه لا ينفعك غير هذا، وإذا فهمت هذا وتقرر عندك أن المعراج الصوري حق وصدق فلنشرع في بيان المعراج المعنوي وهو هذا وبالله التوفيق.

* * *

المعـراج المعنوي

فذلك معلوم محقق متفق عليه أكثر الناس، فإنه عبارة عن وصوله إلى الحق تعالى في تلك الليلة المعنية المسماة بليلة الأسرى بطريق التوحيد الذاتي المسمى بأحدية الفرق بعد الجمع، واطلاعه على حقائق الأشياء على ما هي عليه لقوله (أرنا الأشياء كما هي) ولقوله: (علمت في تلك الليلة علوم الأولين والآخرين) وهذا المقام له مناسبة إلى مقام إبراهيم ﷺ حين قال تعالى في حقه: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾ (الأنعام: ٧٥) ومناسبة النبي إلى إبراهيم ﷺ بحكم القرآن ومطابقة البرهان معلوم محقق أيضا، ومعلوم أن مثل هذا المعراج لا يحتاج إلى حركة صورية ولا مسافة جسمانية، بل إلى عدم الحركة ظاهراً وباطناً، أما ظاهراً فلأن الحركة الظاهرة عبارة عن السير بحسب الصورة من مكان إلى مكان آخر، وهذا المعراج غير محتاج إليه، وأما باطناً فلأن الحركة في الباطن عبارة عن الفكر من المبادئ إلى المقاصد بحسب المعنى، والفكر في هذا الطريق حجاب باتفاق أهل اللّه، كما قال علي ﷺ (عرفت اللّه بترك الأفكار) فلا يكون حصول هذا المقام المعبر عنه بالمعراج إلا بطرح الحركتين وقطع النظر عنهما وعن جميع ما يطلق عليه اسم الغير، وقد سبق ذكره مراراً، ومن هذا قال جعفر بن محمد الصادق ﷺ الذي كان قطب الوقت وإمام زمانه عقلاً ونقلاً وكشفاً: من عرف الفصل عن الوصل، والحركة عن السكون فقد بلغ القرار في التوحيد، والمراد بالفصل الفرق الأول والكثرة الرسمية الخلقية، وبالوصل الجمع الذي هو بازاء الفرق المذكور، وبالحركة السلوك، وبالسكون القرار في عين أحدية الذات، وقد يعبر عن الوصول بفناء العبد عن أوصافه في أوصاف الحق وهو التحقيق بأسمائه المعبر عنها بالإحصاء، كما قال ﷺ:

من أحصاها دخل الجنة، وعن الفصل باحتجاب العبد بأوصافه وأوصاف الخلق واعتبارهم مطلقاً، لأن كل من احتجب برؤية الغير فهو منفصل عن الحق ومشاهدته في عين التوحيد.

وإذا تقرر هذا فاعلم أن الأسفار المعنوية المعبر عنها بالمعراج أربعة بالاتفاق: الأولّ هو السير إلى اللّٰه من منازل النفس إلى الوصول إلى الأفق المبين، وهي نهاية مقام القلب ومبدأ التجليات الاسمائية، الثاني هو السير في اللّٰه بالإتصاف بصفاته والتحقق بأسمائه إلى الأفق الأعلى، وهي نهاية الحضرة الواحدية، الثالث هو الترقي إلى عين الجمع والحضرة الأحدية وهو مقام قاب قوسين ما بقيت الاثنينية، فإذا ارتفعت فهو مقام أو أدنى وهو نهاية الولاية، والرابع هو السير باللّٰه عن اللّٰه للتكميل وهو مقام البقاء بعد الفناء والفرق بعد الجمع، وأن لكل واحد من هذه الأسفار بداية ونهاية، أما بدايتها فقد عرفتها من ابتداء سير كل مرتبة ونهايتها، فنهاية السفر الأول وهو رفع حجاب الكثرة عن وجه الوحدة، ونهاية السفر الثاني هو رفع حجاب الوحدة عن وجوه الكثرة العلمية الباطنية، ونهاية السفر الثالث هو زوال التقييد بالضدين الظاهر والباطن بالحصول في أحدية الجمع، ونهاية السفر الرابع عند الرجوع عن الحق إلى الخلق في مقام الاستقامة هو أحدية الجمع والفرق، بشهود اندراج الحق في الخلق واضمحلال الخلق في الحق، حتى يرى العين الواحدة في صور الكثرة، وصور الكثرة في عين الوحدة، وليس هناك نهاية ولا سفر غير هذه الأربعة، وكذلك العروج بالنسبة إلى الكل نبياً كان أو رسولاً أو ولياً أو وصياً، والتفاوت بينهم يقع بحسب الاستعداد والاستحقاق، وهذا المعراج يجوز أن يكون في ليلة واحدة ويجوز أن يكون في ساعة واحدة، ويجوز أن يكون في طرفة عين، ويجوز أن يكون بعد مجاهدة أربعين سنة، وبل أربعين ألف سنة وأكثر وأقل، لأنه ليس له حد محدود ولا زمان مخصوص، وذلك فضل اللّٰه يؤتيه من يشاء واللّٰه ذو الفضل العظيم. وإذا عرفت

هذا فاعلم أن قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الإسراء: ١) شاهد عدل على صدق هذه الدعوى، فإنه قوله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً﴾ معناه سبحان الذي أسرى بعبده الحقيقي الذي هو محمد ﷺ ليلاً أي في ليلة الكثرة الخلقية الرسمية الاعتبارية (مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) أي القلب الحقيقي الحرام على غيره الدخول فيه (إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى) أي حضرة الروح وعالم المشاهدة الذي هو أقصى مراتب المشاهدات، وقوله: (الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ) أي من نعم الحقائق والمعارف ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ (الإسراء: من الآية ١) أي لنريه من آياتنا الدالة على ذاتنا وصفاتنا وأفعالنا وبل على مشاهدتنا في عوالمنا الروحانية والجسمانية ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الإسراء: من الآية ١) أي لأنه هو السميع الحقيقي باستدعاء عبده، البصير باستحقاق كل واحد منهم، وبيانه مرة أخرى أوضح من ذلك وهو أن المسجد الحرام يكون قلبه الحقيقي الحرام على غير الحق تعالى، لأنه محله الخاص ومنزله المخصوص لقوله فيه: لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن، ونسبة هذا القلب إلى المسجد الحرام الذي هو قبلة أهل العلم، لأنه أرض قبلة جميع أعضائه الظاهرة والباطنة، وقواه الصورية والمعنوية، وأنه أول صورة ظهرت من صور الإنسان حين كان نطفة أو علقة أو مضغة، كما أن الكعبة أول بيت وضع للناس ببكة مباركاً، والمسجد الأقصى يكون روحه الذي هو المضاف إليه لقوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ (الحجر: من الآية ٢٩) لأنه أقصى مراتب المشاهدة وأعلى درجة الكشف لقول الإمام ﷺ: وقلبي بمعرفتك وروحي بمشاهدتك، ولقول جده: (لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً) ونسبته إلى المسجد الأقصى الذي هو قبلة أهل الشرق من أمة عيسى ﷺ لأن الروح من عالم الروحانيات الذي هو بالنسبة إلى العلم كالمشرق كما قررناه، لأنه قبلة قلب الإنسان، كما أن القلب قبلة جميع الجسد، والكعبة مثلاً بالنسبة إلى المسجد، والمسجد بالنسبة إلى الحرام، لأن

البدن بمثابة الحرم والقلب بمثابة المسجد والروح بمثابة الكعبة وقوله (الذي بركنا حوله) إشارة إلى الروح وما حوله، وتقديره أي باركنا حوله بنعم المعارف والحقائق والأسرار والدقائق، وكان العلة في ذلك أي في العروج، لنريه من آياتنا النفسية دون الآفاقية مشاهدة ذاتنا وصفاتنا في ذاته وصفاته مشاهدة شهود وعيان، ونجعله بعد ذلك سميعاً لأقوالنا وأسرارنا، بصيراً لإشاراتنا ورمزنا، لأنه الخليفة في ملكنا وملكوتنا، واليه الأمر في آفاقنا وأنفسنا ﴿وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (القصص: من الآية ٧٠) أي له الحكم فيهما والنصب والعزل تارة بالنسبة إلى أهلها، واليه يرجعون في حوائجهم وقضائها، أعني في مصالحهم الدينية والدنياوية، وكأنه من لسان مثل هذا الخليفة قيل ما قد قيل:

قلمي ولوحي في الوجود يمده ... قلم الإله ولوحه المحفوظ
ويدي يمين الله في ملكوته ... ما شئت اجري والرسوم حظوظ

وكذلك خلق اللّه تعالى آدم على صورته وكذلك ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ (الرحمن: ١-٤) وكذلك انا الحق، ومن مثلي وهل في الدارين غيري، وأمثال ذلك لا يخفى على أهله، هذا من حيث الأنفس.

وأما من حيث الآفاق فسبحان الذي أسرى بعبده في ليلة الكثرة الخلقية المشار إليها بالغير (مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) الذي هو عالم الجسم والجسمانيات الحرام فيه دعوى الوجود والبقاء على غيره من الموجودات في المخلوقات (إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى) الذي هو عالم الروحانيات والمجردات (الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ) بنعم مشاهدة العقول والنفوس وحقائق المعارف الملكوتية والجبروتية (لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا) أي من آياتنا الآفاقية والأنفسية التي هي مظاهرنا الاسمائية والصفاتية، واللام في لنريه لام التعليل، ومعناه أن عروجه إلى هذه العوالم المختلفة كان لأجل هذه المشاهدة كشفاً وذوقاً، كما كان قبل هذا علماً وبياناً، وتقدير أي لنريه حقائق آياتنا دقائق مظاهرنا ليشهدنا في عالمي الآفاق والأنفس كشفاً وذوقاً بطريق

التوحيد الجمعي المحمدي المعبر عنه بأحدية الفرق والجمع الذي هو مشاهدة الكثرة في عين الوحدة، ومشاهدة الوحدة في عين الكثرة من غير الاحتجاب بأحدهما عن الآخر لقوله فيه: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ (فصلت: ٥٣ و٥٤) أيضاً: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ (الأنفال: من الآية ١٧) دال على هذا، لأنه إثبات في عين النفي ونفي في عين الإثبات ولا يتيسر الجمع بين هذين النقصين إلا بطريق التوحيد المذكور، وقوله في الآية: (إنه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) معناه أنه هو السميع باستدعاء كل طالب بلسان حاله واستعداده لقوله: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ (ابراهيم: من الآية ٣٤) البصير باستحقاق كل عبد منذ أزل الآزال وأبد الآباد بحيث يعطي لكل أحد منهم ما يناسب ويوافق مقامه ومنهم النبي ﷺ فإنه كان سميعاً باستدعائه الأزلي، بصيراً باستعداده الجبلي، وأعطاه ما كان مناسباً لحاله وموافقاً لمقامه، ولهذا قال: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (النساء: من الآية ١١٣) فإنه علمه في هذه الليلة علم الأولين والآخرين، والجواد الكريم لا يعطي شيئاً إلّا على الوجه الذي ينبغي، أعني لا أزيد ولا أنقص، بل بموجب القسط والعدل المعبر عنهما بوضع كل شيء موضعه، هذا آخر المعراجين الصوري والمعنوي، وإذا تقرر هـذا وعرفت سر الاجتماعات المشتملة على الزمان والمكان والاخوان وغير ذلك من الأسرار، فلنرجع إلى الغرض والبحث الذي نحن بصدده من بحث الصلاة وأوضاعها وأعدادها وغير ذلك من الحكمة المترتبة عليها، هي هذه: أعلم أنه قد سبق قبل هذا أن هذه الأصول الخمسة والفروع الخمسة بأسرها هي من وضع الأنبياء والرسل بأمر اللّٰه وإذن لتكميل الناقصين ووصولهم إلى كمالهم المعين لهم في العلم الإلهي، وقد سبق أيضاً أن هذا لم يكن يتيسر إلا بتكميل قوتي العلم والعمل المعبرة عنهما بالقوة النظرية والقوة العملية، وقد سبق أن الناس في وصولهم إلى كمالهم لو كانوا محتاجين إلى أكثر من ذلك لوجب على اللّٰه

تعالى بيانه، وعلى الأنبياء والرسل تبيانه، ولكن لم يكن لهم احتياج إلى غير إذا، فما أمرهم اللّه تعالى به، ولا أمر نبيه أن يأمرهم، كالطبيب الحاذق الذي يعطي المريض الدواء، فإنه يعطيه الدواء ينبغي لا أزيد ولا أنقص، فافهم جيداً، وقد سبق أن هذه كلها ضوابط كلية وقواعد حملية مقررة بين الأنبياء والرسل لأجل إزالة النقصان من بين الناس وإيصالهم إلى كمالهم، كالقاعدة المقررة بين الأطباء الصورية لأجل إزالة المرض وإيصال الصحة إلى المريض، وما وقع الخلاف بينهم في هذا أصلاً في بعض الفروع في بعض الأزمان لأجل مصلحة ذلك الزمان وأهله، الذي عند التحقيق هو أصل الاتفاق وعين الوفاء لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ (النساء: من الآية ٨٢) وإذا تقرر هذا كله يجب عليك أن تعرف كل ما كان النبي أو الرسول أعظمها كان وضعه لهذا الأصول وترتيبه لهذا الفروع أعلى وأعظم، ونبينا ﷺ بالاتفاق أشرف الأنبياء وأعظمهم، فيجب أن يكون وضعه أعظم الأوضاع وأشرفها، ولهذا صارت صلاته التي هي أحد الفروع جامعة لجميع العبادات الشرعية التي وضعها الأنبياء والرسل بأجمعهم، وبل جامعة لجميع العبادات التي كلف بها المخلوقات بأسرها، لقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (الأنعام: ٣٨) وبيان ذلك مفصلاً، وهو أن المصلي حالة الصلاة يصدق عليه أنه في الصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد، أما الصلاة فلقوله تعالى: ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (النور: من الآية ٤١) فإن هذا يشهد بأن لكل موجود صلاة وتسبيحا، وإذا كان كذلك فالمصلي حالة الصلاة يكون موافقاً مع جميع الموجودات مطابقاً لأوضاعهم التكليفية، هذا من حيث اللغة وأن الصلاة بمعنى الدعاء أو الاطاعة، وأما من حيث الاصطلاح فإن الصلاة عبارة عن هيئة جامعة مشتملة على أفعال مخصوصة في زمان مخصوص مترتبة على قيام وقعود وركوع وسجود وتسبيح وتهليل، فذلك أيضاً يصدق على المصلي أنه موافق مع الكل

جامع لجميع العبادات، لأن الموجودات كلها من الروحانية والجسمانية، أعني العلوية والسفلية لها تسبيح وتهليل وركوع وسجود وقيام وقعود، كما شهد به القرآن الكريم وعرفت أكثرها في موضعها في أول هذا الكتاب.

أما في القيام والحركة المستقيمة موافق مع نوع الإنسان، لأن حركاتهم مستقيمة بالإتفاق، لأنها الذات الألفية.

وأما في الركوع والحركة الأفقية فمع الحيوان مطلقاً، فإن حركاتهم بالإتفاق أفقية.

وأما في السجود والحركة المنكوسة فمع النبات مطلقاً، فإن حركتها بالإتفاق منكوسة، وليست الحركات بخارجة عن هذه الثلاث، ولا المركبات عن النبات والحيوان والإنسان المعبرة عنها بالمواليد، وإن شئت قلت: في القيام موافق مع الملائكة التي تكليفهم القيام دائماً، وفي الركوع مع الملائكة التي تكليفهم الركوع دائماً، وفي السجود مع الملائكة التي تكليفهم السجود دائماً، وكذلك في جميع الحركات والأوضاع المخصوصة بالصلاة، وإلى مجموع ذلك أشار الحق تعالى في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ (الحج: من الآية ١٨) الآية، والمراد بالسجدة في الآية ليست إلا الصلاة لغة واصطلاحاً، كما يقال فلان ساجد أي فلان يصلي، أو يقال فلان كثير السجود أي كثير الصلوات، ويجوز أيضاً بمعنى الإطلاع والانقياد لقوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ (الرحمن: ٦) أي يطيعان لأمره وإرادته، وأمثال ذلك كثيرة في القرآن وكلام العرب.

وأما تكبيرة الإحرام فمع الكل على العموم، وعلى الخصوص مع الحجاج والقاصدين لبيت اللّٰه الحرام.

وأما في النية التي هي القصد بالقلب إلى الفعل فمع الكل، لأن الكل

قاصدون إليه متوجهون إلى حضرته، وإن لم يكن لهم بذلك علم لقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ (لقمان: من الآية ٢٥) الآية، ولقوله ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ (البقرة: من الآية ١٤٨).

وأما في التسبيح والتهليل فمع جميع الموجودات لقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (الإسراء: من الآية ٤٤)، وبالخصوص مع الملائكة لقوله: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ (البقرة: من الآية ٣٠) وكذلك في جميع الأذكار والأدعية والحركات والسكنات.

وأما في الصلاة على النبي والسلام عليه وعلى آله فمع الله تعالى جل ذكره ومع الملائكة والمؤمنين بأسرهم، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٦).

وأما في عدد الركعات من الثنائي والثلاثي والرباعي فمع أمة كل نبي من الأنبياء الواضعين للشريعة، فإنه ورد أن بعض الأنبياء كانت صلاته ركعتين لا غير وبهما يأمر أمته، وكذلك الثلاث والأربع، أعني لبعض الأنبياء ركعتان وللبعض ثلاث وللبعض أربع، وقيل الركعتان لآدم ﷺ والثلاث لنوح ﷺ والأربع لإبراهيم ﷺ، أو مع الملائكة في صلاتهم المعبرة بالجناح لقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (فاطر: ١) وذلك لأن صلاة كل موجود في الحقيقة هي التي هو عليه من القابلية والاستعداد كما سبق ذكره عند قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ (الإسراء: من الآية ٨٤) وعند قوله ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (النور: من الآية ٤١) والغرض أن المراد بالجناح المعبر عنه بالصلاة، القوة التي بها يتصرف الملائكة في العالم علوياً كان أو سفلياً، وقد أشار إلى هذا المولى الأعظم كمال الدين عبد الرزاق قدس الله

سره في تأويله للقرآن وهو قوله: (جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أولي أَجْنِحَةٍ) عبر عن جهات التأثير الكائنة في الملكوت السماوية والأرضية بالأجنحة، جعلها اللّه رسلاً مرسلة إلى الأنبياء بالوحي وإلى الأولياء بالإلهام وإلى غيرهم من الأشخاص الإنسانية وسائر الأشياء بتصرف الأمور وتدبيرها، فما يصل به تأثيرهم إلى ما يتأثر منه فهو جناح، وكل جهة تأثير جناح، مثلاً إن لقوة العاقلتين العلمية والنظرية جناحان للنفس الإنسانية، والمدركة والمحركة الباعثة والمحركة الفاعلة ثلاثة أجنحة للنفس الحيوانية، والغاذية والنامية والمولدة والمصورة أربعة أجنحة للنفس النباتية، ولا تنحصر أجنحتها في هذا العدد بل لهم بحسب تنوعات التأثيرات أجنحة ولهذا حكى رسول اللّه ﷺ:

أنه رأى جبرائيل ﵇ ليلة المعراج وله ستمائة جناح، وورد أيضاً أنه يدخل كل صباح ومساء في نهر الحياة ثم يخرج وينفض أجنحته، فيخلق سبحانه من قطراته ملائكة لا عدد لها، وإلى كثرة أجنحتها أشار عقيبه لقوله: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (فاطر: من الآية ١) ليعلم أن هذا أمر ممكن واللّه تعالى قادر عليه، هذا مشاركته مع الكل في صلاة واحدة وهذا الكل موجودات ممكنة، وأما مشاركته مع الحق تعالى في الكل فقد ورد في الخبر عن النبي ﷺ وهو أنه أخبر عن اللّه تعالى أنه قال: (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل أن يقول العبد (بِسْمِ اللّه الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) يقول اللّه: أثنى علي عبدي،، يقول العبد (الْحَمْدُ للّه رَبِّ الْعَالَمِينَ) يقول اللّه: حمدني عبدي، يقول العبد (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) يقول اللّه: مجدني عبدي، يقول العبد (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) يقول اللّه: فوض إلي عبدي، يقول العبد (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) يقول اللّه: هذا بيني وبين عبدي، فيقول العبد: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) إلى آخر السورة، يقول اللّه: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل).

وقد نطق في هذا بعض العارفين قدس اللّٰه روحه الزكية وأفاض على تربته المراحم الربانية بعين هذه العبارة، وهو لطيف نذكرها هاهنا بسطاً للخاطر وتشوقاً للناظر، وذلك قوله: واعلم أن التعاشق بين الروح والبدن وتواصلهما إنما يقتضي صعود الهيئة البدنية إلى الروح، ونزول الهيئة الروحانية إلى البدن، فكما أن الفكر في المعارف والحقائق وسماع ذكر الحبيب ومطالعة صفات جماله وجلاله ومشاهدة عظمته وبهائه يوجب اقشعرار البدن بقوة إشعاره واضطراب جوارحه، وسماع ذكر العدو ومكائده في مساويه وفي كل ما تكرهه النفس يهيج الغضب ويحمر اللون والعين وتملأ العروق وتعظمها وتحمي البدن وتشوش الحركات، فكذلك خشوع الجوارح وخضوع البدن وتنظيفه ونزاهته وتطهره وذكر اللّٰه تعالى باللسان وتحميده وتمجيده، ومواطأة الباطن فيها للظاهر بالنية والإعراض عن الملاذ الحسية والامتناع عنها بكف الحواس وتذكر أحوال الملكوت والجبروت والتشبيه بهما وبالمقربين من عباد اللّٰه المخلصين يوجب عروج القلب والروح إلى الحضرة القدسية والإقبال إلى الحق والاستفاضة من عالم الأنوار وتلقي المعارف والحقائق عنه والاستمداد من عالم الملكوت والجبروت فوضعت عبادة شاملة لهيئة الخضوع والخشوع واتعاب الجوارح مع شرائط التنزيه والتنظيف وقصد القربة وصدق النية والأذكار المشيرة إلى نعمه تعالى وتعظيمه وتحميده وتمجيده وثنائه بما يليق بحضرته وغاية التذلل لعظمته والإذعان لأمره وحكمته هي الصلاة، وكررت في اليوم والليلة بعدد الحواس الخمس، فإنها مشاعر للنفس الإنسانية تطلع بها على أحوال العالم الظلماني، ومخارج لها يخرج منها إلى العالم السفلي فتبعد عن الحق، ومدخل تدخل بها الهيئة الظلمانية الغاسقة من المواد الهيولانية وأحوال الجواهر الجسمانية وكدوراتها وتغيراتها، فيتكدر القلب ويتغير ويتلوث ويحتجب عن عالم النور ويتشوش وينقطع عن الحضور، فوضعت بازائها خمس صلوات، وعينت أوقاتها وركعاتها بمقتضى الحكمة الإلهية، ومنعت بها عن استعمال تلك الحواس، وأغلقت عليها تلك الأبواب لينقطع إمداد الظلمة، وينفتح

باب الباطن الذي إلى جناب الحق والعالم النوراني بالحضور والنية والتوجه إلى الحق، كما قال ﷺ (لا صلاة إلا بحضور القلب) وجعل أولها صلاة الظهر عند الزوال بعد الاستواء، كما قال تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ (الإسراء: من الآية ٧٨) فإن الاحتياج إلهيا إنما هو عند ميل الروح الإنساني إلى الغروب في الأفق الجسماني وتواريه بالحجاب الظلماني واحتجاب نوره بالجوهر الغاسق الهيولاني، وأما حال الاستواء والبقاء على الفطرة الأولى والاستيلاء على ظلمة الهيولى على ما كان عليه حال آدم ﷺ في الجنة قبل الهبوط، فهو في مقام المشاهدة حافظاً للميثاق داخلاً في زمرة العشاق فلم يكلف بهذه الأوضاع، وكذا حال شدة التأثير في المواد البدنية والاشتغال بالأمور الطبيعية، فإن الصلاة فيها لم تفد وجعل عدد ركعاتها أربعاً بإزاء أول أركان وجوده في هذه النشأة التي هي العناصر الأربعة، فإن أول مراتب الإسلام تسليم أول أصول وجوده وإن جعل العبادة شكر النعمة، فهي أول نعم اللّٰه عليه، والشكر أصله إنما هو بتصور النعمة من المنعم، فهو إقرار بأنها منه لا من نفسه، وإذا كانت منه فليس له شيء منها فقد سلمها إليه، وكذا الشكر باللسان إنما هو بالثناء عليه بأنه فاطر الكل ومالكه، كقول المصلي: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ (الأنعام: من الآية ٧٩) وقراءته للفاتحة وجوباً على الأصح، وكذا الجوارح فإنه انقياد للأمر وخروج عن حوله وقوته وقدرته وإرادته وعلمه، وإلا لم يطع بترك مراده واختياره وما يهوى من حركاته وأفعال بمقتضى طبعه وهوى نفسه إلى مراد الحق منه، فهذه أقسام الشكر، فإنها ثلاثة كما قال الشاعر:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة … يدي ولساني والضمير المحجبا

وكلها راجعة إلى الفناء في التوحيد.

ثم صلاة العصر وإنما جعلت أربعاً لكونها بإزاء ما يلي الأركان الأولى من الأخلاط الأربعة، فإنها يحدث منها أولاً بالامتزاج، وكلما قرب البدن إلى الروح

بالاعتدال، بعد الروح من جناب الحق وعالم النور بالانجذاب إليه، فلهذا يكون وقتها أقرب إلى الغروب.

ثم صلاة المغرب عند الاحتجاب ثلاثة ركعات بإزاء القوى الثلاث التي هي رؤساء البدن بحسب بقاء الشخص، وهي القوى الطبيعية والحيوانية والنفسانية، فإن حدوثها بأفول الروح في أفق الجسد وتمام احتجابه، ولهذا خصت بالمغرب.

ثم صلاة العشاء أربعاً بازاء الأعضاء الأربعة التي هي أصول الأعضاء ومبادئ قواها التي يتم بها أمر البدن المسماة أعضاء رئيسة، وهي الثلاث، الدماغ والكبد والانثيان فإنها محال القوى التي تبنى عليها حياة الإنسان وبقاؤه بالشخص والنوع وتكمل جسده واستقرت سلطنته واشتد أمره وقوي، ولهذا خص وقته بدخول الغسق وحصول الوقت ووقت النوم، فإن كمال أعضاء البدن يوجب استنامة الروح إليه واستغراقه، وإذا انتهى زمان ازدياد القوى البدنية والأعضاء، وتمت سلطنتها وكملت بكمال البدن، وفرغ الروح من غمراته والإقبال إلى الطبيعة بالإمداد لتمامه، أقبل إلى عالمه وظهر نور عقله وابتداء تجرده وانتبه من نومه وظهر القلب وأوجد بإدراك الكليات واستخراجها من الجزئيات، كانقضاء مدة الليل بطولها، وطلع الصبح المعنوي بظهور نور شمس الروح ورجوعها إلى الأفق الشرقي من عالمه باعتبار، والغربي الذي أفل فيه باعتبار آخر.

وجاء وقت صلاة الصبح وخص وقتها للمناسبة وجعلت ركعتين بازاء الروح والبدن، كما أن الإنسان قبل البلوغ وظهور العقل كان شيئاً واحداً جسماً طبيعياً فصار بذلك شيئين.

وأما أوضاعها وأركانها على الترتيب المعلوم، فإن القيام في الركعة الأولى إشارة إلى مقام الفطرة الإنسانية وهيئة النفس الناطقة القائمة من بين الموجودات، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ﴾ (التين ٤ و٥) والركوع إشارة إلى مقام النفس الحيوانية التي يليها في هذه النشأة

الجامعة، فإن الحيوانات راكعة، والاعتدال إشارة إلى صيرورتها بنور الناطقة نوعاً آخر له خصوصيات اعتدالية وهيئات كمالية يستوي بها ويعتدل ويتخلق بالأخلاق الحميدة الملكية ويتصف بالفضائل الجميلة الإنسانية والسجود إشارة إلى مقام النفس النباتية، فإن النبات ساجد، ورفع الرأس منه معلوم من بيان الاعتدال من الركوع، والسجود الثاني إشارة إلى أن هذه النفس بسبب صيرورتها في الإنسان نوعاً أشرف ممتازاً عن سائر أنواع النبات بالانقلاع عن الأرض والتصرف وتوليد الأخلاط الأربعة وغير ذلك من التصرفات العجيبة التي حصلت لها من خواص الإنسان المشار إليه برفع الرأس من السجود لم يزد مرتبتها، بخلاف الحيوانية المدركة الكاسية للملكات الفاضلة، بل بقيت على حالها في عدم الإدراك والإرادة والاشتغال بما يخصها من الأفعال النباتية بالطبع، وأما القيام في الركعة الثانية فهو إشارة إلى العالم العقلي وانخراطه بذلك في سلك الجبروت بكمال التجرد بالتعقل بالفعل، وأما ركوعها فهو صورة الانخراط في سلك الملكوت السماوية بالتنزه عن ملابس الشهوة والغضب والتأثير في الجهة السفلية، وأما ترفعها عنه بالاعتدال فهو زيادة في مرتبتها باستعداد الولاية وكمال المعرفة، وأما سجودها فهو إشارة إلى النفوس الشريفة الكوكبية وهيئاتها في أجرامها، كما قال تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ (الرحمن: ٦) وأما الاعتدال فمعلوم مما مر، والرجوع إلى السجود هو البقاء على حال التأثير في العالم الجسماني والاقبال إليه مع شرفها، والتشهد هو بلوغ الروح بهذه العبادة الحقيقية إلى مقام المشاهدة مطلقاً إلى ما في العالمين، واصلاً إلى محل القرب بالمتابعة، مستقراً متمكناً فيما حصل له من المواصلة، معاينة لما اعتقد من حقيقة الشهادتين واجداً لما طلب من متابعة النبي محققاً لمعنى قوله: السلام عليك أيها النبي ورحمة اللّٰه وبركاته، السلام علينا وعلى عباد اللّٰه الصالحين، لأن السلام هو الفيض النازل من عند اللّٰه والمدد الفائض الواصل من العالم القدسي إلى هذه النفوس المكمل إياها بتجريدها عن صفات النقص وآفات النفس، وتكميلها بالكمالات الخلقية والصفة

الإلهية فيجعلها اسماً من أسمائه لاتصافها بما أمكن لكل واحد منها من صفاته، هذا آخر كلام ذاك العارف قدس اللّٰه روحه ونور ضريحه، وهو مما يدل على نهاية كماله وكشف في الاطلاع على حقائق أسرار الصلاة وأوضاعها، وافاد هذه الحقائق الكشفية والدقائق الذوقية من تأخر عنه، جزاؤه اللّٰه خيراً، فإنه به وبأمثاله من الكمل والاقطاب ظهرت الأسرار وكشف عنها نقاب الاحتجاب.

هذا بالنسبة إلى حكمة أوضاعها المخصوصة بها، وأما بالنسبة إلى الصوم وأن المصلي حين الصلاة في حكم الصائم، وحكم باقي العبادات المذكورة فذلك يندرج تحت بيان علة تقديم الصلاة على غيرها وترجيحها عليه، وتحت بيان علة حصر الفروع في الأعداد المذكورة، وكل ذلك يحتاج إلى ضابطة أخرى كلية جامعة لجميع ذلك مفصلاً، وهي هذه:

ضابطة أخرى كلية

في بحث الفروع وانحصارها في الخمسة، وعلة تقدم الصلاة على غيرها، وأن المصلي جامع الكل، ثم تقديم كل واحدة منها على الأخرى:

إعلم أن الفروع أيضاً قد اختلف الناس فيها، لأن بعض الناس أضافوا إلى الصلاة الطهارة، وإلى الصوم الإعتكاف، وإلى الزكاة الخمس، وإلى الحج العمرة، وإلى الجهاد المرابطة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحيث إن هذا غير معتبر عند الكل، فلنشرع في الأشهر والأظهر المتفق عليه الكل وهو الصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد، والحق أنها منحصرة في هذه الأعداد، يعني أنها لا نبغي أكثر منها ولا أقل، والدليل على حصرها فيه، وهو أن الوجوب إما يتعلق بالنفس فقط كالصلاة والصوم، وإما يتعلق بالمال فقط كالزكاة، وإما يتعلق بالنفس والمال معاً كالحج والجهاد، وإذا كان كذلك فلا يحتاج المكلف إلى أكثر من ذلك في تحصيل كمالاته، ولا يمكن تحصيلها بأقل منها، فيجب الحصر حينئذ فيها وهذا هو المطلوب، ويحتاج هذا المكان إلى مثال مناسب في هذا الباب، وهو أن اللّٰه تعالى حكيم كامل، والأنبياء والمرسلون عليهم السلام كما سبق ذكرها أطباء النفوس ومعالجو القلوب، وأوضاعهم وقوانينهم في الشرائع كالمعاجين والأشربة لمرضى الناس وصحاحهم، فلو عرفوا هناك دواء لدائهم وأمراضهم أنفع وأنسب من هذا لأمروا به وأظهروه للناس ليستعملوه في إزالة أمراضهم ودفع دوائهم، لأن ذلك كان واجباً عليهم وعلى اللّٰه تعالى أيضاً، لأن هذا كله من قبيل اللطف واجب عليهم وعلى اللّٰه كما بيناه مراراً بحيث لا يجوز الإخلال به، فعرفنا أن هذا الدواء المعبر عنه بالفروع كاف في إزالة مرض الجهل والكفر والشك والنفاق، وذلك تقدير العزيز العليم.

ومثال آخر، وهو أنه كما لا يجوز أكثر من ذلك فكذلك لا يجوز أقل منه. كما أن الطبيب الصوري مثلاً إذا أمر بشيء من الأشربة والمعاجين لدفع المرض الصوري وإزالة الداء الحسي، لا يجوز للمريض أن يزيد عليه شيء ولا ينقص منه شيء، فإن فعل ذلك يكون إما موجباً لزيادة المرض أو سبباً للّهلاك، فكذلك الطبيب المعنوي الذي هو النبي أو الرسول فإنه إذا أمر بشيء من التكاليف الشرعية والقوانين الإلهية لدفع إزالة الجهل وداء الكفر والنفاق، لا يجوز للمريض المعنوي أن يزيد عليه شيء ولا ينقص منه شيء، فإن ذلك يكون إما موجباً لزيادة المرض المعنوي، أو سبباً للّهلاك الأبدي والشقاء السرمدي، فالأصول والفروع أكثر من ذلك لا ينفع ولا أنقص، فإن زاد عليهما أحد من عنده شيء لا يكون إلا موجباً لزيادة مرضه أو سبباً لهلاكه وإن نقص أيضاً كذلك، وكذلك كل واحدة منهما، فإن من صلى الظهر مثلاً خمس ركعات لا تنفعه مع أنها طاعة، لأنه خروج عن وضع الشارع وأوامره، وكذلك باقي الفروع والأصول، فافهم ذلك جيداً، والله أعلم وأحكم ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ (العنكبوت ٤٣).

وأما علة تقديم كل واحدة من هذه الفروع على الأخرى وترجيحها عليها كالصلاة على الصوم والصوم على الزكاة إلى آخرها، فإن الصلاة جامعة لجميع العبادات الأربعة الباقية بخلاف غيرها، فإن المصلي حال صلاته في الصوم والزكاة والحج والجهاد، أما صلاته فإنه ما دام مستقبلاً القبلة متوجهاً إلى الكعبة مشتغلاً بالركوع والسجود والقيام والقعود فهو في حكم المصلي، وأما صومه فلأنه ما دام مشغولاً بالصلاة فهو لازم للإمساك من المأكول والمشروب وجميع المفطرات، وكل من كان كذلك فهو في حكم الصائم، وأما زكاته فلأن الزكاة هي إخراج الحقوق مما في ملكه وتصرفه وبدنه بحكم (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) وقال النبي ﷺ أيضاً: (لكل شيء زكاة وزكاة البدن الطاعة) فكلما كان هو في الركوع والسجود والقيام والقعود والقراءة والتسبيح والنية التي

هي القصد بالقلب إلى الفعل والحركات المتبعة بالجوارح والأعضاء يكون هو مخرجاً للزكاة حقيقة، وأما حجه فلأنه ما دام متوجهاً إلى الكعبة، مستقبلاً إلى القبلة، محرماً عن كل فعل يبطل صلاته، قاصداً رضاء اللّه وطاعته، طائفاً حول قلبه بأن لا يدخل فيه غير اللّه كما قال ﷺ: (لا صلاة إلا بحضور القلب) فهو في حكم الحج بلا خلاف، لأن الحج الصوري هو القصد إلى بيت اللّه الحرام لأداء المناسك الصورية، وهذا قصد إلى بيت اللّه الحرام الذي هو القلب وما حوله لأداء المناسك المعنوية فيكون هو بذلك من الحجاج الحقيقي دون المجازي الصوري، وأما جهاده فلأن الجهاد عبارة عن محاربة أعداء الدين ومقابلتهم لكي يقبلوا الإسلام ويطيعوا أوامر اللّه ونواهيه، والمصلي حال الصلاة في المحاربة مع نفسه الأمارة التي في حكم الأعداء والكفرة للدين الحقيقي والإسلام المعنوي، لقوله النبي ﷺ: (أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك) لكي تطيع صاحبها وتقبل أوامره ونواهيه، ويشهد بذلك قوله ﷺ (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر) لأنه لما سئل عن معناه قال (الجهاد هو جهاد النفس) وكل من كان كذلك لا شك أنه يصدق عليه أنه في الجهاد، وفي الصلاة أبحاث كثيرة خلاصتها ما تلوناه عليك، فافهم وتدبره فإنه السر المصون.

وأما تقديم الصوم على الزكاة فلأنه يتعلق بالنفس خاصة، والزكاة تتعلق بالمال خاصة، والنفس أعز من المال وأعظم وأسبق فيجب تقديمه، ولهذا قال تعالى: (الصوم لي وأنا اجزي به) وذلك لأنه فعل لا يدخله شك ولا شبهة ولا رياء ولا عجب، وبل هو صادر من محض الإخلاص، لأن صاحبه إن لم يكن كذلك لا يصوم، لأنه متمكن عن الأكل والشرب من غير اطلاع أحد عليه، فعرفنا أنه من خوفه من اللّه وطلب رضائه يفعل هذا الفعل، فيجب حينئذ أجره وجزاؤه على اللّه، وكل فعل يكون كذلك ويكون هو على النفس خاصة دون المال يجب تقديمه.

وأما تقديم الزكاة على الحج فلأنها على المال فقط، ويتكرر كل سنة وبل كل ساعة لأجل تتالي المكاسب وتعاقب المرابح، والحج ليس بواجب في العمر إلّا مرة واحدة للاستطاعة، فيجب تقديم الواجب في كل سنة بل كل ساعة على الواجب في العمر مرة.

وأما تقديم الحج على الجهاد فلأنه يحتاج إلى إخراج مال كثير ويجب على كل مستطيع، ويمكن أن لا يجب الجهاد على أحد

ولا يحتاج إلى مال كثير، لأن الجهاد مشروط بشرائط كثيرة، ومع فقدان الشرائط لا يحصل المشروط ولا يجب أيضاً، وان أردنا بالجهاد الجهاد الحقيقي المذكور فالجهاد مقدم على الكل حتى الصلاة، فإن كل من لا يحارب نفسه ما يتمكن أن يقوم أن يتوضأ ويصلي، وهذا أمر وجداني يجده كل عاقل من نفسه، وفيه أبحاث كثيرة وأسرار جليلة لا يخفى على أهلها، وسيجيء أكثرها عند بيان كل واحد منها.

هذا على طريق أهل اللّه وأرباب التحقيق، وأما على الظاهر وأرباب التقليد فلها آخر لا بد منه، وذلك أنهم قالوا: إن تقديم الصلاة على الصوم لأن الصلاة واجبة على العموم وفي جميع الحالات، والصوم ليس كذلك، لأنه عبادة مخصوصة بزمان مخصوص، وأيضاً الصلاة تجب على كل عاقل مكلف متمكن من فعلها، وتجب في الصحة والمرض، وعلى النائم على الفراش والمستلقي والقاعد وفي الحرب وفي البر والبحر وغير ذلك من الحالات، لأنه لا تسقط بوجه من الوجوه، والصوم يسقط عن العجائز والشبان والعطاش والمرأة الحامل إذا كانت مقربةً وعلى قليلة اللبن والحائض حين حيضها وأمثال ذلك، وأيضاً الصلاة تتكرر في كل يوم خمس مرات والصوم في كل سنة مرة واحدة فالصلاة تكون بالتقديم أولى.

وأما تقديم الصوم على الزكاة فلأن الصوم يجب على النفس والزكاة يجب

على المال، وليس كل أحد صاحب مـال حتى يجب عليه، ولكن كل أحد صاحب نفس ويجب عليه الصوم فيكون أولى بالتقديم لعمومه.

وأما تقديم الزكاة على الحج فلأن الزكاة تجب في كل سنة مراراً متعددة في الذي لم يكن فيه حؤول الحول شرطاً، وفي الذي يكون حؤول الحول شرط مرة واحدة، والحج لا يجب في العمر إلا مرة واحد مع الاستطاعة، فتكون الزكاة أولى بالتقديم من غيرها.

وأما علة تقديم الحج على الجهاد فلأن الحج واجب على العين، والجهاد واجب على الكفاية، وفرق كثير بينهما، وأيضاً الجهاد لا يجب إلا مع حضور الإمام المعصوم أو من أمره به، وهذا المعنى في أكثر الأوقات مفقود، ويشهد به زماننا هذا، فيكون الحج أولى بالتقديم منه لعمومه، وهاهنا أسرار كثيرة غير هذه، لأنه يمكن تأويل هذه الصورة بوجوه كثيرة غير هذا، هذا آخر بيان الفروع وعلة تقديم كل واحدة منها على الأخرى بعد بيان الأصول على الوجه المذكور، وكأن أشار اللّه تعالى إلى هذه العشرة من الأصول والفروع وقال: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ (البقرة: من الآية ١٩٦) لأن بهذه العشرة تحصل السعادة الأبدية والخلود في الجنة الصورية والمعنوية، رزقنا اللّه الوصول إليها بمحمد وآله الأبرار الأخيار، وإذا فرغنا من بحث الأصول والفروع والمقدمات المتعلقة بهما، وحكمة أوضاع الصلاة والمعراج الصوري والمعنوي، وعلة تقديم كل واحدة من الفروع على الأخرى وغير ذلك من اللطائف والنكات، فلنشرع أولاً في الصلاة على طريق الطوائف الثلاث من أهل الشريعة والطريقة والحقيقة، ثم في باقي الفروع على الترتيب المعلوم.

أما صلاة أهل الشريعة

فالصلاة عندهم مشتملة على ثلاثة أجناس، أفعال وكيفيات وتروك، وكل واحد منها على قسمين، مفروض ومسنون، بحيث تصير هذه الثلاث من

الصلوات الخمس الفاً وثلاثمائة وثلاثة وستين فعلاً وكيفية وتركاً، ولسنا نحن بصدد تحقيق هذا المجموع ولا تعداده، بل نحن في صدد أن نذكر هاهنا ما يجب على المكلف القيام به في ركعة واحدة من الأفعال والكيفيات لا غير، لأن الباقي يحصل العلم به بأدنى تأمل، أما الأفعال الواجبة في أول ركعة من الصلاة فهي ثلاثة عشر فعلاً، القيام مع القدرة أو ما يقوم مقامه مع العجز عنه، والنية وتكبير الإحرام والقراءة والركوع والسجود الأول والتسبيح فيه ورفع الرأس منه والسجود الثاني والذكر فيه ورفع الرأس عنه.

وأما الكيفيات الواجبة منها فثماني عشرة كيفية، مقارنة النية لتكبيرة الإحرام واستدامة حكمها إلى عند الفراغ، والتلفظ باللّه أكبر وقراءة الحمد وسورة معها مع القدرة والإختيار، والجهر فيما يجهر والاخفات فيما يخافت، والطمأنينة في الركوع والطمأنينة في الانتصاب منه، والسجود على سبعة أعظم، الجبهة واليدين والركبتين وابهامي الرجلين، والطمأنينة في السجدة الأولى والانتصاب منها، وفي السجدة الثانية كذلك، يصير الجميع أحد وثلاثين فعلاً وكيفية، وفي الركعة الثانية مثلها إلا تجديد النية وتكبيرة الإحرام وكيفياتهما وهي أربعة يبقى سبعة وعشرون، يصير الجميع في الركعتين ثمانية وخمسين فعلاً وكيفية، وينضاف إلى ذلك ستة أشياء: الجلوس في التشهد والطمأنينة فيه والشهادتان والصلاة على النبي والصلاة على آله، تصير الجميع أربعة وستين فعلاً وكيفية، فإن كانت صلاة الفجر انضاف إلى ذلك التسليم، وإن كانت الظهر والعصر والعشاء الآخرة انضاف إلى ذلك مثلها إلا تجديد النية وتكبيرة الإحرام وكيفياتهما وهي أربعة أشياء، ويسقط قراءة ما زاد على الحمد يبقى ستون فعلاً وكيفية في الركعتين الأخيرتين يصير الجميع مائة وأربعة وعشرين فعلاً وكيفية، هذا ترتيب صلاة أهل الشريعة على طريقة أهل البيت بحسب الباطن فذلك يتعلق بأهل الطريقة كما سنذكره الآن.

صلاة أهل الطريقة

فالصلاة عندهم قربة إلى الحق تعالى، وورد عن النبي ﷺ: (الصلاة قربان كل مؤمن) والمراد بهذا القرب المعنوي دون الصوري المعبر عنه عند القوم بقرب المكانة دون المكان، وبقرب الفرائض دون النوافل، وقد ورد أيضاً: إن الصلاة خدمة وقربة ووصلة، فالخدمة هي الشريعة والقربة هي الطريقة والوصلة هي الحقيقة، وقيل الشريعة أن تعبده والطريقة أن تحضره والحقيقة أن تشهده، فالقربة بالحق موقوف على سجوده الحقيقي الذي هو الصلاة المعبر عنه بالفناء، أما الأوصاف في أوصاف الحق وهو مخصوص بأهل الطريقة، وأما من الذات في ذات الحق وهو مخصوص بأهل الحقيقة، وإليه أشار الحق في قوله: ﴿كَلَّا لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ (العلق: ١٩) أعني لقنّي ذاتك ووجودك في ذات الحق ووجوده، تبقى به أبداً دائماً، وهذا مقام أهل الحقيقة، وحيث نحن في بيان صلاة أهل الطريقة وقربهم بالحق بفنائهم من أوصاف الحق تعالى فالبحث في هذا الباب أولى وذلك سيجيء، وقد أشار إلى صورة هذا البحث بعض العارفين في صورة مثال مناسب نذكره هاهنا ثم نرجع ما نحن بصدده وهو قوله: إعلم على الجملة أن الصلاة صورة صورها رب الأرباب كما صور الحيوان بصورة مثلاً، فروحها: النية والإخلاص وحضور القلب، وبدنها الأعمال وأعضاؤها الأصلية الأركان وأعضاؤها الكمالية الأبعاض، فالإخلاص والنية فيها تجري مجرى الروح والقيام والقعود مجرى البدن والركوع والسجود تجري مجرى الرأس واليد والرجل وإكمال الركوع والسجود بالطمأنينة وتحسن الهيئة تجري مجرى حسن الأعضاء وحسن أشكالها وألوانها والأذكار والتسبيحات المودعة فيها تجري مجرى آلات الحس المودعة في الرأس والأعضاء كالأذن والعين وغيرهما، ومعرفة الأذكار

وحضور القلب عندها يجري مجرى قوى الحس المودعة في آلات الحس كقوة البصر وقوة السمع والشم والذوق في معادنها.

واعلم أن تقربك في الصلاة كتقرب بعض خدم السلطان بإهداء وصيفة إلى السلطان، فيجب عليك أن تعرف حينئذٍ أن فقد النية والإخلاص من الصلاة كفقد الروح من الوصيفة، والمُهدي للخليفة الميتة مستهزئ بالسلطان فيستحق بذلك سفك الدم، وفقد الركوع والسجود يجري مجرى فقد الأعضاء، وفقد الأركان يجري مجرى فقد العينين من الوصيفة، وجدع الأنف والأذنين وعدم حضور القلب وغفلته عن معرفة معاني القراءة والأذكار كفقد البصر والسمع مع بقاء جرم الحدقة والأذن ولا يخفى عليك أن من أهدى وصيفة بهذه الصفة كيف يكون حاله عند السلطان، ثم إعلم أن الصلاة الناقصة غير صالحة للتقرب بها إلى اللّٰه ونيل الكرامة، وإن أوشك أن يرد على المُهدي ويُزجر، وأيضا أصل الصلاة التعظيم واحترام للسلطان الحقيقي وإهمال آداب الصلاة يناقض التعظيم والإحترام، فكيف تقبل وكيف تحصل لصاحبها القرب والكرامة، فالواجب عليك وعلى كل مصلي بالصفة المذكورة أن يحفظ روح الصلاة ويراعيها، وهو الإخلاص وحضور القلب في الحال بمعانيها، فلا يسجد ولا يركع إلا وقلبه خاشع متواضع علة موافقة ظاهره، فإن المراد خضوع القلب لا خضوع القالب، ولا يقول اللّٰه أكبر وفي قلبه شيء أكبر من اللّٰه تعالى، ولا يقول وجهت وجهي إلّا وقلبه متوجه بكل وجهه إلى اللّٰه عز وجل ومعرض عن غيره، ولا يقول الحمد للّٰه إلا وقلبه طامح بشكر اللّٰه ونعمه عليه فرح به ومستبشر، ولا يقول إياك نعبد وإياك نستعين إلا وهو مستشعر ضعفه وعجزه وأنه ليس إليه ولا إلى غيره من الأمر شيء كما قال لنبيه ﷺ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ (آل عمران: من الآية ١٢٨) وكذلك جميع الأذكار والأفعال يفعل اللّٰه ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

وإذا تحقق هذا وتقرر فاعلم أن صلاتهم بعد قيامهم بعد بالصلاة المخصوصة بأهل الشريعة على كمال أركانها وأفعالها، هي توجههم أولاً بقلبهم إلى القبلة الحقيقية والكعبة المعنوية التي هي القلب الحقيقي المعبر عنه ببيت اللَّه الحرام لقوله تعالى: (لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن) ولقوله نبيه ﷺ: (قلب المؤمن بيت اللَّه) بالنية الخالصة والإخلاص التام والحضور الكامل، لقوله ﷺ: (لا صلاة إلا بحضور قلب) ولقوله عز وجل: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ (الزمر: من الآية ٣) ولقوله الجامع لهذا المعنى كله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٢) ثم يكبر تكبيرة الإحرام ويحرم على نفسه جميع ما يخالف أمره ويتجاوز رضاه من الأقوال والأفعال، ثم يشرع في القراءة وهي الحمد للَّه رب العالمين، وذلك هو القيام بشكر نعمه وأياديه بالثناء الجميل عليه، والقيام بوظائف عبادته على اختلاف أنواعها، والإقرار بالوحدانية في مقام الجمعية غير منحرف إلى طرفي الأطراف والتفريط، والإقرار بالعبودية وهي قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: ٥) فإن ذلك إشارة إلى التوحيد الفعلي والوصفي بإضافة الأفعال والأوصاف إليه في المرتبتين، لأن ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ (الفاتحة: من الآية ٥) إشارة إلى التوحيد الفعلي ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: من الآية ٥) إلى التوحيد الوصفي، ولهذا جاء عقيبهما ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ (الفاتحة: ٦ و٧) لأنه إضافة الهداية وإضافة النعمة على الأنبياء والأولياء بل على الكل إليه، وهذا هو كمال التوحيد الحقيقي، ومعناه عند المحققين ثبتنا على هذا الذي نحن عليه من الاستقامة على الصراط المستقيم، لأن هذا الصراط الذين أنعمت عليهم من الأنبياء والرسل، وأكد في تحقيق الصراط بالمستقيم ليخرج عنه غير المغضوب عليهم من الأنبياء والرسل، وأكد في تحقيق الصراط بالمستقيم ليخرج عنه غير المغضوب عليهم ولا الضالين، لأن الضالين على صراط غير مستقيم، وقيل: إنه ورد في اليهود والنصارى، وذلك من حيث التعبير وهو صادق على كل

منحرف عن الصراط المستقيم الذي هو الحد الأوسط بين طرفي الإفراط والتفريط في أُصول الأخلاق الحقيقية التي هي الحكمة والعفة والشجاعة والعدالة، ولفظ (اهْدِنَا) لو لم يكن بمعنى والأولياء عليهم السلام بالاتفاق كانوا على الصراط المستقيم، وكذلك تابعيهم من المؤمنين والمسلمين لقوله تعالى: ﴿وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الأنعام: من الآية ٨٧) فلو كان اهدنا حينئذ بمعنى طلب الهداية إلى الصراط المستقيم لكان يلزم الفساد المذكور ويؤدي إلى تحصيل الحاصل وطلب ما عندهم من الهداية، وهذا غير جائز عنه، فلم يبق إلا أن يكون المعنى المذكور، ثم يركع أي يتواضع للّه تعالى ويرجع إلى نفسه بالكسر والمذلة والافتقار التي هي من مقتضيات ذاته، لأن الركوع هو الرجوع قهقرى إلى عدمه الأصلي وإمكانه الذاتي، لأنه حركة أفقية حيوانية كما أن القيام حركة مستقيمة إنسانية ألفية، وليس معنى القهقرى إلا هذا، أي الرجوع إلى أصله المخلوق منه لقوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ (مريم: من الآية ٩) ولهذا جاءت عقيبه حركة منكوسة التي هي السجود لأنها مخصوصة بالنبات، لأن النبات دائماً في النكس، والنكس إشارة إلى الرجوع الأصلي، ولهذا نزل من الاستقامة النباتية والحركة المنكوسة، لأنه من حيث الصورة صعد من النباتية إلى الحيوانية ومن الحيوانية إلى الإنسانية المشار إليه في قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ (التين: ٤ و٥) لأن أحسن التقويم بالإتفاق هو تقويم الحقيقة الإنسانية، وأسفل سافلين بالإتفاق هي الرجوع إلى المرتبة الحيوانية ثم إلى النباتية، وكذلك قوله: ﴿ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾ (الحديد: من الآية ١٣) لأنه إشارة إلى هذا الرجوع، لأن النور المعبر عنه بالوراء المحصل للكمال لا يحصل إلا بعد الرجوع إلى مقره الأصلي صورة ومعنى، ويشهد به قوله: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ (الفجر: ٢٧ و٢٨) ينفعه هذا الرجوع ومشاهدة هذا الفقر والمذلة في طريق الفناء ظاهراً وباطناً، ويسهل عليه ترك اللذات والشهوات المشتملة عليهما، حتى إذا

شاهد عظمة الباري ومقارة نفسه في ذلك قام بتعظيم اللّٰه وتبجيله غاية التعظيم والتبجيل بلسان الحال والمقال وقال: سبحان ربي العظيم وبحمده، ولذلك ثمرة هذا التعظيم والتبجيل بعد مشاهدته مذلته وانكساره، والرجوع إلى العدم الأصلي الانتصاب والاستقامة الموجبتان لمشاهدة حالة مع الحق وحال الحق معه في تبديل أوصافه بأوصاف الحق وتهذيب أخلاقه به حتى قال سمع اللّٰه لمن حمده، لأن هذا إخبار عن شهوده الحق مع الكل وشهود الكل معه، بحيث يسمع كلام الكل من غير مانع وحاجب سيما مع نفسه، فإنه كان يسمع بنفسه من قائله كما سبق ذكره من قول الإمام: كنت أكرر آية حتى سمعتها من قائلها، ومن عرف نفسه فقد عرف ربه يشهد بذلك صريحاً، وفيه أسرار أخر ليس هذا موضعها، وعن هذا أخبر الحق تعالى أيضاً في كتابه الكريم بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ (فصلت ٥٣) وكذلك في حديثه القدسي (كنت سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله) الحديث، وليس هذا ببعيد من الشجرة المباركة الإنسانية المشار إليه بقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ (قٓ: من الآية ١٦) وبقوله: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات: ٢١) وحديث يجوز هذا من الشجرة الصورية النباتية لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (القصص: ٣٠) وإن كان في التحقيق أيضاً ليس هذه الشجرة وهذه البقعة المباركة إلا الإنسان وصورته ومعناه لقوله ﷺ (من رآني فقد رأى الحق) لأن مشاهدة الحق على ما ينبغي ليس بممكن إلا في الصورة الإنسانية لقوله: (لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن الوادع) وأشار الشبلي رحمة اللّٰه عليه (أنا أقول وأنا أسمع وهل في الدارين غيري) ما كان إلا في هذا المقام، ويشهد به أيضاً قول ابن الفارض:

ولو كنت بي من نقطة الباء خفضة رفعت إلى ما لم تنله بحيلتي

لأن هذا إشارة إلى الفناء والرجوع إلى العدم الأصلي ثم إلى البقاء والوصول إلى العالم القدسي المعبر عنه بالحضرة الإلهية، لقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ﴾ (القمر ٥٤ و٥٥) ثم يسجد أي يرجع أيضاً إلى أصله قهقراً حتى يصل إلى المرتبة النباتية وحركتها المنكوسة المخصوصة بها، لأن السجدة عبارة عن تعفير أشرف الأشياء في الإنسان وأجلها الذي هو الوجه بأخس الأشياء في الوجود الذي هو الأرض كسراً لنفس الساجد وإذلالاً له، وهذا الكسر والإذلال في المرتبة الثانية إشارة إلى الفناء بعد الفناء، لأن الفناء الأول كان من الصفات والأخلاق وهذا الفناء عن الوجد والذات، لأن القرب الحقيقي كما هو موقوف على الفناء الوصفي، والوصول الحقيقي موقوف على الفناء الذاتي المخصوص بأهل الحقيقة كما أشرنا إليه، ولهذا قال فيه سبحان ربي الأعلى وبحمده، لأن السالك ما دام في مقام الكثرة ومشاهدة مظاهر الصفات فهو بعيد، لأنه يعبد ربه المقيد لا الرب المطلق، لكن إذا وصل إلى التوحيد الذاتي خلص من ذاك وقال بلسان الحال: سبحان ربي الأعلى وبحمده، أي الأعلى من ربه الخاص، ومعلوم أن قيام الأرباب المقيدة ليس إلا بالرب المطلق، ومن هذا خاطب نبيه ﷺ وقال: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ (النجم: ٤٢) وربه في الحقيقة ليس إلا الرب المطلق الذي هو منتهى كل رب ومقصد الكل إليه، وذلك لأنه كظاهر إسم اللّٰه الذي هو الاسم الأعظم، ومظهر الأعظم لا يكون إلا يكون إلا أعظم، فافهم، وهذا لو لم يكن كذلك لم يصدق عليه تعالى أنه رب الأرباب ولا أحسن الخالقين، وهاهنا أبحاث تعرف من بحث الأسماء ومظاهرها، ثم يسلم أي يسلم الأمر كله إلى اللّٰه ويرجع عن السير بنفسه إلى السير فيه الذي هو مقام البقاء الحاصل من الرضا والتسليم الجامع للتوحيد الفعلي والوصف، وإليه إشارة الحق بقوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ

﴿فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء: ٦٥) وفيه قيل:

وكلت إلى المحبوب أمري كله   فإن شاء أحياني وإن شاء أتلفا

وقوله تعالى أيضاً: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ (الأحزاب: من الآية ٣٦)، وكذلك قوله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ (آل عمران: من الآية ١٢٨) شاهد عدل على صدق هذه الدعوى، وبرهان صادق على هذا المعنى ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (هود: ١٢٠) والله أعلم وأحكم وهو يقول الحق وهو يهدي السبيل، هذا آخر صلاة أهل الطريقة بقدر هذا المقام.

أما صلاة أهل الحقيقة

فالصلاة عندهم عبارة عن الوصلة الحقيقية والشهود الحقيقي اللذين فوق القرب المذكور المخصوص بأهل الطريقة كما سبق تقسيمه من قولهم: الصلاة خدمة وقربة ووصلة، فالخدمة هي الشريعة والقربة هي الطريقة والوصلة هي الحقيقة، ومن قولهم: الشريعة أن تعبده والطريقة أن تحضره والحقيقة أن تشهده، وقد ورد في اصطلاحهم تقسيم آخر أوضح منه، وهو أنهم جعلوا العبادة على ثلاثة أقسام، وخصصوا كل قسم منه بطائفة من الطوائف الثلاث، وذلك قولهم: العبادة هي غاية التذلل للعامة، والعبودية للخاصة الذين صححوا النسبة إلى الله بصدق القصد إليه في سلوك طريقه، والعبودة لخاصة الخاصة الذين شهدوا نفوسهم قائمة به في عبودية، فهم يعبدونه في مقام أحدية الفرق بعد الجمع، وهؤلاء هم أهل الحقيقة المختصين بمقام العبودة دون العبودية، لأن ذلك خاص بأهل الطريقة الذين هم من الخواص وأهل الوسط كما بيناه عند بحث الشريعة والطريقة والحقيقة، وبون بعيد بين أهل العبودية وأهل العبودة وبين الخاص وخاص

الخاص، وبالجملة صلاتهم عبارة عن مشاهدة محبوبهم بعين المحبوب لا غير، لقوله ﷺ (رأيت ربي بعين ربي، وعرفت ربي بربي) وورد عنه ﷺ (حبب إلي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة) والمراد رعاية مراتب الثلاث، لأن الأول إشارة إلى القيام بالشريعة علماً وعملاً وطيب الأخلاق وتهذيبها قوة وفعلاً، والثاني إلى القيام بالطريقة ذوقاً ووجداناً الذي هو إما محبة نساء النفس لإخراج ذرية المعاني والحقائق عنها بالفعل كما هو مركوز فيها بالقوة، لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ (النساء: من الآية ١) الآية أو محبة الخارجية لإخراج الذرية الصورية الذي هو السعي والإجتهاد في إبراز المعدومات إلى الوجود، والثالث إلى القيام بالصلاة الحقيقية التي هي مشاهدة المحبوب وقرة العين بها، كما ورد في تعريف الإحسان حين سئل النبي ﷺ عن معناه وقال: (الإحسان أن تعبد اللّه كأنك تراه وإن لم تكن تراه فإنه يراك) وقد نطق بعض العارفين في الخبر الأول الوارد عن النبي ﷺ وتحقيق الصلاة وحصول المشاهدة منها وهو مناسب لهذا المقام نذكره هاهنا ثم نرجع إلى غيره وهو قوله بعد بيان الطيب والنساء والدقائق التي فيهما، أما قوله ﷺ (وجعلت قرة عيني في الصلاة) فلأنها مشاهدة، وذلك لأنها مناجاة بين اللّه وبين عبده كما قال: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ (البقرة: من الآية ١٥٢) وهي عبادة مقسومة بين اللّه وبين عبده بنصفين، فنصفها للّه ونصفها للعبد كما ورد في الخبر الصحيح عن اللّه تعالى، وهو الذي ذكرناه أولاً أنه قال: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل يقول العبد (بِسْمِ اللّه الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) يقول اللّه ذكرني عبدني، يقول العبد (الْحَمْدُ للّه رَبِّ الْعَالَمِينَ) فيقول اللّه حمدني عبدي، يقول العبد (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) يقول اللّه أثنى عليّ عبدي يقول العبد (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) يقول اللّه مجدني عبدي، ثم يقول العبد (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) يقول اللّه هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فأوقع الاشتراك في هذه

الآية دون الآيات التي سبقت، فإنها كانت خالصة للّه، فيقول العبد: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۞ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ يقول اللّه: فهؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل، فخلص هؤلاء لعبده كما خلص الأول له تعالى، فعلم من هذا وجوب قراءة الحمد، فمن لم يقرأها لم يصل الصلاة المقسومة بين اللّه وبين عبده، ولما كانت مناجاة فهي ذكر، ومن ذكر الحق فقد جالس الحق وجالسه الحق، فإنه صح في الخبر الصحيح الإلهي أنه قال تعالى: أنا جليس من ذكرني، ومن جالس من ذكره وهو ذو بصر حديد رأى جليسه، فهذا مشاهدة ورؤية، فإن لم يكن ذا بصر لم يره، فمن هنا يعلم المصلي رتبته، هل يرى الحق هذه الرؤية في هذه الصلاة أم لا؟، ثم قال: وأما قوله: جعلت قرة عيني في الصلاة ولم ينسب الجعل إلى نفسه، فإن تجلي الحق للمصلي إنما هو راجع إليه تعالى لا إلى المصلي، فإنه لو لم يذكر هذه الصفة عن نفسه لأمره بالصلاة على غير تجل منه له، فلما كان منه ذلك بطريق الامتنان كانت المشاهدة بطريقة الامتنان، فقال (وجعلت قرة عيني في الصلاة) وليس إلا مشاهدة المحبوب التي تقر بها عين المحب من الاستقرار، فتستقر العين عند رؤيته، فلا ينظر معه إلى شيء غيره في شيء وغير شيء، ولذلك نهى عن الالتفات في الصلاة، فإن الالتفات شيء يختلسه الشيطان من صلاة العبد، فتحميه مشاهدة مربوبه، بل لو كان محب هذا الملتفت ما التفت في صلاته إلى غير قبلته يوجهه، والإنسان يعلم حالة في نفسه، هل هو بهذه المثابة في هذه العبادة الخاصة أم لا؟ فإن الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره، فهو يعرف كذبه من صدقه في نفسه، لأن الشيء لا يجهل حاله، فإن حاله ذوقي، ثم قال: اعلم أن الرؤية والسماع والشهود من العبد المصلي للحق قد يكون بقوة الإيمان واليقين، حتى يكون جلية اليقين بمثابة الإدراك البصري والسمعي، أعني في قوة الضروريات والمشاهدات، وقد يكون ببصر القلب أي نور البصيرة والفهم، أعني بنور تجلي الصفات الإلهي للقلب حتى صار العالم عياناً، وقد يكون بالرؤية

الحسية البصرية، فيتمثل له الحق متجلياً مشهوداً له مشاهدة عين قاسماً للصلاة (بينه وبين عبده) ويعرف هذا من الخبر الوارد في التجلي الإلهي يوم القيامة، ويتبع ظهوره بحسب اعتقاد كل معتقد فيه، ثم قال فانظر علو رتبة الصلاة وإلى أين تنتهي بصاحبها، فمن لم تحصل له درجة الرؤية في الصلاة فما بلغ غايتها ولا كان له فيها قرة عين، لأنه لم ير من يناجيه، فإن من لم يسمع ما يرد الحق عليه فيها فما هو ممن ألقى السمع، ومن لم يحضر فيها مع ربه مع كونه لم يسمع ولم ير فليس بمصلٍ أصلاً، ولا هو ممن ألقى السمع وهو شهيد، وإلى مثل هذه المشاهدة أشار الحق تعالى وقال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝ أَلَآ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ (فصلت/٥٣ و٥٤) وكذلك النبي ﷺ في قوله: (أفأعبد ما لا أرى؟) وفي قوله: (الحق أبين وأظهر مما ترى العيون) وفي قوله: (وهو من اليقين على مثل ضوء الشمس) وفي قوله: (لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً) وفي مثل هذه المشاهدات الجلية والصلاة الحقيقية يصدق عليهم أنهم في صلاتهم مشاهدون، لأن الصلاة الدائمة عند التحقيق ليست إلا مشاهدة الحق على الوجه المذكور المخصوصة بأعظم عباده وأخص أوليائه، جعلنا اللّه منهم بفضله وكرمه.

وإذا تقرر هذا وتحقق أن المراد بصلاة أهل الحقيقة المشاهدة والوصول إلى المحبوب فلنشرع في ترتيب صلاتهم وكيفية أركانها على الوضع المخصوص، وهو هذا:

اعلم أن صلاتهم بعد قيامهم بصلاة أهل الشريعة وصلاة أهل الطريقة عبارة عن قيام بما هو مأمور به من الاستقامة على الطريق المستقيم التوحيدي المشار إليه في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ (هود: من الآية ١١٢) وتلك الاستقامة إشارة إلى استقامة الكامل في مقام التكميل، والسير باللّه بعد الفراغ من السير إلى اللّه والسير في اللّه الذي هو عبارة عن أحدية الفرق بعد الجمع، ثم توجهه من

الحضرة الفعلية والوصفية المعبر عنهما بالحضرة الواحدية والحضرة الربوبية إلى الحضرة الأحدية الذاتية التي هي قبلة العارفين وكعبة المحققين بنية أن لا يشاهد في الوجود غيره أصلاً، ثم تكبيرة الإحرام بمعنى أن يحرم عليه التوجه إلى غير بابه، وصدوره الفعل منه بغير رضائه، لقوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٢) مع القيام بقوله: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام: ٧٩) ثم قراءة الفاتحة بالمعنى المذكور الذي هو التقسيم بين اللّه وبين عبده مع المشاهدة الجلية العينية في هذه القراءة المشار إليها في قوله وقول أنبيائه مطابقاً لقوله في حق إبراهيم الخليل: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ (الأنعام: ٧٥) ثم يركع ركوعاً أي يتواضع للّه تواضعاً يتخاضع معه الملك والملكوت لقيامه بخلافة اللّه فيهما، واحتياج الكل إليه في الوجود وتوابعه من الكمالات المترتبة عليه، ثم يسجد سجوداً يفنى فيه وجود الموجودات والمخلوقات بأسرها مع إفناء وجوده وافناء هذا الفناء أيضاً لشهوده العيني معنى ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن ٢٦ و٢٧) ثم ينزهه ويقدسه في الحركتين بالتعظيم والتبجيل تنزيهاً وتقديساً يوجب التقديس عن جميع النقائص السلبية والثبوتية، مشاهداً معنى قوله: سبحان ربي الأعلى وبحمده في الثانية على ما سبق ذكرها، ثم يشهد بوحدته الذاتية المطلقة والأحدية الوجودية الصرفة المنفية عندها جميع الاعتبارات بكل الاعتبارات مطابقاً لقوله وقول اكمل عبده في كتابه: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (آل عمران: ١٨) ثم يسلم لهذا التوحيد من قلبه وروحه بشهوده الحقيقي الذي هو مخصوص بهما خاصة من غير مانع ودافع، لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء: من الآية ٦٥) لأن التسليم للّه لا يصح إلا بالتسليم لرسوله، وكذلك تسليم رسوله إلا بتسليم وليه المعبر عنه بأولي الأمر لقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ (النساء: من الآية ٥٩) ويشهد بذلك قوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ (آل عمران: من الآية ٣١) وهاهنا أبحاث وأسرار تزيد بسطاً عظيماً نختصر على ذلك ونعتمد على من له استعداد استخرج باقي الأسرار من أهل اللّه خاصة، فإن ذلك لا يخفى على أهله.

فجماعة يكون اعتقادهم في الأصول والفروع بهذه المثابة التي عرفتها من أول الأصول الخمسة في الجزء الأول من هذا الكتاب، ومن الجزء الثاني الفروع الخمسة إلى هذا المكان، ويكون اطلاعهم على الحقائق الإلهية والدقائق الربانية إلى هذه الغاية، وقيامهم بالشريعة والطريقة والحقيقة بهذه المرتبة، كيف ينسب إليهم عدم الاعتقاد في الأصول والفروع وقلة القيام بالأوضاع الإلهية والقوانين النبوية؟ جل جنابهم عن أمثال ذلك، وذلك لأن أكثر علماء الظاهر ومجموع أرباب التقليد من العوام بمجرد استماع قول الجهال من الصوفية في الإباحة والإهمال في الأوضاع الشريعة اعتقدوا أن اعتقاد أرباب التوحيد على هذا، وأنهم ذهبوا إلى أن كل من وصل إلى اللّه تعالى سقطت عنه التكاليف الشريعة والعبادات الدينية، حاشا وكلا، نعوذ باللّه عن نسبة أمثال ذلك إليهم، بل اعتقادهم واتفاقهم على أن كل من وصل إلى اللّه تعالى أو إلى بعض حضرات طاعته تكون أكثر وعبادته تكون أعظم ومجاهدته ومشقته على هذا المثال أشد وأصعب، كما كان حال رسول اللّه ﷺ مع كمال الوصول إليه وقربة لديه، ويعرف هذا من الخبر الوارد عن عائشة وهو أنه ﷺ كان يقوم بالليل ويصلي حتى تورمت قدماه، فقالت عائشة يا رسول اللّه ما ورد فيك: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ (الفتح: من الآية ٢)؟ فقال ﷺ في جوابها (أفلا أكون عبداً شكوراً) يعني إذا كان أنعم اللّه عليّ بهذه المثابة أفلا أكون عبداً شكوراً له ولنعمه. وسورة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾

(المزمل ١ - ٣) وفي سورة ﴿طه ۝ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ (طه ١ - ٢) ما ورد إلّا في مجاهدته ورياضته وقيامه بالليل وظمئه وسهره صلى اللّٰه عليه وعلى نفسه القدسية، وحال باقي الأنبياء والرسل صلوات اللّٰه عليهم في هذا المعنى مشهور معروف، وقد شهد بصحته القرآن والأخبار النبوية والولوية صلى اللّٰه عليهم، هذا بالنسبة إلى الأنبياء والرسل، وأما بالنسبة إلى الأولياء الأوصياء فيعرف هذا من حال أمير المؤمنين ﷺ فإنه كان يستغرق في الصلاة ومشاهدة الحق فيها، بحيث إذا أراد أولاده إخراج النصل عن رجله كانوا يصبرون حتى يشتغل بالصلاة ويخرجون النصل من رجله ويشدونها وما له به حس من غاية الاستغراق، ولأجل أداء صلاته في وقتها رجعت الشمس من المغرب مرتين في المدينة ومرة في أرض بابل، وله في زماننا هذا مسجد يسمى بمسجد الشمس كما ردت مرة أخرى قبلها لأجل شمعون وصي عيسى ﷺ فلو لم تكن الصلاة عندهم في غاية الاعتبار ما تعلق خاطرهم بأدائها إلى هذه الغاية، ولا قبل الحق تعالى دعاءهم فيها، وقد ورد أن ولده المعصوم زين العابدين ﷺ كان يصلي كل يوم وليلة ألف ركعة، وكان يقول رضيت أن تكون جميع هذه الصلوات مقابلة لركعتين من صلاة أمير المؤمنين ﷺ وكذلك ورد في كل واحد واحد من أولاده صلوات اللّٰه عليهم مثل ذلك، وأبلغ هذا بالنسبة إلى الأولياء المعظمين، وأما بالنسبة إلى المشايخ من أهل اللّٰه وخاصته فينقسم ما ورد عنهم إلى قسمين، أقوال وأفعال، أما الأقوال فقال بعضهم: إن الكامل من لا يطفىء نور عرفان تورعه وتوجيهه إن الكمال الكمل إنما يتحقق بالجمع بين العرفان الحقيقي والروع التام، فلا بد أن يكون الكامل جامعاً بينهما حتى به يكون كاملاً، فأما من إذا وصل إلى تمام المعرفة بشهود الحقائق تاه به وانقدت نورانية علمه، فأطفأت صور الأعمال الظاهرة ونورها الحاصل عن الورع عما حماه اللّٰه على أهل طاعته، فانطفأ نور الورع بنور العرفان، فليس حينئذ بكامل ولا متحقق بإكمال ولا بنور العرفان، وكذلك من اكتفى بنور الورع عن نور العرفان واتكل عليه وجعله سلماً إلى كماله

دون الوصول إلى الحقائق الشهودية بنور المعرفة فليس بكامل أيضاً ولا متحققاً بمقام الكمل، بل الكامل القائم بالأمرين الجامع بين النورين نور العرفان ونور الورع، وسر هذا الجمع إنما يظهر من سر معرفة الانطباق بين الظاهر والباطن وحصول العلم بالارتباط بينهما، فإن به يتحقق الارتباط بين نوري العرفان والورع، هذا توجيه كلام ذلك العارف وهو موافق لما نحن بصدده من نزاهته عما ينسب إليهم مما لا يليق.

وقال آخرون الوصول بالحقيقة ترك ملاحظة العمل، وتوجيه ما ذكره هذا العارف إجمالاً أن الواصل إلى الحقيقة لا يتحقق عنده فعل ولا فاعل غيره تعالى، فلا يلاحظ حينئذ شيئاً من الأعمال، ولا يلزم من عدم ملاحظة فعله ووجوب تركه، فإن الملاحظة الأولى لا تنافي الثانية والحديث الوارد عن سلطان الأولياء والوصيين علي ﷺ بقوله: ما عبدتك طمعاً بجنتك.... الحديث دال على هذا المعنى وبه يعرف سر معنى الإخلاص في العمل وتوجه النفس فيه إلى سر العبودية دون ملاحظة الخصوص والمخاوف أو غيرهما من الأعراض الحاجبة عن الوصول والاتصال بالمعبود، هذا على سبيل الإجمال، وإلا فالتفصيل ليس هذا موضعه، تركناه خوف الإطالة، وعليك بملاحظة هذا السر، فإنه به يندفع أوهام الإباحية والملحدة.

وأما الأفعال فورد عن الجنيد رضي اللّٰه أنه قال: طاحت الضمارات وفنيت الإشارات وما نفعتنا إلا ركيعات صليناها في جوف الليل. وورد عن الشيخ الكامل شمس الدين الحموي قدس اللّٰه سره أنه كان يصلي كل ليلة ويوم كذا وكذا ركعات، ومن أوراده المشهورة عقيب كل صلاة يعرف صدق هذا وكذلك الشيخ شهاب الدين الكبير السهروردي قدس اللّٰه سره، وكذلك أبو يزيد البسطامي الذي كان سقاء في دار جعفر بن محمد الصادق ﷺ وكذلك الشيخ الأعظم محي الدين العربي فإنه صلى بعدد كل نبي وولي ركعتين بعد قيامه

بجميع ما وجب عليه، وكذلك في كل الزيارات التي كانت في المغرب والشام ومصر والإسكندرية ومكة والمدينة وبيت المقدس، ويعرف صدق هذا من فتوحاته وأسرار الصلاة التي ذكرها فيها.

والغرض من هذا كله أن هؤلاء القوم ليسوا في شيء مما يظنون فيهم علماء الظاهر وأرباب التقليد من العوام، الذين هم بقايا ذرية كانوا على عهد رسول الله ﷺ يستهزئون بأهل وأرباب التوحيد والتأويل، ويتغامزون في حقهم وينكرون طريقتهم لا اليوم خاصة، وعند التحقيق ليس إنكار هذا اليوم إلا نتيجة ذلك اليوم، لأن هؤلاء المنكرين الذين هم في هذا الصدد ليسوا إلا أولادهم وبني أولادهم، لقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ (الزخرف: من الآية ٢٣) نعوذ بالله منهم ومن أمثالهم، ونعم ما قال الشاعر في هذا المعنى:

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني   أو كنت تعلم ما تقول عزلتكا
لكن جهلت مقالتي فعذلتني   وعلمت أنك جاهل فعذرتكا

وقد قال بعض العارفين: إن كل شخص يكون عارياً عن فضيلة لا يصدق بوجود تلك الفضيلة في آخر، بل وينكر عليه، لأن أهل الله في مقام المتابعة التامة والأسوة الحسنة المشار إليها في قوله: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: من الآية ٢١) وقد سبق عند بحث الشريعة والطريقة والحقيقة أن الأسوة الحسنة هي القيام بجميع المراتب الشرعية، فمن المراتب المذكورة هذه المتابعة، والأسوة لا تقتضي المخالفة في شيء أصلاً، فكيف يصدر منهم ما يخالف هذا وما ظنوا فيهم الجهال والعوام الذين هم بقايا الذرية المذكورة، ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ (فصلت: ٢٣) وعند التحقيق ليست قضية هؤلاء القوم مع تلك الجماعة إلا قضية إبراهيم ﷺ مع أمة موسى وعيسى ﷺ لأنهم كانوا يقولون: إن إبراهيم منا لا من المسلمين، حتى كذبهم الله تعالى في دعواهم وقال: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن

كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ (آل عمران: من الآية ٦٧) فإن بعض الناس ينسبونهم إلى الإلحاد والكفر والزندقة، وبعض الناس إلى الحلول والاتحاد والتشبيه، والحال أنهم منزهون عن تصوراتهم الباطلة وتوهماتهم الكاذبة، كإبراهيمعليه السلام عن تصور تلك الجماعة وتوهم تلك الطائفة، وقوله تعالى في الحديث القدسي: (أولياء تحت قبابي لا يعرفهم غيري) إشارة إليهم، وكذلك قوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (المائدة: من الآية ٥٤) وقول أمير المؤمنين عليه السلام (اللّهم بلى لا تخلو الأرض من قائم للّه بحجة، إما ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً، لئلا تبطل حجج اللّه وبيّناته وكم ذا وأين أولئك وأولئك واللّه الأقلون عدداً والأعظمون قدراً، يحفظ اللّه حججه وبيناته بهم حتى يودعوها نظرائهم ويزرعوها في قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة، وباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون أنسوا بما استوحش منه الجاهلون، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالحمل الأعلى، أُولئك خلفاء اللّه في أرضه والدعاة إلى دينه، آه، آه، شوقاً إلى رؤيتهم).

أيضاً إشارة إليهم، وفيهم قيل:

للهِ تحت قبــاب العــز طائــفــة أخفاهم عن عيـون الناس إجلالا
هم الســلاطين في أطمار مسكنـةٍ استعبدوا من ملوك الأرض إقبالا
غبر ملابسهم صم مطاعمهم جروا على الفلك الخضراء أذيالا

وشوع وخشوع في الصلاة

قال سفيان الثوري: من لم يكن خاشعاً في صلاته فلا تكون تلك الصلاة مقبولة صحيحة عند اللّه.

فالخشوع فيها أن يكون المصلي حاضراً بكليته متوجهاً إلى القبلة الظاهرة كما الباطن (القلب) متوجهاً إلى القبلة الكلية بحيث لا يلتفت في صلاته إلى ما سوى اللّه تعالى، لأن روح الإنسان كان قبل جعله في الأبدان أي في عالم الذر عارفاً بربه لا يحتاج إلى دعوة استدلالية ووسائل وساطية لأنه بنور الفطرة الهادية إلى الوجود، فأهل الإجابة بما جعل فيهم من الصلوح والتمكين من الإستطاعة وتخلية السرب، فمن أين أتى الشوب والنقص والْتفتَتِ النفس في ذلك إلى جهلها من ظنٍّ وشكٍّ وتخمين وتردد وحيرةٍ وميلةٍ حين غلبت الماهية بالعرض فأثرت فيها ظلمة العدم بالشراكة كما النفس الأمّارة تغلب مقتضى العقل، لما بين الوجود والماهية من التلازم والإرتباط حصل المزج وظهر فعلُ بعضٍ من الآخر مع عموم الاختيار والإستطاعة وفعل الماهية بالوجود لأنّ تقويم الإنسان بالوجود وأمره الفاعلي والمفعولي، فالمادة الأولى من بعض شعاع النور المحمدي صالحة للطاعة والمعصية والصورة من العبد وهو مختارٌ وصدرت من العقل بالوجود وهو المادة ومن العبد منه الصورة، فالحسنة من اللّه والسيئة من النفس كالقول الطاعة من اللّه لأنها صفة الوجود الذاتي ولهذا يميل العقل إلى مشتهى الوجود فتطيعه النفس لأن جهة العقل لا تدعو إلّا إلى الخير وجهة السمع والبصر والفؤاد هو النسبة للعلة ومبدأ الظهور، والمعصية من النفس لأنها تميل باشتهاء الماهية بحسب نظرتها لإنيّتها ﴿قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (الأعراف: ٢٤) فمن غلب مقتضى الوجود فطينتُه نورانية ولم

يبقَ للماهية إلا مقتضى ظهور الوجود بها، ومن غلبت مقتضى ماهيته على الوجود باعتبار نظرها لنفسها فهي ظلمانية خبيثة فلم يبقَ معها الوجود إلّا بقدر ما تتقوم به وتفعل به عرضياً فلما تخلّى عن النظر إلى الوجود وقعت المعصية من نشأة النظر إلى إنّيته المظلمة إذْ لا جبر ولم يرفع الباري مدده وإلاّ لم يبقَ وجود ولا فعل فكان الهبوط في عالم طين الدنيا حيث صار في الدار محجوباً بصفات النفس من ظلمتها وكدورة ظنّه وسرعة وهنه وتعكير مزاحمة نقصه، فظهرت بالعبد لعمله بمقتضى مقبوليته أو قُل قابليته، ومن المعلوم أن الغرض الأصلي من الشرع والحكمة هو سوق النفس وكثرة قوى الحسيات بالعبادة والعلم إلى عالم المعرفة به تعالى فمتى عرفت التزمتْ، فمن أراد أن يكون صحيح المزاج ملازماً للآداب والسنن أن يلتزم بخطاب القرآن الكريم والسنة المطهرة والشريعة الرافعة من الماهية إلى الوجود أي من النفس إلى العقل فيرفعه عن الفسق والفجور والخيانة والمكر والحيلة فيعيش صالح البال والمعاش مقبلاً على أداء الوظائف الشرعية لا يخلّ بالأركان والفروع ولا يتخذ من علمه ودينه حرفة، ومن كان بخلاف ذلك فيكون من أهل الزور، وهذا السير من الظاهر إلى الباطن الذي فيه ترقي النفس من العلن إلى السرّ وهذا هو المقصود من التوجه إلى القبلة فيصل إلى سرّ وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض كما ورد: (اللّهم إني أسألك أن تقبل بوجهي إليك وتقبل بوجهك إليّ) مصداق قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْأَخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ (الروم: ٧) فحياة هؤلاء الممزوجين من الطينتين لم يتجاوز علمهم المحسوسات واقتصارهم على تحقيق رغباتهم وأمانيهم لانسداد مشكاة العقل فوقفوا على التسميات ولم يعلموا غير الحركات وصورة الأفعال، وكيف كان فلا يفقهون قولاً من غير مرعاهم وملبسهم الدنياوي.

قال ذو النون: ثلاثة من أعلام الإيمان: إسباغ الطهارات في المكاره وارتعاش القلب عند الفرائض حتى يؤديها والتوبة عند كل ذنب خوفاً من الإصرار.

رأى سفيان الثوري خليفة العصر في المسجد يصلّي وبيده يعبث بلحيته، فقال له سفيان: ليست هذه الصلاة بصلاة، بل تُلفُّ هذه الصلاة في القيامة في خِرقةٍ ويُضربُ بها على وجهك، فقال الخليفة: مهلاً يا سفيان، قال سفيان: قلبي ينقلب دماً من مشاهدة مثل هذه الأفعال ولا أقدر على السكوت، وكلامه قد أثّر في الخليفة وأضمر منه، ثم بعد مدةٍ أمر أن تُنصب خشبة ليصلب عليها سفيان جزاءً لسوء أدبه في حضرة الخليفة، وسفيان كان في بيته غافلاً عن ذلك، وعنده سفيان بن عُيينة وشخصٌ آخر من المشائخ، وهو كان نائماً، قال أحدهما للآخر: نُعلمهُ الحكاية أم لا؟ وهو كان مستيقظاً فسمع مقالتهم واستخبرهُ عنهم؟ فقالوا ما جرى من الأمر، فقال: لا أحبُّ حياتي، ولكن ينبغي أن لا يُترك الحق فدمعت عيناه وقال: إلهي خُذه أخذ عزيزٍ مقتدرٍ والخليفة كان جالساً على سرير المُلك، وعنده جماعة من خواصه وأركان دولته، سمعوا صوتاً من جانب السقف وانهدم البيت ووقع السقف على الأرض وهلك الخليفة والذي حوله وجاء الخبر إلى سفيان وهو بعدُ جالساً في بيته مع الشخصين قالا له: يا شيخ دعاء مستجاب بهذه العجلة!؟ قال: نعم إني ما أرقت ماء وجهي على هذا الباب قطُّ.

سأل رجل أبا الفيض: ما التوكل؟ فقال: خلع الأرباب وترك الأسباب، فقال السائل زدني، فقال: إلقاء النفس في العبودية وإخراجها من الربوبية.

متى مالت كلُّ طينة ممزوجةٍ إلى مشتهاها يضعف الآخر ويقوى ما يتقوم به الوجود والنفس طوعه حينئذٍ ولا غنى عن التعلق فيكون التوكل بمعنى غلبة التعقل بالطاعة، وخلع الأرباب لأن النفس مرتبطة بالماهية والوجود لحصول المزجة والتركيب فخلعها أي نظرت بالوجود المقوِّم لعبوديتها وإخراجها من ربوبية ماهية ظلمانيتها، ولهذا فالطاعة للّه أولاً وبالذات لأنها صفة الوجود للعبد الذي يميل قلبه إلى مشتهى الوجود كاعماً النفس الأمارة بالسوء، كما أن العقل يأمر أن تتفكر بالقوة العليا وترتبط بالأسنى فكانت أهم العلق الأصيلة إقامة الصلوات والمحافظة

على حدودها وشرائطها وأركانها وأجزاء أنوارها، أما الإلتفات إلى الأغيار وتعدد الجهات في المطالب يورّط في الجهل ويعكّر المزاج الذي يوجب إضاعتها والإخلال بها والتعلق بالجهات المختلفة المتفرقة التي هي أصنام حقيقية ونوازع غارقة، فمبنى الصلاة على التواضع والخضوع والخشوع الذي يولّد السكينة والطمأنينة وهي بلباس التقوى تنافي التكبّر والغرور والإستعلاء وسائر لوازم الجهل ونواقصه الباطلة، فبقدر أقدام الجهل ينجس الخلُقُ وتفشو السيئة بمساوئها فتضيع آداب الصلاة وتنبتر الصِلات وكلما كثرت الشهوات كثر إهمالها وإضاعتها ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾ (مريم: ٥٩).

فالمزجة جمعت للإنسان فالمعصية منه بالوجود لتخلّيه عن الطاعة، فصلوحه لازم الإختيار وفعل الطاعة وهو لأجله خُلق ولهذا ورد: (الحسنة من اللّٰه والسيئة من العبد) فظهرت من العبد لعمله بمقبوليته أو قابليته، فالعبد غير مجبور ولا مفوَّض إليه، كما أنّ سيئته باتباع الشهوات لأنها من صفة ماهيته لأنه نظر إلى نفسه وأعرضت عن الوجود فسوف يلقون غياً ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾ (مريم: ٥٩).

في الكافي: عن علي بن الحسين ﷺ إن اللّٰه تعالى أوحى إلى دانيال عليه السلام إنّ أمقت عبيدي إليّ الجاهل بحق أهل العلم التارك الإقتداء بهم، وانّ أحبّ عبيدي إليّ التقي الطالب للثواب الجزيل اللازم للعلماء التابع للحكماء القابل عن الحكماء).

الصلاة في السفر

يجب على المسافر في الصلوات الرباعية القصر وهو إسقاط ركعتين من الصلاة الرباعية في النهار فقط عند توفّر الشروط وجوباً تعييناً لا تخييرياً، فمن أقام ما عليه حتى ينقضي سفره فتتمّ معرفته فيعلم أنّ الأربعة أصلها واحد.

عن محمد بن مسلم قال لأبي جعفر عليه السلام ما تقول في الصلاة في السفر كيف هي؟ وكم هي؟ فقال إن اللّه عز وجل يقول: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ (النساء: من الآية ١٠١) فصار التقصير في السفر واجباً كوجوب التمام في الحضر، قال له: قال اللّه عز وجل: ﴿وليس عليكم جناح﴾ ولم يقل افعلوا فكيف أوجب ذلك؟ فقال عليه السلام: أو ليس قد قال اللّه عز وجل في الصفا والمروة فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما، ألاَ ترون أن الطواف بهما واجب مفروض لأن اللّه عز وجل ذكره في كتابه وصنعه نبيه وكذلك التقصير في السفر شيء صنعه النبي وذكره في كتابه.

قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: من صلّى في السفر أربعاً فأنا إلى اللّه منه بريء.

وقال صلى الله عليه وآله: المتمم في السفر كالمقصِّر في الحضر.

ما رواه يعلى بن أمية قلت لعمر: ما لنا نقصر وقد أمنا؟ فقال: سألت رسول اللّه صلى الله عليه وآله فقال: صدقة تصدق اللّه بها عليكم فاقبلوا صدقته.

قال الإمام الرضا عليه السلام فان قال: فلم قصرت الصلاة في السفر؟ قيل: لأن الصلاة المفروضة أولا : إنما هي عشر ركعات والسبع إنما زيدت عليها بعد، فخفف اللّه عنهم تلك الزيادة لموضع السفر وتعبه ونصبه واشتغاله بأمر نفسه

وظعنه وإقامته لئلا يشتغل عما لا بد له من معيشة رحمة من اللّٰه عز وجل وتعطفاً عليه إلا صلاة المغرب فإنها لم تقصر، لأنها صلاة مقصورة في الأصل.

فإن قال: فلم وجب التقصير في ثمانية فراسخ لا أقل من ذلك ولا أكثر؟ قيل: لأن ثمانية فراسخ مسيرة يوم للعامة والقوافل والأثقال، فوجب التقصير في مسيرة يوم.

فإن قال: فلم وجب التقصير في مسيرة يوم لا أكثر؟

قيل: لأنه لو لم يجب في مسيرة يوم، لما وجب في مسيرة سنة، وذلك أن كل يوم يكون بعد هذا اليوم فإنما هو نظيره هذا اليوم، فلو لم يجب في هذا اليوم لما وجب في نظيره إذ كان نظيره مثله ولا فرق بينهما.

فإن قال: قد يختلف السير فلم جعلت مسيرة يوم ثمانية فراسخ؟

قيل : لأن ثمانية فراسخ مسير الجمال والقوافل وهو سير الذي تسيره الجمالون والمكارون.

وعند العارفين المؤمن مسافر ما دام في دار التلف والورطة ومع أهل الخلاف ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (النساء: ١٠٠) فإذا اطمأنّ قلبه (الباطني) مع خلاّنه (جوارحه) فقد وصل (أي استقرّ) وأمن سربه وسفَرَ براقعه لأنه غلب شهوات النفس ووساوسها وطرد هيئاتها المظلمة وتوابعها فهو صار مع أهله لأنه جمع الظاهر والباطن ولذلك لا تسقط عنه الإحدى عشر ركعة لا في سفر ولا في حضر لأنّ إقامتها فيها قوامُه وقيمومتُه والمحافظة على جوهرها سببُ نجاته وفوزه من قطع مسافات المفاوز لأنّ جملتها تجمع ستة وستين عدداً دلالة على إسم الجلالة ومعرفة اللّٰه لا تسقط أبداً ولذلك اقترنت الصلاة بعبادة اللّٰه عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا

﴿لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦) فالسفر عند العارفين عبارة عن توجه القلب إلى اللَّه تعالى فيبتدئ أولاً بهجران عادات النفس ومألوفاتها بالتزام التقوى وتثبيتها في مقام ظاهر الوجود بالإقرار والإجابة لما دعا وأمر، ولا يبالي بما انتقص من لوازم البدن والنفس لتأديته العبودية والشكر لمقام الحضور وعندها يسلك من قنطرة الحس إلى العقل ويكون قد نفى كل عائق وسور وجدار، وثانياً يكون بتوجهه إلى الحضرة الجامعة للظاهر والباطن قد حلّ عقدة تقييد الضدين، وتدبر معنى الأولية والأخرية والبداية والنهاية، فيكون ختمية سفره بالمسافرة لحضرة مقام الكمال بصفات الجمال والجلال.

ورد في كتب الفقه: تسقط في السفر نافلة الظهر والعصر ولا تسقط نافلة الفجر والمغرب والعشاء ولا صلاة الليل، والنكتة في ذلك سقوط نافلة النهار والقصر في رباعية النهار، وسئل أبو عبد اللَّه عليه السلام عن صلاة النافلة بالنهار في سفرٍ؟ فقال: لو صلحت النافلة في السفر تمّت الفريضة.

روى علي بن يقطين عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: يجب التقصير في مسيرة يوم.

روى أبو بصير أنه سأل الإمام الصادق عليه السلام: في كم يقصر الرجل؟ قال: في بياض يوم أو بريدين. (البريد أربعة فراسخ والفرسخ يقارب ستة كيلومترات).

وما جاء في الأخبار عن النبي أنه سئل عن كسوف أصاب قوماً وهم في سفر فلم يصلوا له؟ قال ينبغي لهم أن يصلوا له.

سئل الإمام الصادق عليه السلام عن صلاة الخوف وصلاة المسافر أتقصران جميعاً؟ قال: نعم وصلاة الخوف أحق بالتقصير من صلاة في السفر ليس فيها خوف.

وما ورد عن المعصومين: لا ينبغي للمسافر أن يصلي بمقيم ولا يأتمّ به وإن ائتمّ بمقيم انصرف من ركعتين.

الأعـداد الثابتـة

وهي الإحدى عشرة ركعة التي لا تسقط عن المصلي لا في سفر ولا في حضر ولا في عذر، لأنها تدل على معرفة الواحد: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: ١٦٣).

ومن دعاء زين العابدين (إلهي لك وحدانيةُ العدد).

فالأجزاء الخارجية تحصل من متباينين لأنها مركبات، وهذا بخلاف الأعداد المخصوصة في الصلاة فالإثنين واحدٌ وواحدٌ والثلاثة واحد وواحد وواحد، ولم يتخالفا إلّا بالواحد وكذلك قوامهما بالواحد وهكذا جمع الأعداد من الواحد لا بشرط.

﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ (الجن: من الآية ٢٨) وأي شيء أقرب إلى الشيء من علته لأنه تعالى أحصى كل شيء بقدرته وحياة كل شيء بقيوميته وأمسكه بقدرته، فمعنى أحصاه أي حفظه وجعل كلّ ذات غير الأخرى، فالفرقان واحد أحصى كل شيء: ﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ الكهف: من الآية ٤٩) وأحصى كل شيء عدداً بآياته وعلمه وعند الفلسفة الفيثاغورية: أصل الموجودات هي الأعداد وبعبارة أخرى أن الأعداد هي التي تكون جوهر الأشياء، ولذلك فالأشياء تحاكي الأعداد ولهذا صيغت على صورتها، قال أرسطو (إن الأشياء جوهرها العدد) فالمعدود الذي فيه إثنينية هو العقل بجهة نفسه وبارئه (أول ما خلق اللّه العقل) والذي فيه ثلاثية هو النفس، والذي فيه أربعية هو الطبيعة، والباري تعالى له وحدانية العدد على طريقة الإحاطة التي هي الأعداد.

ذكر أفلاطون وأرسطو: إن العدد (١) يناظر النقطة والعدد (٢) يناظر الخط والعدد (٣) يناظر السطح والعدد (٤) يناظر الجسم.

فإسم هو أنه من أعظم الأسماء ويجمع أحد عشر لأنه المدعو بيا النداء المحذوفة من اللَّهمّ إشارة إلى كونه الواحد الأحد، في الحديث (التوحيد الحق هو اللَّه، والقائم به رسول اللَّه، والحافظ له نحن والتابع فيه شيعتنا).

* * *

التسبيح

التسبيح مصدر سبّح إذا قال: سبحان اللّه، وبالتنزيه كقولك: سبحّت اللّه إذا نزّهته عما يقول الجاهلون وعطّل وجوده الجاحدون، وفلان يسبّح اللّه: أي يذكر اللّه بأسمائه وصفاته نحو سبحان اللّه: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ (الصافات: ١٤٣) أي من المصلين وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٠) أي يصلون أوقات الليل والنهار لأن التسبيح يأتي بمعنى الصلاة فريضة كانت أو نافلة، والتسبيح هو التنزيه عن ما لا يليق بكماله من صفات وصور كالشريك والشبيه والعجز والنقص، وتقول سبَحَ في كلامه وفي الأرض وهو من البعد والإذهاب في الأرض، فالنهار مأخوذ من النهر بمعنى السعة وهو من طلوع الشمس إلى غروب قرصها، وفي عرف الشرع من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس، وقد يُطلق فتقول يوم الخميس ونهار يوم الخميس وقد يُضاف الشيء إلى نفسه عند اختلاف اللفظين نحو (نور الذات) أو (قدرة اللّه) أو (دار الآخرة) وقد قدّم الليل على النهار لتقدم الروح على الجسد والذات على الصفات والغيب المعقول على المشاهد المحسوس، ولمّا سئل الإمام الرضا عليه السلام: النهار خلق قبل أم الليل فما عندك؟ فقال في حديث طويل (النهار خلق قبل الليل).

أما النكتة في تقديم الليل على النهار لأنّ الشهور غُررها الليالي.

من مناجاة زين العابدين عليه السلام (سبحانك أخشى خلقك لك أعلمهم بك وأخضعهم لك أعملهم بطاعتك وأهونهم عليك من أنت ترزقه وهو يعبد غيرَكَ) سبحانك أي تنزيهاً للّه عما لا يليق بشأنه من الأمور الظاهرة للعيان فما رأته العين الشحمية من بهاء وجمال يُحمل على التعظيم والتجلّة وما رأته من حدود ومماثلة يحمل التسبيح على التنزيه والتجريد عما لا يليق بحضرة جلاله المقدسة،

فالتسبيح أنه لا يخفى عليه شيء أو يهرب منه أو ينجو منه أو يفوته، فتمجيده سبحانه بهذه الأوصاف يستدعي تحلية النية وخلوص الطوية فتزداد الخشية ويشتدّ التذلل له تعالى فيقوى العمل ويبتعد عن الرياء لأن الكمال له وتنزيهه عن أحكام الأوهام وصفات الخيال عن أن يعرف بالحدود والحصر.

فالتسبيح تنزيه عن التوصيف وتقديس الذات عن التعريف، فالتسبيح تعظيم للمشهود والتمجيد تقديس للحاضر فتخرجه عن حدّي التشبيه والتعطيل لأنك تمجّد الحاضر والتسبيح لبيان الذات الموجودة غير مفقودة والتنزيه للصفات الذاتية التي لا تحد والتعظيم تسلب عنه التحديد لأنه الظاهر وليس في العالم أظهر منه وأبين حتى يُعرف به لأنه غير متلبس بالحدود والأبعاد والتعينات، في صلاة المعراج خاطب الحق عز وجل نبيه الكريم: (أنظرْ إلى عرشي) قال رسول الله ﷺ: فنظرت إلى عظمةٍ ذهبت لها نفسي وغشيَ عليَّ فأُلهمت أن قلتُ سبحان ربي العظيم وبحمده لعظم ما رأيت، فلما قلت ذلك تجلّى الغشي عني حتى قلتها سبعاً أُلهَم ذلك فرجعت إليَّ نفسي كما كانت.

فنور العرش هو التجلي بلا مرآة فلا يصمد لنوره شيءٌ وتحصل الغشية والصعق فلا يثبت له إلّا من كان منه ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأعراف: من الآية ١٤٣).

والسُبحان هو تنزُّه الباري عن أن يُدرَك بأبصار المحدَثين لأنّ ذلك من حدّ النقائص والموادّ، سواءٌ كانت المادة بمعنى المحلّ المفتقر إلى الحالّ في الوجود أو التنوع، كما في المادة بالنسبة للصورة، وتأتي المادة بمعنى المتعلَّق كالبدن بالنسبة للنفس، وبهذا لا يمكن للعقل تحليل الباري إلى شيء بل هو وجود صرف وإنّيّةٌ بحتة لأنهُ واجب الوجود، فظهر أن السبوح والسبحان هو الفرد الذي ليس كمثله شيء.

الحمد والشكر

حمد مقلوب مدح، فالحمد حركة قلبية كونية والمدح حركة لسانية لونية فالحمد نقيض الذمّ والفرق بين الحمد والشكر أنّ الشكر لا يكون إلّا ثناءً ليد أوليتها والشكر لا يصح إلّا على النعمة لأن الشكر يجري مجرى قضاء الدين فالإعتماد في الشكر على ما توجبه النعمة وفي الحمد على ما توجبه الحكمة فالحمدُ للّه على الإطلاق ، فالشاكر هو الذاكر بحق المنعم بالنعمة على جهة التعظيم ويجوز في صفة اللّه شاكر مجازاً ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: من الآية ١٥٨) والمراد من ذلك أنه يجازي على الطاعة جزاءَ الشاكرين على النعمة والحمد يكون شكراً وقد يكون ثناءً، فالثناء مديح مكرّر لأنه من ثنى، أما المدح فهو من التكبير والتعظيم للممدوح على الفضل، فمدَحَ أخو منح ومدَّ وندح وملح ومقلوب حمد، تمدّحت الأرض أي اتسعت، فالمديح يقوم على تعظيم الصفات.

صدر القرآن الكريم سورة الحمد (الفاتحة) تنبيهاً على أنّ النعم ابتدأت منه وتعود وتنتهي إليه ولهذا لا تجوز الصلاة بلا سورة الحمد ولا تُقبَل إلّا بقرائتها واجبة كانت أو مندوبة، قوله تعالى: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ (يونس: من الآية ١٠) فالأول التجلي والآخر الكشف فكانت دعواهم قيامهم باللّه في ظهور الكمال بصفتي الجمال والجلال فخُصّ الحمدُ منهم لأنه مجمل ومفصل الهوية المطلقة باعتبار تجلي نور الربوبية ولهذا افتتح أمرُ الدنيا واختتم أمرُ الآخرة بالحمد لنفسه، قال رجل بين يدي الجنيد: الحمد للّه، فقال له: أتمّها كما قال اللّه: رب العالمين، فقال الرجل: مَنْ (العالمين)؟ حتى نذكر مع الحق، فقال: قله يا أخي فإنّ المحدث إذا قورن به القديم لا يبقى له أثر.

ولهذا أشار الجنيد بقوله (إذا قورن الحادث بالقديم تلاشى).

ولمّا سئل أبو سعيد الخراز: بمَ عرفت اللّٰه؟ قال: عرفته بجمعه بين الضدين، من القدم والحدث والكمال والنقص لا بمطلق الأول والآخر والظاهر والباطن، لأن إطلاق الوجود لذات الحق اقتضى شأنه أن لا يشذّ عنه شيء، فافهم واللّٰه ورسوله أعلم.

قال النبي ﷺ: (إذا أنعم اللّٰه على عبده نعمةً فيقول العبد: الحمد للّٰه فيقول اللّٰه تعالى: انظروا إلى عبدي أعطيته ما لا قدرة له عليه فأعطاني ما لا قيمة له عندي).

وفي الحديث: (من لم يرضَ بقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر على نعمائي، فليخرج من أرضي وسمائي وليطلب رباً سواي).

وقد ورد: أن الشكر أنواع شكر باللسان وشكر بالقلب وشكر بجميع الجوارح على ما يليق بكل جارحةٍ، فشكر العينين غضهما عن محارم اللّٰه وعن عيوب الناس وشكر الأذنين التصامم عن عيوبهم وعمّا لا يحل سماعه، وشكر اليدين كفّهما عن أموال الناس، وشكر الرجلين كفهما عن المشي في المعصية، وشكر العقل معرفة مولاه، وشكر اللسان الذكر والثناء وشكر الأعضاء الخشية من اللّٰه تعالى وشكر النفس العبادة، وشكر الروح الخوف والرضا وشكر القلوب الصدق والوفاء.

أما الحمد فإنه أعم من الشكر، لأن الشكر هو الثناء على المنعم بما أولاك من النعمة، والحمد الثناء على الذات لصفاتها المحمودة، والحمد يتأتى من العارف وبهذا الحمد انتزع العارف من بئر جسده المظلم واشتراه من قيد سجن الدنيا ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (يوسف: من الآية ١٠٠) إن قلب العارف له جيران جواسيس يطلعون من حيث لا قِبَلَ لك

فيها وهم يُفشون أسرارك ويفضحون باطنك دون أن تعرف عنهم شيئاً وقد ذكرهم القرآن الكريم: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: ٢٧) وقال النبي ﷺ: (إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم).

فهل اطلع الإنسان على مداخله إلى القلب ولحظ الطرق المؤدية إليه، وتخريبه للبيت وقلبه.

عن يونس بن ظبيان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله ليدفع بمن يصلي من شيعتنا عمّن لا يصلي من شيعتنا ولو أجمعوا على ترك الصلاة لهلكوا، وإن الله ليدفع بمن يزكي من شيعتنا عمن لا يزكي ولو أجمعوا على ترك الزكاة لهلكوا، وإن الله ليدفع بمن يحج من شيعتنا عمن لا يحج ولو أجمعوا على ترك الحج لهلكوا وهو قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (البقرة: من الآية ٢٥١) فوالله ما نزلت إلّا فيكم ولا عنى بها غيركم.

في الحديث (أوحى الله عز وجل إلى موسى، يا موسى اشكرني حق شكري، فقال: يا ربي كيف أشكرك حق شكرك وليس من شكر أشكرك به إلّا وأنت أنعمت به عليّ، قال: يا موسى الآن شكرتني حين علمت أن ذلك منّي).

ولمّا قال الحق (يا موسى اشكرني حقّ الشكر) قال موسى عليه السلام: من يقدر على ذلك! قال: إذا رأيت النعمة منّي فقد شكرتني حق الشكر.

عن علي بن فضّال عن أبيه عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: السجدة بعد الفريضة شكراً لله عز وجل على ما وفق له العبد من أداء فرضه، وأدنى ما يجزي فيها من القول أن يقال: شكراً لله شكراً لله شكراً لله، ثلاث مرات، قلت فما معنى قوله شكراً لله؟ قال: يقول: هذه السجدة منّي شكراً لله على ما وفّقني له

من خدمته وأداء فرضه، والشكر موجب للزيادة، فإن كان في الصلاة تقصير لم يتمّ بالنوافل تمّ بهذه السجدة.

سجدة الشكر وتكون خارج الصلاة وهي أن العبد إذا حصل على أمرٍ يسرّه في دينه ودنياه سجد للّه سجدة شكرٍ لما أنعم اللّه عليه من ظاهر وباطنٍ وفيما أسرّه اللّه عز وجل في دينه ودنياه أو دفع عنه نقمة أوبلية أومصيبة وأيُّ نعمة بعد إقامة الحدود فيسجد عند ذلك شكراً للّه على إتمام النعم سجدة الشكر ليستدر البركات والرحمات فتفيض أنهار الإشراقات صابغةً بجلاء الصدور والبصائر بالكشف والزيادة من علم ومعرفة وفقه في دينه فأي ذلٍ وشكرٍ بين يدي اللّه عز وجل الذي هو رفعة وبسطة في الجسم والنفس فيتلقّى القبلة بوجهه ويسجد للّه جلّ اسمُه تذللاً وشكراً على النعم من الزيادة في الهداية.

فالشكرُ إظهارُ حق النعمة لقضاء حق المنعم كما أنّ الكفرُ تغطية النعمة لإبطال حق المنعم، فالشكر والحمد (الحمد للّه شكراً، والشكر له، فتجعل الشكر مصدراً؟ فلولا اجتماعهما في اللفظ لم يجتمعا في المعنى، قال سيبويه: فالحمد للّه شكراً أبلغ من قولك الحمد للّه حمداً لأن ذلك للتوكيد والأول للزيادة المعنوية وهو (أي أحمده في حال إظهار نعمه عليَّ).

الكعبة والقبلة

مرادفات القِبلة = مقصد وجهة واتجاه ومُتجه.

قال النبي ﷺ: قبلتي ما بين المشرق والمغرب.

استقبل القِبلة: جعلها تلقاء وجهه، والقبلة في الأصل للحالة التي عليها المستقبِلُ كالجِلسة للحالة التي عليها الجالس ثم خُصّت في العرف بجعلها إسماً للمكان الذي يستقبل ويتوجه إليه للصلاة، قال الرضا ﷺ (لا يزال الدين ما دامت الكعبة) وهذا معنى قوله تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ (المائدة: من الآية ٩٧) فمَنْ توجه للقبلة أي إستقبلها بوجهه لأن ذلك شرط في صحة الصلاة وقصد الإقبال على اللّه بالكلية والإدبار عمّا سواه قلباً ونفساً وسرّاً وجهراً وفي هذا الإستحضار الباطني والتوجّه يُشرق سرُّ التلبية الروحية المجردة واستجابة النفس للنداء لمظهر المنادي من مكانٍ قريب بلا مسافة ولا حجاب بالموافقة لقبول الظاهر بالدعوة بإفشاء الظهور التي أصلها المحبة لقوله في حديثه القدسي (كنتُ كنزاً فأحببتُ أن أعرف) فهذه المحبة هي التي كشفت المستور وأخرجت حمل الأثقال إلى لوح العيان فأزالت الغيبة والحجاب بالظهور وهمَ الكثرة وامتدت الأبعاد وارتفعت البينونة والضدية أن تدنو من حرمه إذ جمعت بين الوجوب والإمكان والفاعلية والقابلية فتمت دائرة الجهات تنطق بكعبة الوصول واختفى التمييز المكاني والتحيز الجهاتي بعين ما ظهر وهذا هو باطن التعين الأول في الجمعية الواحدية بقوله ﷺ (قبلتي ما بين المشرق والمغرب) لأن المشرق قبلة النصارى والمغرب قبلة اليهود، وما بينهما قبلة المسلمين فتكون الوسطية الكمالية الجامعة للبداية والنهاية ﴿زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا

﴿يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖ﴾ (النور: من الآية ٣٥) وما قبل الشروق غيب وما بعد الغروب غيبة فتكون صورة الكمال الجامعة هي الحقيقة المحمدية المشتهرة بسراج الوهج بالحضرة الواحدية الشاهدة بالوسطية على جميع المظاهر بتمام ظهورية الظاهر لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ﴾ (البقرة: من الآية ١٤٣) فمن كبّر وشهد على ما في باطنه فلا بدّ له أن يوصل الشهادة إلى القلب بكل رياضة ويكسر الأصنام ويحطم الأوثان المنحوتة بوسوسة الشياطين وبخنوسة النفس الأمارة في كعبة القلب فلا بدّ له حتى يتصل أن يجعلها جُذاذاً لا قيامة لها في حضرة القدس، أما ما دامت أصنام حب الدنيا وأحوالها وشؤونها تطوف في قلبه فلا يجد السالك مقصداً لأنها تشغله وتسليه عن الحضور.

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان في أول مبعثه يصلي إلى بيت المقدس جميع أيام مقامه بمكة وبعد هجرته إلى المدينة بأشهر، فعيرته اليهود فقالوا إنك تابعٌ لقبلتنا، فأحزنه ذلك فأنزل الله عز وجل وهو يقلب وجهه في السماء وينتظر الأمر ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ﴾ (البقرة: من الآية ١٤٤).

عن معاوية بن عمار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام متى صرف رسول الله إلى الكعبة؟ قال بعد رجوعه من بدر وكان يصلي في المدينة إلى البيت المقدس سبعة عشر شهراً ثم أعيد إلى الكعبة.

إنّ التوجه بحقيقته هو عبارة عن إلتفاتتك إلى كعبة الأسرار ولحظك قبلة حجب الأنوار ومصدر آناء الليل وأطراف النهار بصفة الإفتقار في باطنك فيثبت

وجهُ التوجه إلى معدن الحق، فتوجه الحق إلى الخلق هو تجليه بالفيض الجاري على كل كائن ومكوّن بسماوات الإمداد الساري (بالرسل والأنبياء والكتب والعقل) لتتم حكمة الوجوب بإيجاد كوامن الممكنات المنجذبة إلى علّتها التامة، فهذه المواطئة بالتوجه عبارة عن مطابقة ما في الذهن من القوة لما في الخارج ليثبت الفعل، كما أن اللسان هو الآلة المعبرة عن الضمير وكنون الإستبطان فتثبت العلقة بين المتوجِه والمتوجَه إليه بصحة الجهة، فالوُجهة والوِجهة هي إسم ظرف بمعنى المكان المتوجَه إليه في ذلك الموطن، وعند أرباب اللغة بمعنى التوجُّه وفعلها من إتجه وتوجّه.

وأما الإستقبال فهو صرف الوجه عن سائر الجهات إلى جهة بيت اللّه تعالى، كما صرّح النبي ﷺ وهو واقف على راحلته مخاطباً مكة (واللّه إنك لخير أرض اللّه وأحبها إلى اللّه ولولا إني أُخرجت منك ما خرجت) فأدركته رقةٌ فبكى، فأتاه جبريل وتلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ (القصص: من الآية ٨٥) فهل صرف الوجه تجاه بيت اللّه المعبود مطلوب ولا يكون صرف القلب عن سائر الأمور إلى اللّه مطلوب؟

فالتوجه إلى البيت (القبلة) بالصرف عن غيره شرط من شروط صحة الصلاة فكذلك وجه القلب بالفراغ عمّا سوى اللّه تعالى، بل هذه الظواهر مبادئ تحريكات للباطن وضبط للجوارح وتسكين لها عن حركاتها الخارجة التي تزاحم العقل في طريق ارتقاءه فالعقل يشيعها إلى المطلوب فهذا هو التوجه القلبي بتفريغه مما سوى اللّه عز وجل، قال الباقر ﷺ: لا تعاد الصلاة إلّا من خمسة: الطهور والوقت والقبلة والركوع والسجود، ثم قال: القراءة سنة والتشهد سنّة ولا تنقض السنّة الفريضة.

والوجه: كل مكان استقبلته بالمواجهة والمناظرة، وتحذف الواو فيقال: جهة مثل عِدَة من وعد، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ

وَجْهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ١١٥) أي جهته التي أمركم بالتوجه إليها، إنّ اللّه خلق الموجودات متوجهة بفطرتها إلى غايتها وجعل في كل شيء منها ميلاً وشوقاً طبيعياً أو إرادياً إلى طلب الكمال وهي الغاية التي لأجلها خلق وبها يتحقق سرّ الوجود، فمبدأ الكلّ هو بعينه غاية الغايات ﴿وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ (البقرة: من الآية ٢١٠) ويأتي الوجه بمعنى الباب الذي تتوجه إليه وتقصده لأنه المدخل الذي تتوصل به إلى الغاية، ويأتي بمعنى الواسطة التي بها يتحقق المراد وتنال الغاية لقوله تعالى: ﴿وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ (البقرة: من الآية ١٨٩) ومن دعاء الإمام السجادﷺ (وأتيتك من الأبواب التي أمرت أن تؤتى منها) وقد علمت أنّ كمال الإنسان منوط بمعرفة اللّه وطاعته وعبادته وهي غايته التي لأجلها خلق ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦) وهي وجهه الذي يوجب بقاءه الأخروي وسعادته السرمدية كما ترك الطاعة والعبادة يوجب الهلاك السرمدي، وتحصيل ذلك عن طريق سنة الرسول والإمام المعصوم وهذه الوجهة المعنوية التي ثبت تحققها أمر اللّه تعالى بطاعة نبيه ﷺ لقوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ (النساء: ٨٠) لقول الصادق ﷺ (من أتى اللّه بما أمر به من طاعة محمد فهو الوجهُ الذي لا يَهلِكُ).

فالآية المباركة ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (القصص: ٨٨) فسُمّي وجهُ اللّه تعالى لأنّ وجه الشيء هو ما يُعرف منه ويشاهد ويواجه، فالنبي ﷺ والملك والإمام كلها أسباب ووسائل بها تعرف اللّه فهي وجوه حق الذي نواجهه ونشاهده، فهذه الأبواب المفتّحة هي وجه اللّه الذي يؤتى منها. قال الباقر ﷺ: نحن المثاني التي أعطاها اللّه نبينا محمداً ونحن وجه اللّه نتقلّبُ في الأرض بين أظهركم ونحن عين اللّه في خلقه ويده المبسوطة بالرحمة على عباده عرَفَنا من عرفنا وجهلنا من جهلَنا.

في كتاب العلل: روي عن الصادق عليه السلام أنه سئل لِمَ سميت الكعبة كعبة؟ قال: لأنها مربعة، فقيل له: ولم صارت مربعة؟ قال: لأنها بحذاء البيت المعمور وهو مربع، فقيل له: ولم صار البيت المعمور مربعاً؟ قال: لأنه بحذاء العرش وهو مربع فقيل له: ولم صار العرش مربعاً؟ قال: لأن الكلمات التي بني عليها الإسلام أربع: سبحان اللّه والحمد للّه ولا إله إلّا اللّه واللّه أكبر.

فالتوحيد يقوم على الأربع كلمات فإذا ظهر بالمؤمن على طبق الشرع ومرضاة اللّه فأول ما يتلقى في القلب فينقدح فيه فيحمده وينزهه لأن شراشر الوجود مصداق لقوله (لا إله إلّا اللّه) فهذا التحقق بالكلمات الأربع فهي أسّ المعرفة وباب الوجود فحينئذٍ صحّ أن يقال: قلب المؤمن عرش الرحمن.

قال أمير المؤمنين عليه السلام إن العرش خلقه اللّه تبارك وتعالى من أنوار أربعة: نور أحمر منه احمرت الحمرة ونور أخضر منه اخضرت الخضرة ونور أصفر منه اصفرت الصفرة ونور أبيض منه ابيضّ البياض وهو العلم الذي حمله اللّه الحملة وذلك نور من نور عظمته.

الأذان

معنى الأذان في اللغة هو الإعلام بدخول الوقت لقول النبي ﷺ إذا حضرت الصلاة فليؤذّنْ لكم أحدُكم.

قال الصادق ؑ: لا يؤذن لصلاة حتى يدخل وقتها.

قال الصادق ؑ: لا أذان في نافلة.

قال الرسولﷺ: من ولد له مولود فليؤذّنْ في أُذنه اليُمنى وليُقمْ في اليسرى فإن ذلك عصمة من الشيطان.

عن أبي عبد اللّه ؑ قال: من السُنّة إذا أذّن الرجل أن يضع إصبعيه في أذنيه.

أي يضع المؤذن طرفي إصبعيه المسبحة في صماخ أذنيه.

عن أبي عبد اللّه ؑ قال لما أسري برسول اللّه ﷺ وحضرت الصلاة، أذّن جبريل، فلما قال: اَللّه أكبر اَللّه أكبر، قالت الملائكة: اَللّه أكبر اَللّه أكبر، فلما قال: أشهد أن لا إله إلّا اللّه، قالت الملائكة: خلع الأنداد، فلما قال: أشهد أنّ محمداً رسول اللّه، قالت الملائكة: نبي بعث، فلما قال: حيّ على الصلاة، قالت الملائكة: حثّ على عبادة ربه، فلما قال: حي على الفلاح، قالت الملائكة أفلح من اتبعه.

عن الإمام الرضا ؑ فان قال (قائل): اخبرني عن الأذان لم أمروا به؟ قيل: لعلل كثيرة، منها أن يكونَ تذكيراً للساهي وتنبيها للغافل وتعريفاً لمن جهل الوقت واشتغل عن الصلاة وليكون ذلك داعياً إلى عبادة الخالق مرغبا فيها مقراً له

بالتوحيد مجاهرا بالإيمان معلناً بالإسلام مؤذنا لمن نسيها وإنما يقال: مؤذن لأنه يؤذن بالصلاة.

فان قال (قائل): فلم بدأ فيه بالتكبير قبل التهليل؟ قيل لأنه أراد أن يبدأ بذكره واسمه، لأن اسم اللّه تعالى في التكبير في أول الحرف وفي التهليل اسم اللّه في آخر فبدء بالحرف الذي اسم اللّه في أوله لا في آخره.

فإن قال (قائل): فلم جعل مثنى مثنى؟ قيل لأن يكون مكرراً في آذان المستمعين مؤكداً عليهم إن سهى أحد عن الأول لم يسه عن الثاني ولأن الصلاة ركعتان ركعتان ولذلك جعل الآذان مثنى مثنى.

فإن قال (قائل): فلم جعل التكبير في أول الأذان أربعاً؟

قيل: لأن أول الأذان إنما غفلة وليس قبله كلام ينبه المستمع له، فجعل ذلك تنبيهاً للمستمعين لما بعده في الآذان.

فإن قال (قائل): فلم جعل بعد التكبير شهادتين؟

قيل: لأن أول الإيمان إنما هو التوحيد والإقرار للّه عز وجل بالوحدانية والثاني الإقرار للرسول بالرسالة وإن طاعتهما ومعرفتهما مقرونتان وإن أصل الإيمان إنما هو الشهادة، فجعل الشهادتين في الأذان كما جعل في سائر الحقوق شهادتين فإذا أقر للّه تعالى بالوحدانية والإقرار للرسول بالرسالة فقد أقر بجملة الإيمان، لأن أصل الإيمان إنما هو الإقرار باللّه وبرسوله.

فإن قال (قائل): فلم جعل بعد الشهادتين الدعاء إلى الصلاة؟

قيل لأن الأذان وضع لموضع الصلاة وإنما هو النداء إلى الصلاة فجعل النداء إلى الصلاة في وسط الأذان فقدم المؤذن قبلها أربعاً التكبيرتين والشهادتين وأخر بعدها أربعاً يدعو إلى الفلاح حثاً على البر والصلاة ثم دعا إلى خير العمل مرغبا فيها وفي عملها وفي أدائها ثم نادى بالتكبير والتهليل ليتم بعدها أربعاً كما

أتم قبلها أربعاً وليختم كلامه بذكر اللّٰه كما فتحه بذكر اللّٰه تعالى.

فان قال (قائل): فلم جعل آخرها التهليل ولم يجعل آخرها التكبير كما جعل في أولها التكبير؟ قيل: لأن التهليل اسم اللّٰه في آخره، فاحب اللّٰه تعالى أن يختم الكلام باسمه كما فتحه باسمه).

التكبيرات الأولية في الأذان كل واحدة لها إشارة إلى مقام، التكبيرة الأولى في مقام الذات التي لا توصف من جهة الخلق والثانية في مقام الصفة (الذي ليس لصفته حدٌّ محدود) أكبر من توصيف الواصفين والثالثة في توصيف الاسم لأنه هو المسمي ذاته فهو فوق التسمية والمسمّى والرابعة عن توصيف الفعل، فاللّٰه أكبر أن توصف ذاته أو صفاته أو أسماءه أو أفعاله فالتجليات بحسبها، لقول أمير المؤمنين ﷺ اللّٰه أجل من أن يدرك الواصفون قدر صفته التي هي موصوف بها وإنما يصفه الواصفون على قدرهم لا على قدر عظمته وجلاله تعالى اللّٰه عن أن يدرك الواصفون صفته علواً كبيراً ﴿سُبْحَانَ اللّٰه عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (المؤمنون: من الآية ٩١).

اللّٰه أكبر: اسم الجلالة للذات المقدسة الجامعة لذات الكمال، وأكبر من كل شيء بدون قصد المقارنة مع الآخرين لأن اللّٰه لا يمكن أن يقاس به شيء، فالجملة خبرية فالكِبَرُ للّٰه عز وجل بمعنى العظمة والقوة والسناء والعلو عن الإحاطة والإدراك فالكبير لا بمعنى الإمتداد والزيادة، فسلطان الكبرياء أكبر في العقول والقلوب ومن رأى في غير الحق مقارنة فالقلب يكون مريضاً وموقوذاً بالمقابلة من الشك والشرك، لقول الصادقﷺ: (إذا كبّرتَ فاستصغر ما بين الملا والثرى دون كبريائه فإن اللّٰه إذا اطلع على قلب العبد وهو يكبّر وفي قلبه عارض عن حقيقة تكبيره قال: يا كاذب أتخدعني وعزّتي وجلالي لأحرمنّك حلاوة ذكري ولأحجبنّك عن قربي والمسارة بمناجاتي).

يقول الصادق ﷺ: فإذا كبّرت فاستصغر في محضر كبرياء تلك الذات

المقدسة ما في الكون من الأرض إلى العرش لأن اللّه تبارك وتعالى إذا رأى عبداً يكبّر ولكن في قلبه علّة عن حقيقة التكبير (يعني أن قلبه لا يوافق ما يجري على لسانه) يقول: يا كاذب أتخدعني وعزتي وجلالي......

أشهد أن لا إله إلا اللّه: الشهادة هي الإقرار لما شهدت بالتوحيد له: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (آل عمران: ١٨) أي أنّ الصفة المرئية المشهود بالواحدية هي الحق بما عاينت بالوجود منه وعنيت بقدرة الإيجاد به.

فصيغة النفي (لا إله) فخبرها مقدّر ولكن بنفي اسمها لا يذكر خبرها لتضمّن السلب حقيقة الإثبات.

إلا اللّه بمعنى إثبات حضرة الذات الجامعة لصفة الكمال والجلال بلا ذكر صفة لعينية ما تجلى به الحق هو هو، فالقول (اللّه أحد) صيغة توحيد وتجريد، فتكرار الشهادة لأجل تمكين المبصرين بالمشهودية، فشهادة العيان تقرّها بيانية اللسان للطفها الساري عياناً والجاري في البواطن لطائفاً فتنبع قولاً وفعلاً.

أشهد أن محمدا رسول اللّه: أي أنّ محمدا له الشهادة الثانية لأنه الآية الكاشفة لأسرار الوجود وله أعلى منزلة عند مولاه وهو محمود بمولاه وهو غاية مولاه بالرسالة النيّرة التي هي من أجل الإسلام الذي يحفظ الحقوق من مال وفرج ودماء، ﴿يَٰأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (الأحزاب: ٤٥).

ورد في تفسير العياشي، قال أبو عبد اللّه ﷺ: إن رسول اللّه كان نائما في ظل الكعبة فأتاه جبريل ومعه طاس فيه ماء من الجنة فأيقظه وأمره أن يغتسل به ثم وضع في محملٍ له ألف ألف لون من نور ثم صعد به حتى انتهى إلى أبواب السماء فلما رأته الملائكة نفرت عن أبواب السماء وقالت: إلهين إلهٌ في الأرض وإلهٌ في السماء! فأمر اللّه جبريل فقال: (اللّه أكبر اللّه أكبر) فتراجعت الملائكة

نحو أبواب السماء ففتحت السماء فقال: أشهد أن لا إله إلا اللّه فتراجعت الملائكة وعلمت أنه مخلوق ثم فتح الباب فدخل).

فمن الأداب أن يوصل شهادة عالم الغيب بشهادة الرسالة الختمية من الحق إلى القلب فيكون على معرفة بما تمّت دائرة الوجود من عالم الغيب وعالم الشهود متنعماً بالتكوين والتشريع والوجود، فصاحب الرسالة بشهادته هو الفيض والسراج المنير ولولا مقامه ما استفاد أحد من مقام الغيب ولما عبر الفيض الحق لأحدٍ من الموجودات ولما أشرق نور الهداية القدسية في عوالم الظاهر والباطن، فإذا دخلت عظمة الشرع والرسالة في القلوب تدخل أهمية الأحكام والسنن والفرائض وعندئذٍ يخضع القلب وسائر قواه ومملكته بتنفيذ الشريعة المقدسة بإقرار الشهادتين فعندئذ يصحبه المعراج الروحاني.

حي على الصلاة: حيَّ من الحياة ولذلك جاء الأمر لتنبعث النفوس بالإقبال واللزوم، لأنّ الحياة بإقامة الصلاة التي هي عمود الدين وفي الحديث (الصلاة معراج المؤمن) (الصلاة جنة كل تقي) فكلمة حيَّ معناها ائتوا الصلاة واقربوا منها وهلمّوا إليها وأقبِلوا إليها حتى يتحرك باعث الشوق فيتوجه العبد بكليته من النبيﷺ: إذا حضر وقت الصلاة نادى مناد من السماء: يا بني آدم! قوموا إلى نيرانكم التي أوقدتموها على ظهوركم فأطفئوها بصلاتكم.

حي على الفلاح: فلح الأرض شقها، وأفلح بمعنى فاز وارتقى بالتكامل المعنوي، والفلاح معناه النجاة والبقاء ولازمه الظفر والفوز وأي فلاح أعظم من اتباع سنة الرسول ﷺ كما ورد عن الإمام عليؑ: وأما حيَّ على خير العمل: أقبلوا إلى بقاء لا فناء معه، ونجاة لا هلاك معها وتعالوا إلى حياة لا موت معها وإلى نعيم لا نفاد له وإلى ملك لا زوال عنه وإلى سرور لا حزن معه وإلى أنس لا وحشة معه وإلى نور لا ظلمة معه،،، وعجلوا إلى سرور العقبى ونجاة الآخرة والأولى.

حي على خير العمل: فبالخير تتمّ دائرة صفة العلم الذي ثمرته العمل كما الإيمان غاية الإسلام، عن أبي عبد اللّه ﷺ قال: لما أسري برسول اللّه وحضرت الصلاة فأذّن جبريل، فلما قال: اللّه أكبر اللّه أكبر، قالت الملائكة: اللّه أكبر اللّه أكبر، فلما قال: أشهد أن لا إله إلّا اللّه، قالت الملائكة: خلع الأنداد، فلما قال: أشهد أن محمداً رسول اللّه، قالت الملائكة: نبي بعث، فلما قال: حيّ على الصلاة، قالت الملائكة: حثّ على عبادة ربه، فلما قال: حيّ على الفلاح، قالت الملائكة: أفلح من اتبعه.

فالأذان يبتدئ بالتكبير والتعظيم للّه عز وجل ويختم بكلمة التوحيد، فعالم الدنيا أعراض وتجسيم للأعمال ومن لبّى الأذان ترك العرض وتمسك بالجوهر قال بلال الحبشي للسائل: اكتب بسم اللّه الرحمن الرحيم سمعت رسول اللّه يقول: إذا كان يوم القيامة جمع اللّه الناس في صعيد واحد، بعث اللّه إلى المؤذنين ملائكة من نور ومعهم ألوية وأعلام من نور يقودون نجائب أزمّتها من زبرجد أخضر وخفائفها المسك الأذفر يركبها المؤذنون فيقومون عليها قياما تقودهم الملائكة ينادون بأعلى صوتهم بالأذان.

سئل الإمام علي زين العابدين ﷺ عن قول العامة في الأذان: إن السبب كان في رؤيا رآها رجل من الأنصار وهو عبد اللّه بن زيد فأخبر بها النبي فأمر النبي بالأذان، فقال علي زين العابدين ﷺ: الوحي ينزل على نبيكم وتزعمون أنه أخذ الأذان عن عبد اللّه بن زيد والأذان وجه دينكم فغضب لذلك وقال: بل سمعت أبي يقول: قال علي ﷺ: أهبط اللّه ملكاً حتى عرج برسول اللّه وذكر حديث الإسراء بطوله وقال فيه وبعث اللّه ملكاً لم يرَ مثله في السماء قبل ذلك الوقت ولا بعده فأذّن مثنى وأقام مثنى وذكر كيفية الأذان فقال جبريل للنبي يا محمد هكذا أذّن للصلوات، فأنكر زين العابدين قول من قال من العامة إن الأذان كان سببه ابتدائه رؤيا رآها رجل من الأنصار.

وبهذه الأحاديث الصحيحة يتبين أنّ الأذان شرع بالوحي على رسول اللهﷺ لأن الأحكام الشرعية مستفادة من الوحي، ففي الحديث المعتبر عن الإمام الصادق عليه السلام قال: لما هبط جبريل بالأذان على رسول اللّه ﷺ كان رأسه في حجر علي فأذّن جبريل وأقام فلما انتبه رسول اللّه قال يا علي سمعتُ؟ قال: نعم، قال حفظت؟ قال نعم، قال ادعُ لي بلالاً أعلمه فدعا علي بلالاً فعلّمه.

عن اسماعيل الجعفي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: الأذان والإقامة خمسة وثلاثون حرفاً، فعدّ ذلك بيده واحداً واحداً، الأذان ثمانية عشر حرفاً والإقامة سبعة عشر حرفاً.

الإقامة

أقام إقامةً الصلاة: أدام عليها، وأقام الصلاة أظهرها، وأقام الصلاة أتمّها. ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ (الانبياء: من الآية ٧٣).

عبارة عن تعديل أركانها وحفظها من أن يقع فيها زيغ في أفعالها: ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ (الكهف: ٢) فالقيّم هو المستقيم المعتدل فالقيّم المصدّق الذي ينفي الباطل، ويقوّم كل ما يقوم به فلولا قيامه ما قام شيء في الوجود.

وبمعنى آخر: إقامتها عبارة عن التشمير لأدائها من غير فتور ولا كسل ولا توانٍ، من قولهم: قام بالأمر إذا جدَّ فيه وتجلّد، وضدّه: قعد فيه وتقاعد، قال تعالى: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ (طه: ١٤) وحقيقة الذكر هو إتصال الذاكر بحضرة المذكور، فيمحو عن نفسه آصار الحدود وكثافة حجب الأمكنة والأسداد ويتخلص من جميع القيود فترتفع بالمعرفة الحجب ويقف في مرتبة الفناء بحيث قام الجوهر بمولاه الحيّ القيوم فتظهر صفات اللّٰه عليه وحججه لقول الإمام الصادق ﷺ (نحن مظاهر اللّٰه فيكم).

الإقامة هي الإعلام بقيام الصلاة ويشترط إتصالها بالصلاة.

ويقال أقام الصلاة أي إقامتها بما لها من الصورة الجلية من حدود وشرائط وبما لها من الصورة المعنوية التي عبّر عنها (الصلاة معراج المؤمن، وقربان كل تقي) وقد ورد (أن الذاكر للّٰه فهو في الصلاة) فهذا الشخص حينئذٍ فهو في الصلاة دائماً وهذا الشخص هو الذي يشتاق دوماً إلى إقامة الصلاة القائمة بالبدن صورةً، والصلاة لا تُعرف إلّا بالولاية لأنها تحقق لمقيمها الإتصال الظاهري

برقيقة الروحانية التي هي من رزق اللّٰه، عن أبي حمزة الثمالي قال: قال لنا زين العابدين ﵇: أي البقاع أفضل؟ فقلت: اللّٰه ورسوله أعلم، فقال: إن أفضل البقاع ما بين الركن والمقام ولو أن رجلاً عمّر ما عمّر نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يصوم النهار ويقوم الليل في ذلك الموضع ثم لقي اللّٰه بغير ولايتنا لم ينفعه ذلك شيئاً).

قال أمير المؤمنين ﵇ لسلمان: فمن أقام الولاية فقد أقام الصلاة.

فالإقامة هي الظهور يقال أقام الدين أي نصره وأظهره على أعدائه ولها محلّ فهو في المستقرّ الفكري والروحي لكل إنسان وآخرها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ (الكهف: ١٠٧) فهي ممتدة زماناً ومكاناً بالنور المحمدي إلى العالم اللامتناهي فلا بدء له ولا نهاية فحدّها عدم الحدّ لكونها صلاة.

عن الباقر ﵇: أما لو أن رجلاً قام ليله وصام نهاره وتصدّق بجميع ماله وحجّ دهره ولم يعرف ولاية وليّ اللّٰه فيواليه فتكون جميع أعماله بدلالته إليه ما كان له على اللّٰه حق في ثوابه وما كان من أهل الإيمان.

(في كتاب الإحتجاج) حج هشام بن عبد الملك ومعه نافع مولى عمر بن الخطاب، ولمّا رأى الإمام الباقر ﵇ فسأله عدة مسائل ثم تلا ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الإسراء: ١) كان من الآيات التي أراها محمداً حيث أسرى به إلى بيت المقدس أنه حشر اللّٰه الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين ثم أمر جبريل فأذّن شفعاً وأقام شفعاً وقال في أذانه (حي على خير العمل) ثم تقدم محمد ﷺ فصلّى بهم جميعاً.

وتأتي الإقامة فرادى وإذا أقيمت مثنى فهي عبارة عن اثنين اثنين فيكون عدد جملتها سبع عشرة ومعنى كل تثنية منها معنى للفظ المؤكد المكرر ظهوره لذلك

المظهرين تأكيدٌ على الجوهر فالإقامة مثنى مثنى تكرير لصورة اللفظ لا للمعنى وفي ذلك سرٌ مطوي في التجليات، في (الوسائل) عن معاوية بن وهب عن أبي عبد اللّه ﷺ قال: الأذان مثنى مثنى والإقامة واحدة.

في الهداية الكبرى: قال الحسن العسكري: إن اللّه أوحى إلى جدي رسول اللّه ﷺ إني قد خصصتك وعلياً وحججي منه ليوم القيامة وشيعتكم: صلاة الخمس والتختم باليمين وتعفير الجبين والأذان والإقامة مثنى مثنى وحي على خير العمل والجهر في بسم اللّه الرحمن الرحيم،،،،،.

وفي تفسير فرات الكوفي ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ (النجم: ٩) قال حدثنا جعفر بن أحمد معنعناً عن عباد بن صهيب عن جعفر بن محمد عن أبيه علي بن الحسين عن فاطمة عليهم السلام قالت: قال رسول اللّه ﷺ: لما عرج بي إلى السماء فصرتُ إلى سدرة المنتهى (فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى) فرأيته بقلبي ولم أرَه بعيني سمعتُ الأذان مثنى مثنى والإقامة وتراً وتراً، وسمعت منادياً ينادي: يا ملائكتي وسكان سماواتي وأرضي وحملة عرشي اشهدوا أني أنا اللّه لا إله إلّا أنا وحدي لا شريك لي، قالوا شهدنا وأقررنا، قال اشهدوا يا ملائكتي وسكان سماواتي وأرضي وحملة عرشي بأن محمداً عبدي ورسولي قالوا شهدنا وأقررنا، قال: اشهدوا يا ملائكتي وسكان سماواتي وأرضي وحملة عرشي بأن علياً وليّ ورسولي وولي المؤمنين، قالوا: شهدنا وأقررنا.

أما الثابت عند العلماء فهي فرادى لبسط الكشوف كما ورد وتراً وتراً، فتكون جملة أركانها تسعا فالمثنى من التثنية لعالم السماء والأرض وهو التكرار للتأكيد، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ (الحجر: ٨٧) فالقرآن هو العلم الإجمالي والمقام الجمعي وهو النبوة، والمثاني هي الفاتحة لأنها تُثنّى في كل صلاة، وورد أنها سميت مثاني لأنها نزلت على رسول اللّه ﷺ مرتين: مرة بمكة ومرة بالمدينة وكان لرسول اللّه ﷺ بكل مرة نزلت منها فهمٌ

آخر، وفي الحقيقة فالإقامة هي هدية للأمة جاء بها النور المعنوي المشرق المفيض بحر نعمه فإذا استقرت الصلاة في القلب وتمكن بالتكرار فيرتقي السالك من المحلّ بقدمي الظاهر والمظهر برجوة الحضرة لتؤيده بمقام القرب بعودة ما منه بدا: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ (الأعراف: ٢٩).

القيـام

هو الوقوف مع إسبال اليدين وخشوع في البصر وكأنك بين يدي اللّه في وقت القيامة وهول المطلع عند التعرض للحساب ليرفع الميزان، وإذا علم العبد ذلك فيسيطر عليه الخضوع والذلة فتخشع جوارحه وتسكن أطرافه، وهذا الإستشعار بهذه الوقفة يتروّض المؤمن فيداوم على هذه الحالة فيأمن من مزلقة السهو والنسيان لأن الإستقامة الحقيقية أن لا يميل إلى الأضداد في الأخلاق والعادات فإذا استوى نظره إلى رؤية المتجلي بالنور فيصير من الأحرار وذلك مقام الحرية.

قال زين العابدين عليه السلام (وأما حق الصلاة فأن تعلم أنها وفادة إلى اللّه وإنك فيها قائم بين يدي اللّه فإذا علمت ذلك كنت خليقاً أن تقوم فيها مقام العبد الذليل الراغب الراهب الخائف الراجي المسكين المتضرع المعظم مقام من يقوم بين بالسكينة والوقار وخشوع الأطراف ولين الجناح وحسن المناجاة له في نفسه والطلب إليه في فكاك رقبته التي أحاطت بها خطيئته واستهلكتها ذنوبه ولا قوة إلّا باللّه).

فدوام القيام هو تنبيه على إدامة القلب ليستشعر بجلال الحضرة من مخافة اللّه عز وجل بأنه حاضر ظاهر، فالقيام في الصلاة هو إقامتك نفسك في الحضرة مستشعراً بأنك لا تملك لها نفعاً ولا ضرّاً ولا حياةً ولا موتاً مرسلاً يديك غيرَ متحرك ولا مباين لاستقامة قيامتك كما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (إن اللّه مقبل على العبد ما لم يلتفت) فهذا الإنضباط بالقيام إشارة إلى توحيد الأفعال فالعبد يحرس سرّه وظاهرَه عن الإلتفات إلى غير الصلاة فإن التفت إلى غيرها فذكرُه باطلاع

المولى على قلبه يقبح لديه التهاون بالمناجي مع الغفلة فيعود إلى التيقظ ولزوم الخشوع فيُقيم الحراسة المشدّدة على باطنه وظاهره، في الحديث (إن العبد إذا قام إلى الصلاة فإنه بين يدي الرحمن، فإذا التفت قال له الربُّ: إلى من تلتفتُ؟ إلى من هو خيرٌ لك مني؟ ابنُ آدمَ، أقبِلْ إليَّ فأنا خيرٌ لك ممّن تلتفتُ إليه). وقد رأى النبي ﷺ مصلياً يعبث بلحيته فقال: ما هذا! لو خشع قلبه لخشعت جوارحه فإن الرعية بحكم الراعي).

عن أبان بن تغلب قال: قلت لأبي عبد اللّه ﷺ إني رأيت علياً بن الحسين إذا قام إلى الصلاة غشي لونه لون آخر، فقال لي واللّه إن علياً بن الحسين كان يعرف الذي يقوم بين يديه).

قيل لموسى بن جعفر ﷺ إن الناس أفسدوا عليك الصلاة بممرهم بين يديك، فقال: إن الذي أصلي له أقرب إليَّ من الذي يمشي بين يدي.

عن الإمام الرضا ﷺ (فإذا أردت أن تقوم إلى الصلاة فلا تقم إليها متكاسلا ولا متناعسا ولا مستعجلا ولا متلاهيا ولكن تأتيها على السكون والوقار والتؤدة وعليك الخشوع والخضوع متواضعاً للّه عز وجل متخاشعاً عليك الخشية وسيماء الخوف راجياً خائفاً بالطمأنينة على الوجل والحذر، فقف بين يديه كالعبد الآبق المذنب بين يدي مولاه فصف قدميك وانصب نفسك ولا تلتفت يميناً وشمالاً وتحسب كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك).

فهذه المبادئ كونها تفعل وتنفعل بها جبلّة النفس الطيبة بالقابلية والتفكر والتدبر فلا تكون قراءتها لقلقة على اللسان فهي لذة نفسية وجذبة روحية لتحصل السعادة فهي قبل أن تُسمى صفة للقائم بها فهي جندي مسلح وحارس أمينٌ على غنم المملكة الروحية ونعاج النفس على أرض بسيطة بالطبيعة المظلمة لتُضيئها بنور الحق: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ (ابراهيم: ٤٨) فمن لم تتبدّل أرضه بنور الحق فقد غشيته الظلمات والوحشة

والعذاب، فتنحجب قواه الظاهرة والباطنة بالشقاوة والغرور فلا معنى للشريعة ولا حقيقة لها سوى هذه الصورة والقشرة فهؤلاء يطفئون نور الفطرة والولاية ويسدلون حجب التقاليد والعادات والعوارض ولا يهتمون إلّا بحدود شهواتهم وبطونهم فيدورون في دار الشهوات فتتحول نفوسهم إلى قطاع طرق بسبب جهلهم وقصورهم الذهني، قال النبي ﷺ: (اللّهم أصلحْ الراعي والرعية) فالراعي القلب والرعية الحواس الباطنة والظاهرة وهو أصل في النجاة وبركته تعود إلى النفس بتطهيرها من لطخات القبح وعادات السوء، ففي صلاح الراعي وعدله تنعكس الصلوحية على الرعية لأن الناس على دين ملوكها والأدنى يكتسب من الأعلى ويؤثّر فيه، لقول الإمام علي ﷺ: (فليست تصلح الرعية إلّا بصلاح الولاة ولا تصلح الولاةُ إلّا باستقامة الرعية) لقوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر: من الآية ٩) تبيّن الآية أنّ المرء في الأصل مجبول على حبِّ الصفات المكمّلة للنفس والطيبة كالإيثار والسخاء وأما الصفات الذميمة كالأنانية والتكبّر والغفلة والبخل فهي عرضية وممقوتة ولكن التخلص منها عند المؤمن يحتاج إلى رياضة وصبرٍ فعند التلفت إلى الغير فقد يحتاج إلى ذكر اللّه والإستعانة كما عند فقد المال يجب أن يتحلى المؤمن بالقناعة ويتطهر من لجاجة الحرص واللّهفة على العرضيات والزوائل لأن مكارم الأخلاق ومحاسن الصفات التي يقتضيها العقل وحثّ عليها الشرع منها التواضع والذكر والكرم والسخاوة، وهذا لا يتوقف على الجانب المادي المأموري بل النفسي أولى لأنه الأصل الآمري وقيّوم الصفات.

كما ورد عن أحد العارفين: فقُمْ بين يديه قيام عبد ذليل بين يدي ملك عظيم من ملوك الزمان فإنه تهدأ أطرافه وتخشع جوارحه وتسكن جميع أجزائه خيفةَ سطوته وغضبه، وإذا أحسست من نفسك بتماسك جوارحك هدوء أطرافك عند من تريد أن يعرفك بالصلاح وهو عاجز مسكين مثلك فعاتب نفسك وقل:

إنك تدعي معرفة اللّه وحبّه أفلا تستحيَنَّ في استجرائك عليه مع توقيرك عبداً عاجزاً من عباده، وتخشى الناس ولا تخشى معبودك وهو أحق أن تخشاه.

سئل النبي ﷺ كيف الحياء من اللّه تعالى؟ فقال: تستحي منه كما تستحي من رجل صالح من قومك.

في القيام يجب أن يتذكر السالك بباطن فكره حقيقة الوقوف بين يدي الحق أثناء الدعوة عند إشراق الفيض بتجليه المقدس فيتصل بباطن لبّه نسبة قيّومية الحق التي بها تقويم الخلق بظهور الحق. فإذا تمكن من ذلك الحضور وامتلأت عينُه من نور الناظر فقد أجاب الدعوة بالتوفيق، كما أنّ قيام العبد في محضر الحق ليعلم أنّ العوالم كلها في محضر الربوبية فيحتسب هو الوقوف بكونه متهيئاً للأمر ونظرُه إلى محل السجود وهو التراب وموطن النشأة الأصلية مع خضوع الرقبة ونكس الرأس تنبيهاً على إلزام القلب التواضع والتذلل والتبري من التكبّر والترؤس وفي هذا إشارة إلى الفقر والذلّ والفناء في فناء محل العزّ والكبرياء بين يديه عز وجل، ولهذا عبّر العارفون عن حركة القيام بمقام الفعل أو الحرف وحركة الركوع بمقام الصفة وحركة السجود بمقام الاسم.

عن أبي حمزة عن أبي جعفر ؑ في قوله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (آل عمران: من الآية ١٩١) قال: الصحيح يصلي قائماً وقعوداً، والمريض يصلي جالساً، وعلى جنوبهم الذي يكون أضعف من المريض الذي يصلي جالساً.

وعند القيام من السجود حين تتوكأ على يمينك للنهوض تقول (بحول اللّه وقوته أقوم وأقعد وأركع وأسجد) فالحول عبارة عن الحركة التي بها ينتقل من حالةٍ إلى أخرى والقوة عبارة عن القدرة التي تمكّن بها النقلة والوضع، غير مالك لنفسك نفعاً ولا ضرّاً ولا حياة ولا موتاً فإذا لم يستشعر المصلي بذلك فهو ضعف يقيني وسهو في نفسه وسببه غرور ومرض استولى عليه من وهم ووسواس

نقصه وتقصيره في طلب العلم والتفقه، كما أنّ القيام عبارة عن الثبات لقول الصادق ﷺ (أخبتَ فثبتَ وهو واقف بين اليأس والطمع والصبر والجزع كأنّ الوعد له صنع والوعيد به وقع) وهذا من أسرار القيام التي تدل على الإستقامة في الصراط المستقيم ولا يميل إلى الأضداد البتة، وذلك مقام الحرية في درجة السلوك لتنطبع في العبد صفة القيومية لكونه قائماً بها واللّٰه الحي القيوم القائم على كل نفسٍ، وليس للعبد قيام إلّا بخدمة مولاه لتتمّ له صفة العبودية، لقول العارف الكامل:

إلى الرحمن نسبة كل عبدٍ ظهورُ صفاته الحسنى عليه
ويعرفُ ما لـه في الغيب منه برؤية ما لمولاه لديه

فالقيام فرضٌ على المصلي في جميع الصلوات بشرط أن يكون قادراً ويسقط إن كان عاجزاً فيصلي على الناحية التي يقدر عليها، وبهذا يتبين أن القيام ركنٌ وأشدُّه حالَ تكبيرة الإحرام لأنه الصورة الحقيقية التي منها يرتسم الإتصال بالركوع، وتبطل الصلاة عند الإخلال به في الصلاة عمداً دون السهو ولذلك يجب القيام والإعتدال به والإنتصاب بحسب حال المصلي وبحال تمايل أو انحنى بصورة تخرج عن الإستقامة يبطل ولا تصح الصلاة، فلا يجوز الإستناد مع القدرة على القيام.

كما أن القيام عند العارفين هو قيمومة الروح بالمشاهدة فتغلب صفات الجسم، والقعود هو مقام القلب الكاشف لما هو فيه من حالات النفس وتقلباتها على الجنوب فيجاهدها باليقين.

التوجه

يأتي التوجه بمعنى الحضور إلى المصلى عند وقت الصلاة أو سماع الأذان وهو أول وقت الحضور والخروج عن شغل الدنيا والصعود في مراقي تلبية الدعوة لأنّ الأذان خرق لجدار المحسوسات الفانية بالتكبير والتهليل والشهادتين.

كما يكون التوجه هو صرف وجه المصلي عند الدخول في الصلاة إلى جهة البيت الحرام في مكة والمسألة له: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ (البقرة: من الآية ١٤٨) فالشرط أن يستقبل الجهة التي محلّها الكعبة حيث النور خرج منها ثم يأتي بدعاء التوجيه وهو الإفتتاح بالدعاء لأنه موطن للصلاة، وفي هذا التوجه يقطع المصلي أي التفاتة لغير الجهة المنصوبة للطاعة وذلك أثناء الصلاة حتى الخروج منها، وفي نفس التوجه ينصرف القلب بسرّه إلى نور مولاه ويقف عند أمره طائعاً، كما أنّ الإلتفاتة إلى غير الجهة المطلوبة تبطل الصلاة، قال الصادق عليه السلام: لكل شيء وجهٌ ووجهُ دينكم الصلاة.

عن الباقر عليه السلام قال: لا تلتفت عن القبلة في صلاتك فتفسد عليك، فإن اللّه عز وجل قال لنبيه: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ (البقرة: من الآية ١٤٤) واخشع ببصرك ولا ترفعه إلى السماء وليكن نظرك إلى موضع سجودك.

تكبيرة الإحرام

قال النبي ﷺ: مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم.

وقال النبي ﷺ: لكل شيء أنف وأنف الصلاة التكبير.

قال الجنيد: لكل شيءٍ صفوة وصفوةُ الصلاة التكبيرةُ الأولى، وإنما كانت التكبيرة الأولى صفوة لأنها موضع النية وأول الصلاة.

يرفع المصلي يديه عند تكبيرة الإحرام وعند كل تكبير لركوع وسجود واستواء وقيام ، حتى تحاذي يداه أذُنيه مع نشر الكف حذوَ أذنيه وفسح بين السبابة والإبهام وتحاذي إبهاماه شحمتي أُذُنيه وبطونُ الراحتين إلى السماء مع البسط، روى ابن أبي شيبة عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: (لا يجاوز أذنيه بيديه في الإفتتاح). عن منصور بن حازم قال: رأيت أبا عبد اللّه الصادق عليه السلام: افتتح الصلاة فرفع يديه حيال وجهه واستقبل القبلة ببطن كفّيه.

في رفع اليدين إشارة إلى أنّ القدرة والإقتدار للّه عز وجل والرفع خلوّهما عن الإقتدار والإقرار بعدم الملك لنفسه.

فإذا نطق اللسان بالتكبير فيجب على القلب أن يقيم الكبرياء لأمره تعالى لأنّ العبادة على حرفٍ دون موافقة القلب فهي شهادة كاذبة فلذلك يتدارك المسلم ربه بالإستغفار والإعتراف بالذنب ليحسن ظنه باللّه تعالى.

ولذلك فتكبيرة الإحرام من قيامٍ ركنٌ من بعد النيّة ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ (المدثر: ٣) فلفظة فكبّر فعل أمر وكل أمر للوجوب، فصيغة تكبيرة الإحرام (اللّه أكبر) فلا يجوز أن تقول (اللّه أو أكبر) لا بد من الصيغة الكاملة بلا زيادة حرف ولا تنقيص ولا تستبدلها بقول (سبحان اللّه) أو (الرحمن أكبر) أو (اللّه الأكبر أو اللّه أعظم)

أو اللّه كبير،،، الخ، فيجب الإتيان بها على ماهيتها مادة وهيئةً وتُسمّى تكبيرة الإحرام بتكبيرة المنع لأنه يمنع على العبد التفكر بغير ذكر اللّه في حرم الكبرياء وتمنع الأشياء من أن تشارك في هذه الكبرياء لأنه عز وجل أكبر من كل شيء

(اللّه أكبر) فهو أكبر من أن يحصل لأحدٍ ما وجود إلّا منه وبه وله وإليه، إذ وجوده لذاته ووجود غيره منه فهو كلُّ الوجود وهو الوجود كلُّه فهو أكبر من أن يكون لغيره وجود كماله لينال كماله.

ولأنّ هذه التكبيرة شرف للدخول إلى منازل القراءة الكاشفة لمنازل الغيب والشهادة التي تخرج عن لسان المترجم لبواطن الجنان فتكون القراءة مرآة تكشف عما وراء البصر، كما أنّ التكبير رشحة من المستهل بالكبرياء سارية بمفاتيحها إلى التعظيم من أنه أكبر من أن يُدرك بالنظر وأن يوصف على لسان العباد أو تترجم أسراره المقدسة في بيوت الغيب المقدسة لغات اللسان فالتكبير للقراءة غير التكبير للركوع وغير التكبير للسجود ولكلٍ مقامه وإشارته عند العارفين ورفع اليدين فيه إقرار بالأسماء كلها لك وإشارة إلى رفع الصفات المحدثة والعلو عن المشابهة.

سئل أبو سعيد الخراز رحمه اللّه تعالى: كيف الدخول في الصلاة؟ فقال: هو أن تقبل على اللّه تعالى إقبالك عليه يوم القيامة ووقوفك بين يد اللّه ليس بينك وبينه ترجمان وهو مقبل عليك وأنت تناجيه وتعلم بين يدي من أنت واقف فإنه الملك العظيم.

ولما سئل: كيف تكبّر التكبيرة الأولى؟ قال: ينبغي إذا قلت اللّه أكبر أن يكون مصحوبك في اللّه: التعظيم مع الألف والهيبة مع اللام والمراقبة والقرب مع الهاء.

القــراءة

﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ (القيامة: ١٨) وقال النبي ﷺ (لا صلاة إلّا بقراءة) وقال النبي ﷺ (لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب) ولهذا يجب قراءة الفاتحة في كل صلاة وفي كل النوافل لأنّ الفاتحة واجبة في جميع الركعات، فالقراءة لتستقر تهيامة النفس بالنظر لوجه المولى فيقرّ اللسان لطمأنينة القلب بالإجابة المستقرة عنده في عمقه، ولذلك فاللسان ترجمان القلب والواسطة الموصلة إلى الشهادة بعد الخروج من الكنوز الدفينة إلى لغة الرموز المبينة بالغُلُف الكونية والجلباب البشري والحروف المظلمة ليتوجه إلى الحضرة من قلبه بقالبه ليتحقق ركن مظهرية العلم كما كان يحقق ركنه صاحب الوحي والناموس في القلب المحمدي الجامع للغات الوحي لأنه جوهرة الوجود واللبنة الأخيرة كما أنه الحافظ لأسماء وصفات الذات المقدسة: ﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف: من الآية ١٥٧) فالقراءة ترجمة للنور الكلي بكسوة الألفاظ وصورة الحروف المقطعة لينكشف للمسجونين في ظلمات الطبائع والمغلولين بأغلال الأماني وأحلام الآمال في حضيض النفس وضعف حيوانيتها المكتفية بغريزتها لتتحرر من قيود ظلامها وترتقي بفهمها واجتهادها إلى استلهام القراءة عسى أن تقترب نفس القارئ وتدنو من مقام سماع الدعوة فتحصل لها الطاعة وتلبية النداء فتحمل بيمينها الكتاب الجامع لأكوان المظاهر والظهور فتترجم المعرفة وتستذكر المواثيق والعهود المأخوذة عليها في مقامات حضور سور القرآن وآيات العيان: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ (الزخرف: ٨٤).

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ (يس: ١٣) فالقرية التي

ضرب بها المثل هي مكة (أم القرى) التي جمعت النبوة والإمامة وفيها مهبط الوحي، كما يجمع البدن انطوائية العالم الأكبر، والسرّ الجمعي المثلّث (الجسم والنفس والعقل) لقوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (الأنعام: ٩٢) وفي الحديث (يؤمّكم أقرأكم).

فالقراءة: ضمُّ الحروف والكلمات مع بعضها إلى بعض في الترتيل.

فقرأ أخو قرن وقرى وقرَّ وفي اللغة أن القُرْء الجمع لأنهم اعتبروا الجمع بين زمن الطُهر وزمن الحيض لاجتماع الدم في الرحم وقرأتُ الجاريةَ أي استبرأتُها بالقُرء.

قال ابن عباس (ما قرأت هذه الناقة جنيناً قط) أي لم يضطمّ رحمها على ولد، ومنهم له قولٌ آخر: لم تقرأ جنيناً، أي لم تُلقهِ.

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠٤).

﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ (القيامة: ١٨) والقراءة تقتضي الجمع أي جمع معنى الجملة في الفكر قبل قرائتها لكي يستقيم تحريك أواخر الكلم وهذا يفترض ارتباط المعاني بالألفاظ ومن هنا يأتي معنى قرن.

أما التلاوة تدل على العقل الحافظ للنظام الباطني والظاهري بحقيقة الذكر لأنه الصراط المنصوب للأبصار، ولما كان الجهر بالتلاوة لعلو الإسلام الباهر لكل الأديان وظاهرية شريعته الحاوية لكل أسرار الديانات وبهذا الجهر بالقراءة هو تشريف لمظاهر أركان الإسلام كما أنّ دعوته عامة.

القراءة في الصلاة لا تكون إلّا من قيام لوجود صفة القيومية في كل شيء وفي العبد صفة ناطقة لأنّ باللّٰه كل شيء يقوم ويصلح، فإشارة القيام إلى مقام توحيد الأفعال في العبادة والعبد ناظر إلى وحدة الفاعل المعبود عز وجل والمالك لكل شيء ولهذا فقراءة الفاتحة قوام الصلاة ولذلك لها أسماء منها: أمّ الكتاب والفاتحة والسبع المثاني والحمد، وفي عددها تنطوي أسرار الأرقام والأعداد

والحروف التي بها قيومية دور الوجود من حيث الجلاء والإستجلاء لحضرة التجلي في كون المظاهر الإلهية ومرايا سبحات الأنوار القدسية المشرقة على مقامات النبي المحمود ولواء الحمد في اليوم الموعود.

في فروق العسكري: الفرق بين التلاوة والقراءة، أن التلاوة لا تكون إلّا لكلمتين فصاعداً والقراءة تكون للكلمة الواحدة، يقال: قرأ فلان اسمه ولا يقال: تلا اسمه وذلك أن أصل التلاوة إتباع الشيء الشيء، يقال: تلاه إذا تبعه، فتكون التلاوة في الكلمات يتبع بعضها بعضاً ولا تكون في الكلمة الواحدة إذ لا يصحّ فيه التلو.

قال جابر بن عبد اللّه: يقرأ في الركعتين الأوليين بفاتحة الكتاب وسورة وفي الأخريين بفاتحة الكتاب فما فوق ذلك أو في أكثر من ذلك.

قال النبي ﷺ: (من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة).

القراءة العربية تقتضي الجمع أي جمع المعنى في الفكر قبل قرائتها لكي يستقيم التحريك واللفظ وبهذا يستقيم إرتباط المعاني بالألفاظ والظاهر بالباطن ولهذا قرأ تأتي بمعنى أخيه قرن، وقرا الأمر واقتراه أي تتبعه ونظر أمره، فالقراءة عند العارفين هي إظهار صفة الكمال والإفصاح المسفر بنعوت الجمال والجلال ومجمعها إسم ربّك صاحب الأسماء الحسنى والصفات العليا، فالقارئ الأول هو المبدع الأول للّه تعالى ومظهر لصفات الجمال والجلال بخلقه باب النفس الكلية التي هي العبد المسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى من هيولى العقل إلى المادة الكلية في سماء القدس التي فيها يقوم الناس لرب العالمين فيتم الركوع ويكمل السجود ويختم بالتسليم والقراءة سارية بمادة الكمالات.

ولما كان القرآن عبارة عن جملة الحقائق الإلهية ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ (يس: من الآية ١٢) وحكمه هو الحق ولهذا قال لنبيه (إقرأ) فكان الأمرُ بالنطق والصدع بنور الإسلام مظهراً التوحيد ضد الشرك ومجهراً بالدعوة وكشف الحق الذي يزهق باطل الجاهلية المتسترة خلف عادات بالية وتقاليد جامدة التي

تكمن العداء وتُبطن النفاق والجفاء لكل حضارة ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ (آل عمران من الآية ١٦٧) منهم من يتحرك لسانه بالحضور وقلبه غافل عن باطن الأمور أي مشغول بأغراض الدنيا وتكاثر المعاملات والمكاسب وفنّ التجارة وأسلوب الخصومات، ولسانٌ يتحرك يتعجله القلب بالتلفظ، ومنهم يترجم لسانه معاني قلبه وفرق بين أن يكون اللسان ترجمان القلب وبين أن يكون معلّم القلب، فبدءُ القراءة بباء المستعان لتبترك باسمه المنير وهي الفيض الجاري المفتتح الوجود بنعمة الإيجاد، فاللسان هو ألف مسطوح مستمد من القائم الجوهري كالقلم المفصّل بواسطة الكتابة جملة الحقائق والقراءة هي المداد المتنزل من سماء العلم إلى أرض النطق بالتلوين والتوصيف ليبلغ القارئ إلى موطن السعادة وصفات الكمال ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ٢) إنها القراءة كالنور الرابط بين المخلوق والخالق عز وجل لأنّ القرآن هو العروة الوثقى وبيان الهجرة لمن أراد الخروج من دار الغرور إلى دار السرور والخلود كما قال أمير المؤمنين ﵇: تعلموا القرآن فانه ربيع القلوب واستشفعوا بنوره فانه شفاء الصدور.

قال أمير المؤمنين ﵇: الفقيه من لا يترك القرآن رغبة عنه ويتوجه إلى غيره، ألاَ لا خير في علم ليس فيه تفهّم ولا خير في قراءة ليس فيها تدبّر ولا خير في عبادة ليس فيها تفقّه.

فالذي يتحرك لسانه بالقراءة للأجر والثواب فقط وقلبه غافل عن أسرار التدبر والقصود في الكتاب النوراني بل مشغول في أغراض الدنيا لتحصيلها بالمعاملات والخصومات ونحوها له من القراءة حسنُ الصوت وفنّ التجويد ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (الإسراء: ٨٢). في الحديث: (من قرأ القرآن وأراد به السمعة والوصول إلى الدنيا لقي الله ووجههُ عظم لا لحم فيه والقرآن يضرب على قفاه حتى يدخل النار ويسقط في النار مع الذين سقطوا).

الركوع والسجود

إن الوقوف بين يدي اللّه ومن انتهى إلى هذا المقام وهو في عالم الجسم بأبعاده الثلاثة الطول والعرض والعمق، فلما كان الركوع تسبيحاً للّه عز وجل المعظّم بأسمائه وصفاته من وراء قراءة الفاتحة وسورةٍ كاملة من قيام كان الخضوع والإنحناء طاعةً لكمال المشهود وتوحيداً لأفعاله الكلية وجلالية جماله البازغة من فجر الوجود ومن بعدُ يكون النزول يلطفُ إلى مقام الركوع حيث العالم الأوسط وهو كيان عالم النفس الكلية الذي هو حد الركوع بحقيقة الإنحناء في الصلاة باستواء الظهر الذي منه تخرج غرائب هذا العالم بعجائب الصور المثالية وهو ما ذكره رسول اللّه ﷺ (إنّ في الجنة سوقاً لا بيع فيه ولا شراء إلّا الصور فمن اشتهى صورة دخل فيها) ومنه إلى مقام السجود وهو عالم العقل.

فعالم العقل = كلمات وأسماء وقد نعته رسول اللّه ﷺ مشيراً إليه: إن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

عالم النفس = صور وهيئات.

عالم (الطبيعة) = الجسم والأشكال والهيئات الصورية المتغايرة بحروفها المنتظمة قراءتها قدداً وطرائقَ لقوله تعالى: ﴿قَالُواْ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ (البقرة: من الآية٢٥).

عالم الوقفة يكون عند الإختبار في تقرير المصير وقد يكون حبس الحركة لتصحيح ما قد تبقى والتأدب بما يحتاج إليه للدخول إلى مقام الإرتقاء.

ففي مقام الوقوف ينكشف المستور لأنه عالم السفور لأن وقف مقلوب فاق ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأعراف: من الآية ١٤٣)

فكانت آية الأفاق سماوية ولهذا يرفع رأسه إشارة لتعظيم آياتِ الظهور أي عالم شهود القيام وهو الإنتصاب المستقيم بعد الركوع تقول (سمعَ اللّه لمن حَمِدَهُ) كان الإطمئنان يُشعر بالإجابة وشمولية الرحمة فجرى مقام الحال على لسان عبده، فأجاب المطمئنون ربنا ولك الحمد، لما رأى المصلي من جمال المشاهدة في إقراره فصدّقه لاتصال الرؤية بمشاهدة الجمال القائم على كل نفس كما ورد في الحديث (علل الشرائع): ثم طأطئ يديك واجعلها على ركبتيك فانظر إلى عرشي، قال رسول اللّه ﷺ: فنظرتِ إلى عظمة ذهبت لها نفسي وغشي عليَّ فأُلهمت أن قلت سبحان ربي العظيم وبحمده لعظم ما رأيت، فلما قلت ذلك تجلى الغشي عني حتى قلتها سبعاً أُلهمني ذلك فرجعت إليّ نفسي كما كانت فمن أجل ذلك صار في الركوع سبحان ربي العظيم وبحمده.

كان التسبيح لعظيم ما رأى فنزّه ربَّه عن ما حواه النظر من الحدود اللامتناهية والصور لأنها لائقة بأهل المزاج والطبائع، فالتعظيم بسبحان ربي العظيم عن ما أدركته الأفهام فضلاً عن رؤية النظر مع حسن الإخلاص للّه عز وجل إشارة إلى سموّ نوره عن الجهات والأقطار المنفعلة بالإضافة لتجلياته وما أدركت الأفهام ولحظته الأبصار من مظاهر أنواع تلك الأنوار والأستار بالأضواء ولهذا كان مقام توحيد الأسماء والصفات.

والتسبيح في الركوع والسجود ثلاث مرات.

ورد عن ابن مسعود، إن النبي ﷺ قال: إذا ركع أحدكم فليقلْ ثلاث مرات سبحان ربي العظيم وذلك أدناه، وإذا سجد فليقل سبحان ربي الأعلى ثلاثاً وذلك أدناه.

قال أبو سعيد الخراز: إذا ركع فالأدب في ركوعه أن ينتصب ويدنو ويتدلى في ركوعه حتى لا يبقى منه مفصل إلّا وهو منتصب نحو العرش العظيم، ثم يعظم اللّه تعالى حتى لا يكون في قلبه شيء أعظم من اللّه ويصغر في نفسه حتى

يكون أقل من الهباء، وإذا رفع رأسه وحمد اللّٰه يعلم أنه سبحانه وتعالى يسمع ذلك.

السجود في اللغة: الخضوع والتطامن والإنحناء التام والميل في الحديث (الشمس تسجد تحت العرش) وهذا تشبيه للساجد حين يتلو الآيات فيكون الغروب هو التحت وفي الحديث (إذا غابت الشمس انتهت إلى بُطنان العرش فلم تزل ساجدة إلى الغد) ولهذا يجب الخشوع في الصلاة لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ (المؤمنون: ٢) أي يطأطئ المصلي رأسه وينظر إلى موضع سجوده ولهذا فرّق العلماء بين الخشوع والخضوع: الخشوع في البدن والبصر والصوت والخضوع في البدن وروي أن النبي ﷺ رأى رجلاً يعبث بلحيته في صلاته فقال: لو خشع قلبه خشعت جوارحه) قال الإمام علي عليه السلام (الخشوع أن لا يلتفت يميناً ولا شمالاً ولا يعرف من على يمينه وشماله).

ولذلك تجد التكبير برفع اليدين الباسطة أحرف الأنامل حذاء الأذنين في كل ركوع وسجود معظماً مستجيراً بعفوه ومتبعاً سنته في لباس التواضع والخشوع والتذلل، قال الصادق عليه السلام: لا يركع عبدٌ للّٰه على الحقيقة إلّا زيّنه اللّٰه بنور بهائه وأظلّه في ظلال كبريائه وكساه كسوة أصفيائه فالركوع أول والسجود ثان فمن أتى بمعنى الأول صلح للثاني وفي الركوع أدب وفي السجود قرب ومن لا يحسن الأدب لا يصلح للقرب، فاركع ركوع خاضعٍ للّٰه بقلب متذلل وجِلٍ تحت سلطانه خافض له جوارحه خائف حزن على ما يفوته من فائدة الراكعين.

(زيّنوا أعيادكم بالتكبير) فالتكبير زينة لأنّ تزيين الحق للخلق أي أدناه من مقام قرب البهاء وظلال الأسماء فيكسوه كسوة الأصفياء ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ (الأعراف: من الآية ٣١).

عن الصادق عليه السلام قال: إذا رفعت رأسك من الركوع فقل: سمع اللّٰه لمن حمده ثم تقول: ربنا لك الحمد.

فالتكبير عند الإرتفاع والإستقامة والتسوية كما التكبير عند اعوجاج القامة ونكرر ذلك قالباً وتسبح قلباً ثم تقول سمع اللّٰه لمن حمد وترفع يديك باسطاً كفيك حذاء الأذنين والإبهام إلى تحت شحمتي الأذنين بالتكبير، ثم تهوي للسجود لتفنى الصورة بقطع النظر وترك النفس وغمض العينين عما سوى الحق وتحسّ الذل والفقر بانفناء محدثك مصعوقاً تحت فرض الطاعة والكل يسير إلى السكون بلا رؤية حجاب حيث تمكّن أعضاءك وجبهتك في التراب لأنك رددت الشيء إلى أصله وعلمت أنّ جمال الورود وجميل الألوان يستمد من باطن التراب وأصل الطبيعة من جذوره ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ (طه: ٥٥) ولذلك تقول: (سبحان ربي الأعلى وبحمده) ثلاثاً، وجبهة الرأس على عالم الأرض فيكون التراب عتبة الملوك وعيبة الأملاك ولهذا فسرّ السجود في غمض العين عن الجسم وأذّ وضعَ الرأس على التراب هو أنك أسقطت مقامات الظل عن العيون ورأيت كل من عليها فانٍ في التراب ولذلك يستغيث العارف من العذاب والحرور والخلاص من سجن النفس وبعدها عن ظل الأرض الأمّ فيسأل مولاه العفو عن التقصيرات وهو في الذلّ والمسكنة لأنّ مقام الإستغاثة واللجأ لا يكون لسواه، في مصباح الشريعة قال الصادق ﷺ: ما خسر واللّٰه من أتى بحقيقة السجود ولو كان في العمر مرةً واحدةً وما أفلح من خلا بربه في مثل ذلك الحال تشبيهاً بمخادعٍ يخدع نفسه غافلاً لاهياً عما أعدّه اللّٰه للساجدين من أنس العاجل وراحة الآجل ولا بعُد عن اللّٰه أبداً من أحسن تقرّبه في السجود ولا قرب إليه أبداً من أساء أدبه وضيّع حرمته بتعلّق قلبه بسواه في حال سجوده فاسجد سجود متواضعٍ ذليلٍ للّٰه تعالى يعلم أنه خلق من تراب يطأه الخلق وأنه اتخذك من نطفةٍ يستقذرها كل أحد، وكوّنك من مهين ولك يكن، وقد جعل اللّٰه معنى السجود سبب التقرب إليه بالقلب والسرّ والروح فمن قرب منه بعد عن غيره، ألا ترى في الظاهر أنه لا يستوي حال السجود إلا بالتوازي عن جميع الأشياء والإحتجاب عن كل ما تراه العيون، كذلك أمر الباطن فمن كان قلبه متعلقاً في

صلاته بشيء دون اللّه تعالى فهو قريب من ذلك الشيء بعيد عن حقيقة ما أراد اللّه منه في صلاته قال عز وجل: ﴿مَا جَعَلَ اللَّه لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ (الأحزاب: من الآية ٤) وقال رسول اللّه ﷺ يقول الحق: (لا أطّلع على قلب عبد فأعلم فيه حب الإخلاص لطاعتي لوجهي وابتغاء مرضاتي إلّا توليت تقويمه وسياسته ومن اشتغل بغيري فهو من المستهزئين بنفسه ومكتوب اسمه في ديوان الخاسرين).

فسجود القلب هو حضوره مع الحق لا تشغله الجوارح فتصرفه عن الحضرة، ولمّا كان ظاهر السجود هو وضع الجبهة على الأرض على ما لا يؤكل ولا يلبس فهو خضوع وانحناء خاص، في حديث بريد العجلي قال: قلت لأبي جعفر ﷺ: أيهما أفضل في الصلاة كثرة القراءة أو طول اللبث في الركوع والسجود؟ قال: فقال: كثرة اللبث في الركوع والسجود في الصلاة أفضل أما تسمع لقول اللّه تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾ (المزمل: من الآية ٢٠) إنما عنى بإقامة الصلاة طول اللبث في الركوع والسجود، قلت: فأيهما أفضلُ كثرة القراءة أو كثرة الدعاء؟ فقال: كثرة الدعاء أفضل أما تسمع لقوله تعالى لنبيه: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ (الفرقان: من الآية ٧٧).

سبحان: إسم مصدر بمعنى التنزيه، والنُزهة أي البعدُ ومنه تنزيه اللّه عز وجل عن النقائص كالظلم والجبر وغيره، أولاً تنزيه الذات عن الحصر والجهات وعمّا لا يليق بحضرتها من تجسيم وصورة سواءً في الغيب أو في مجالي الشهود، ثانياً: تنزيه صفات الذات عن النقص والإمكان وعن الإضافة والزيادة والحدوث والمغايرة، ثالثاً: تنزيه أفعالها عن التجزئة والتبعيض والقيود الزمانية والمكانية كأفعال العباد.

قال الرسول (الجنة قيعان وغراسها سبحان اللّه).

فكل ذرّة من الموجودات تنادي بلسان حالها دالةً على وجود صانع حكيم واجب لذاته وإما بلسان المقال وهو لذوي العقول ظاهر.

في السجدتين ست تسبيحات أعلوية تتنفس بينهما نسيم التوبة بالإستغفار ليحصل الصعق في السجود وينتهي المحو في آل محمد وفي إقرار شهوده لتشمل الساجد العناية ويلهم الغيب وهو يكرر السجود لحصول حالات الصحو والإفاقة وهو ينتهي بالوصل ليتخلص من فصل أنانية البدنية عن ظلال الأرض المتجلى بها نور الأعلوية فيحترق كل قيد وحصرٍ وشبه وتحصل للساجد شعلة المحو المتوقدة من الكلي المطلق وهو مقام الولاية الكاملة بدائرة السير ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ (الكهف: ٦١) إنه مقام التنزيه والدخول في التشهد وباب التسليم عن كل احتجاب واختلاط ولذلك قال العارف الكامل الفضيل بن عياض (كان يُكره أن يُرى على الرجل من الخشوع أكثر مما في قلبه) وقال: قراء الرحمن أصحاب خشوع وتواضع وقراء القضاة أصحاب إعجاب وتكبر، وقال: من رأى لنفسه قيمة فليس له في التواضع نصيب ولما سئل الفضيل عن التواضع فأجاب: تخضع للحق وتنقاد له وتقبله ممن كان.

في الحديث (من أدرك الركعة فقد أدرك السجدة).

سئل الجنيد عن الخشوع فقال: تذلل القلوب لعلاّم الغيوب، قال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ (الفرقان: ٦٣).

قال أمير المؤمنين ﷺ: لا يصلّي أحدكم في قميص متسخ، فإنه من فعال قوم لوط، تجزي للرجل الصلاة في ثوب واحد يعقد طرفيه على عنقه وفي القميص الصفيق يزرُّه عليه، لا يسجد الرجل على صورة ولا على بساط هي فيه، ويجوز أن تكون الصورة تحت قدميه أو يطرح عليها ما يواريها، ولا يعقد الرجل الدرهم الذي فيه الصورة في ثوبه وهو يصلي ويجوز أن يكون الدرهم في هميان أو في ثوب إن كان ظاهراً، لا يسجد الرجل على كديس حنطة ولا على شعير ولا على شيء مما يؤكل ولا على الخبز.

الإستغفار

قال الصادق ؑ: العبد يذنب الذنب فيجدد له النعمة معه فتلهيه تلك النعمة عن الإستغفار من ذلك الذنب.

أي يطلب من اللّه الغفران من أن يمسه العذاب وأصله من الغفر وهو إلباس الشيء ما يصونه عمّا يفسد، ومن المِغفر وهو ما يلبس عند القتال تحت البيضة ومن أسماءه (الغفور والغافر والغفّار) أي الساتر للذنوب والمغطّي والغافر للعيوب بتجاوزه عن الخطيئة بعفوه، فقوله (أستغفر اللّه وأتوب إليه) فالتوبة من الذنب أي الرجوع إلى الطاعة من عزم على التوبة من المعاصي، أما التوبة إلى اللّه بالقصد إلى طلب جزائه ورضائه وهذا يدل على أن الأصل في الإنسان الذي فطره اللّه عليه هو الإيمان والطاعة، والعصيان لأمرٍ طارئٍ عليه كما الحديث (كل مولود يولد على الفطرة) وقوله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور: من الآية ٣١) وقال النبي ﷺ (التائب حبيب اللّه التائب من الذنب كمن لا ذنب له) وعن الباقر ؑ (اللّه أشدّ فرحاً بتوبة عبده من رجلٍ أضلّ راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدها، فاللّه أشدُّ فرحاً بتوبة عبده من ذلك الرجل براحلته حين وجدها) فروح التوبة التي بها تمام التلاقي العزم على ترك المعاصي والندم على ما سبق والتدارك لما سبق والتحزّن عليه.

فالإستغفار طلب المغفرة بالدعاء والتوبة وغير ذلك بالطاعة والتوبة الندم على الخطيئة مع العزم على ترك المعاودة، لأن الإستغفار الصادق يسقط العقاب وعندئذٍ يثبت الثواب في الدعاء (اللّهمّ اغفرْ لي أو اللّهم اعفُ عنّي)

وحقيقة الإستغفار بين السجدتين هي طلب المغفرة من الذنوب وتبعاتها في

هذه الدار وسيئات الأعمال وآثارها على النفس سيّما الظنون والإعتراض والشك التي سبق وقوعها في الذرء الأول أو في النشأة الأولى ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ (البقرة: من الآية ٢٨٦) لأن الإستغفار يعني الثواب من الغفور مع ستره على عبده.

فشدّة القوى الحيوانية ولصقانية النفس النباتية من رسوخ الأرض الجاذبة يستدعي المؤمن أن يتوجه إلى العالم الأعلى ويجدد التوبة ويصرّ على دوام الإستغفار والحزن على ما هو فيه وهي طلب الأوبة إلى دار المأوى بعد أن يحطّ عنه ثقل الأوزار.

فحقيقة الإستغفار هو إلتفاتة إلى عالم القدس لعله يتنسم ريحانه ويأنس روحه والإستغفار من كل الأعمال ومن ارتكاب القبائح والخوض في المنكرات والأمور الباطلة، والمرجو رحمة اللّه أن يغفر له بالتشهد على النفس مع الإصرار في طلب الإستغفار.

وهذه الجلسة بين الركعتين هي طمأنينة القلب بما رأى من كشف للحق فيوحّد المظهرين فيجلس بثبات متحققاً بمعرفة المقام وما لابست أنواره بكل مظهر ومقام كاشفاً عن المحبوب وسرّ المطلوبية ولهذا يجب الإستقرار في جلسة السجود باستواءٍ مع وضع الأصابع على عيني الركبتين ليتمكن العبد من الطمأنينة واللحظ فينال شرف الشأن.

ولذلك وجب رفع الرأس من السجدة الأولى إلى أن يستوي جالساً مع الإطمئنان لأنه واجب مع الإستغفار لا فرض وهو المسمّى بين السجدتين. في الدعاء (إنّ احبَّ عبادك إليك من ترك الإستكبار عليك وجانب الإصرار ولزم الإستغفار وأنا أبرأُ إليك من أن أستكبر وأعوذ بك من أن أُصرّ).

المستغفر هو الذي يعود إلى مولاه بالتوبة العملية لا باللسان المردّد وهذا ما بيّنه الإمام علي ﷺ عندما قال أحدهم بحضرته أستغفر اللّه، فقال له الإمام

علي ﷺ: ثكلتك أمُّكَ أتدري ما الإستغفار؟ الإستغفار درجة العليين وهو اسم واقع على ستة معاني؟ ١: الندمُ على ما مضى. ٢: العزمُ على ترك العود إليه أبداً.٣: أن تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى اللّٰه أملسَ ليس عليك تبعة. ٤: أن تَعمد إلى كل فريضةٍ ضيّعتها فتؤدي حقَّها. ٥: أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان حتى تلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحمٌ جديدٌ. ٦: أن تُذيقَ الجسد ألمَ الطاعةِ كما أذقته حلاوةَ المعصية فعند ذلك تقول: أستغفرُ اللّٰه.

قال السجّاد ﷺ: من لم يعرفْ داءه أفسدَ دواءَهُ.

﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ (الفرقان: ٧١) فالتوبة داعية للإصلاح واستدعاء للفلاح وترك الإغترار بما سلف من التوبة. (في تفسير الرماني): التوبة إلى اللّٰه والتوبة من القبيح لقبحه، بأن التوبة إلى اللّٰه تقتضي طلب الثواب، وليس كذلك التوبة من القبيح لقبحه فعلى هذا يكون المعنى من عزم على التوبة من المعاصي فإنه ينبغي أن يوجه توبته إلى اللّٰه بالقصد إلى طلب جزائه ورضائه عنه فإنه يرجع إلى اللّٰه فيكافيه.

التشهد

هو الشهادة للّٰه بالأحدية ولرسوله بالنبوة الواحدية، فالوحدانية للّٰه بنفي الشريك، وأن لا غاية لك في العبودية إلّا رضاه وابتغاء وجهه الكريم لأنه أهلٌ للعبادة، ولمحمد بالنبوة والرسالة لأنه واسطة الفيض القدسي وجريان النعمة الأبدية، فتكون الشهادة بإقرار اللسان ولحظ العينين وسيلة لنزول الرحمة، ولمّا كان المقصود الأصلي من التشهد التزكية والتوبة والطهارة وأن تتخلص من رذائل وأثقال هذا الكون السفلي لتحصل التخلية من تراكيب مزجته والتحلية بتصفيته والتنوير بفضائل الكون الأشرف.

وأصل الشهادة الإيمان باللّٰه بعقيدة التوحيد واليوم الآخر لإثبات الميزان واستيفاء الحقوق وبالإعتقاد أنّ النبي هو الهادي والمنير ولهذا وقع العطف بحروف الوصل والربط بين الشهادة الحسية والمعنوية وفي التشهّد هو خروج من عالم الدوران والترديد والتكاثر في دار الفناء إلى عالم البقاء ومن الكثرة والتخالف إلى الوحدة ومن الغيب إلى الشهادة، لأن الصلاة حقيقتها بالتوحيد المتصل بالوحدانية ولهذا يتوجه السالك في أن يتصل بحقيقة الواحدية ويعلم أنّ التشهد فيما بين الركعتين مع قعدةٍ هو فارق في تمام الصلاة عند التسليم والخروج.

فالتشهُّد على وزن تَفعُّل وهو من التقرّب بشهود العيان والحضور اللتي لأن المصلي مأمور بحضور قلبه وهو يخاطب (إياك نعبد) فيكون التشهد بعد كمال كل ركعتين وعند تمام الأربع سجدات فيشهد العبد بعيانه على ما في قلبه فيكون تشهّده على تكثّر المداومة بالذكر لشهادة مولاه ورؤيته الأمر بيد مولاه لا بيد الغير ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ (غافر: ١٦).

في حديث عبد اللّه بن عمر بن العاص حيث قال له النبي ﷺ: إذا رفعت رأسك من السجدة الأخيرة وقعدتَ قدر التشهد فقد تمّت صلاتُك.

وبهذا يتبين أن الجلوس عقيب الركعة الثانية يجب فيه الطمأنينة وذكر التشهد واجب في جميع الصلوات الواجبة والمستحبة، عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: التشهد في الركعتين الأوليين:الحمد للّه أشهد أنْ لا إله إلّا اللّه وحدَه لا شريك له وأشهدُ أنّ محمداً عبدُه ورسولُه اللّهم صلِّ على محمد وآلِ محمدٍ وتقبل شفاعته وارفع درجته.

عن محمد بن مسلم قلت لأبي عبد اللّه عليه السلام: التشهد في الصلاة؟ قال: مرتين، قال: قلت: وكيف مرتان؟ قال: إذا استويت جالساً فقل: أشهد أن لا إله إلّا اللّه وحدَه لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ثم تنصرف، قال: قلت: قول العبد: التحيات للّه والصلوات الطيبات للّه...؟ قال: هذا اللطف من الدعاء يلطف العبد ربه.

قال عبد اللّه ابن مسعود: علمني رسول اللّه ﷺ التشهد في وسط الصلاة وآخرها.

ألفاظ التشهد: التحيات للّه والصلواتُ الطاهرات الطيّبات الزاكيات ما طاب وزكا وطهر وخلص وصفا فللّه أشهد أن لا إله إلّا اللّه وأشهدُ أنّ محمداً عبدُه ورسولُه اللّهمّ صلّ على محمد وآل محمد.

قال الصادق عليه السلام في (مصباح الشريعة): التشهّدُ ثناءٌ على اللّه، فكنْ عبداً للّه في السر خاضعاً له في الفعل، كما أنك عبدٌ له بالقول والدعوى، وصلْ صدق اللسان بصفاء صدق سرّكَ، فإنه خلقك عبداً وأمرك أن تعبده بقلبك ولسانك وجوارحك وأن تُحقق عبوديتك له بربوبيته لك وتعلم أن نواصي الخلق بيده فليس لهم نفس ولا لحظة إلّا بقدرته ومشيئته وهم عاجزون عن إتيان أقل شيء من مملكته إلّا بإذنه وإرادته قال عز وجل: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا

كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (القصص: ٦٨) فكن لله عبداً ذاكراً بالقول والدعوى، وصلْ صدق لسانك بصفاء سرك فإنه خلقك، فعزّ وجل أن تكون إرادة ومشيئة لأحدٍ إلّا بسابق إرادته ومشيئته واستعمل العبودية والرضا بحكمه وبالعبادة في أداء أوامره وقد أمرك بالصلاة على نبيه محمد فأوصل صِلاته بصَلاته وطاعته بطاعته وشهادته بشهادته وانظر لا يفوتك بركات معرفة حرمته فتحرم عن فائدة صلاته، وأمرك بالإستغفار والشفاعة فيك إن أتيت الواجب في الأمر والنهي والسنن والآداب وتعلم جليل مرتبته عند اللّه.

عن جابر عن أبي جعفر الباقر ﷺ قال: قال أقبل أبو جهل بن هشام ومعه قوم من قريش فدخلوا على أبي طالب فقالوا: إن ابن أخيك قد آذانا وآذى آلهتنا، فادْعُهُ ومُرْهُ فلْيكفَّ عن آلهتنا ونكفّ عن إلهه، قال: فبعث أبو طالب إلى رسول اللّه ﷺ فدعاه فلمّا دخل النبي ﷺ لم يرَ إلّا مشركاً فقال: السلام على من اتبع الهدى ثم جلس فخبّره أبو طالب بما جاءوا له فقال: أوَ هلْ لهم في كلمة خيرٍ لهم من هذا يسودون بها العرب ويطئون أعناقهم؟ فقال أبو جهل: نعم، وما هذه الكلمة؟ فقال: تقولون لا إله إلّا اللّه، قال: فوضعوا أصابعهم في آذانهم وخرجوا هُرّاباً وهم يقولون: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ (صۤ: ٧) فأنزل اللّه تعالى في قولهم ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ (ص: ٧).

التسليم

التسليم هو أن يكل العبد نفسه إلى ربه في جميع أحواله ولو مع بقاء مزاحمة بين مزجته وعقله حتى يستقر الأخير وتطمئنّ النفس، ولكن التسليم بحقيقته هو أن تجد نفسك مسلمة إلى الحق وخرجت من سلطة القيود.

في معنى السلام: أي السلامة من الآفات المخوفة أي خلّو السالم بما يوجب نقصه وعيبه، وهذا يستدعي البراءة من كل آفةٍ ومضرّةٍ ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴾ (الفرقان: من الآية ٦٣) أي براءة من فعلكم وعملكم ومنكم، كما أنّ السلام من سلامة البلاء، أما إذا كان السلام من أسماء اللّه كما أطلق على نفسه يعني هو المعطي السلامة ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ (يونس: من الآية ٢٥) فذات اللّه سليمة من كل نقص وعيب، فالتشهد يبدأ بذكر اللّه عز وجل وبعده بذكر رسوله الكريم، أما التسليم على رسوله وشخصه العظيم حينما تقول: السلام عليك أيها النبي الكريم ورحمة اللّه وبركاته، فالسلام هنا يعني الحافظ وحيث إن مصداق الحافظ للكل هو اللّه تعالى، لأن اللّه سلّم أداء الأمانة وتبليغ الرسالة إليك أيها النبي الكريم، وعصمك من كل رجس في جميع أعمالك وأقوالك وحفظك من كل نقصٍ وسهوٍ ومكروه، فالسلام على النبي يبين أن المسلِّم على العهد الذي أخذ اللّه تعالى ميثاقه عليه وأنه باقٍ على سلامته بدون آفة من نقض العهد أو بشيء من النسيان، فالسلام عليكم أي السلامة من جميع الآفات التي تأتي منه تعالى عليكم.

فابتداءُ السلام المتقدم هو النور الأول المتنفس من صبح الأزل وهو العقل لأنه آدم المداوم على الطاعة والنفس هي حواء المعاني التي أفشت السلام

للأنفس السماوية المتلالية حيث تفشيها لسُكنى العوالم السفلية فمنهم مَنْ عقل الدعوة فأجاب النداء، ومنهم حار في ظنونه فظهرت عليه آثار الفاعل بدلالة فعله المطابق للدعوة وذلك لأن الموجودات هي موضع الإستدلال والآثار فتفشي بقوانينها الأحوال والمقامات لأن الصنعة نزيلة الصانع وأثره فهي تفشي سرّ علمه وحكمة قدرته فالإنسان يفشيه مقالاً ووجوداً، لأن الصلاة تحريمها التكبير وتحليلها التسليم.

جاء في الحديث عن النبي ﷺ (أفشوا السلام تدخلوا الجنة بسلام).

السلام في الظاهر وهو إذا مرَّ الرجل برجل أو بنفرٍ من الناس فيقول السلام عليكم وهذه تحية الإسلام، والإفشاء هو البوح الخفي حتى يكون جلياً في السلوك، وهذا ما وضع من رتبة العرش إلى نقطة المركز فهذا الإفشاء في السلام هو أن اللّه كشف عن محبوبية ذاته فأفشى حبّه سرُّ ظهوره في موجوداته فوقع التصديق بالشهادة وصحّت المعرفة وتجلى لكلٍ على قدرٍ فيراه حسب جوهره وكمال إستعداده ولكن لشدة ظهوره خفي ولم يكن خفاؤه إلّا عن النفوس الناقصة والبصائر المكفوفة من ظلمتها، وأما العقول التامة سلمت من التغييرات الطبيعية وتخلّصت من الحجب، ولذلك ظهرت الأسماء الحسنى والصفات العليا التي دلت على ذاته المقدسة، فإذا تبيّن هذا عرفنا أن السلام سُنّةٌ وقد أمرنا بإفشاء السلام.

(وليصدقْ أملُك ورجاؤك في أن سلامك يبلغه ويردّ عليك السلام بما هو أوفى، ثم تسلّم على نفسك وعلى جميع عباد اللّه الصالحين واقصد عند التسليم السلام على الملائكة الحاضرين، واختم الصلاة بحمده وتمام ربوبيته، وخف أن لا تقبل الصلاة بسبب ألواث الذنوب الظاهرة وثقل المزجة الباطنة وتضرب على وجهك راجياً القبول بفضله وكرمه).

في الدعاء (اللّهم أنت السلام ومنك السلام ولك السلام واليك يعود

السلام) ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ (النساء: من الآية ٨٦) أمرنا بالتحية والسلام من بعضنا على بعض ولمّا كانت الخيرات بيديه فالتحية والسلام يعودان إليه فهو ربُّهما وصاحبهما، والسلام والتسليم وجود محض، فالسلام هو المحيط والمظهر لكل سلام.

فالصلوات متعددة في أوقاتها كما في صلاة الآيات والأعياد، تستعمل في قدر مشترك بينها وهو الإمداد لأن المدد كما يصل من فوق بالإفاضة يتصل بمن تحت بالإستفاضة.

قال الرضا عليه السلام في مجلس المأمون: وقد علم المعاندون منهم لما نزلت الآية، قيل يا رسول اللّه قد عرفنا التسليم عليك فكيف الصلاة عليك؟ قال تقولون: اللّهم صلّ على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد، فهل بينكم معاشر الناس في هذا خلاف؟ قالوا: لا، قال المأمون: هذا لا خلاف فيه أصلاً وعليه إجماع الأمة.

سُئل الجنيد: ما فريضة الصلاة؟ قال: قطع العلائق وجمع الهم والحضور بين يدي اللّه، قيل له: كيف تدخل في الصلاة؟ قال: بإلقاء سمعٍ وشهود قلبٍ وحضورِ عقلٍ وجمع همٍ. وقال: لا يكون همّك في صلاتك إقامتها دون الفرح والسرور بالإتصال بمن لا وسيلة إلّا إليه.

في موثقة أبي بصير عن أبي عبد اللّه الصادق عليه السلام فإذا جلست في الرابعة قلت: بسم اللّه وباللّه والحمد للّه وخير الأسماء للّه أشهد أنْ لا اله إلّا اللّه وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة أشهد أنك نعم الرب وأن محمداً نعم الرسول، التحيات للّه والصلوات الطاهرات الطيبات الزاكيات الغاديات الرائحات السابغات الناعمات للّه ما طاب وزكا وطهر وخلص وصفا فللّه أشهد أن محمداً عبده ورسوله،،،،

اللّهم صلّ على محمد وآل محمد وبارك على محمد وآل محمد وترحم

على محمد وآل محمد كما صليت وباركت وترحمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد،،، ثم قل: السلام عليك أيها النبي ورحمة اللّه وبركاته،،، السلام علينا وعلى عباد اللّه الصالحين ثم تسلم.

وتتأكد التحيات في التشهد الأخير وهي بعد الشهادتين.

التحيات: جمع تحية وهي تفعلة من الحياة والعطف، يقال: حيّاك اللّه أي أبقاك حيّاً، ثم استعملت التحية في مطلق الدعاء والسلام.

وحينما تقول للّه أي إختصاصها بمزيد فضلٍ منه تعالى يُميّزها عن سائر الصلوات، فالتحيات هي تجلي محيّا النور الذي به حياة الوجود الجمعي وفي التشهّد تكون التحية لمن حيا بالحق واضمحل رسمه بالفناء لأنّ حياته بحياته وهي شهود القيومية، فوحدة اللّه عز وجل المشرقة بصفات الحياة والعلم والإرادة تجعل المؤمن موحداً للّه وتوحّد ظاهر المؤمن وباطنه ﴿فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ (فاطر: من الآية ٩).

ولما سئل الصادق ﷺ: ما معنى قول الرجل (التحيات للّه) قال: الملك للّه.

الطيّبات الزاكيات كما يقول جميع الخلق اللّهم صلِّ على محمد وآل محمد الطيبين الطاهرين الزكيّين، فكل ما طاب وزكا ونما فهو للّه رب العالمين، فالطاهرين لا عيب فيهم ولا نقص ولا يشوبهم كدر ولا فتر، والطيبين لأنّ بهم تطيب النفوس باطناً وتخلص ثوباً ومظهراً من الخبث والحدث وتطهر من الرجس والنجس.

الزاكيات الناميات لأنّ الداعي يريد استمرار العطف المزكي للنفس بزيادة النماء ولمّا كان العالم العرشي عالم الحياة ولا ريب أن النماء أول أثر الحياة في الأجسام التي تستنير بنور النفوس، فالنماء يزيد الشيء حالاً بعد حال من دون إضافة، فالزيادة من الإضافة والنماء نفسي كياني حتى يتمّ كماله وهي حركة

بقاء، الغاديات الرائحات أي بيانٌ في الغدو والرواح صباحاً وعصراً، السابغات كناية عن الكثرة والتمامية والناعمات كناية عن لطف الصلوات فالناعم هو اللطيف، للّه ما طاب فلم يخبث وزكى فلم ينتهِ أو ينقص وطهر فلم ينجس ولا يتنجس وخلص وصفي من الرياء والنفاق والشرك الخفي.

روي أن أمير المؤمنين ﷺ مرَّ بقومٍ فسلّم عليهم فقالوا: وعليك السلام ورحمة اللّه وبركاته ومغفرته ورضوانه، فقال علي ﷺ: لا تجاوزوا بنا ما قالت الملائكة لأبينا إبراهيم: رحمة اللّه وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد.

قال زين العابدين ﷺ في مناجاته (اللّهم صلِّ على محمد وآل محمد إنك حميد مَجيدٌ كصلواتِك وبركاتِك وتحيّاتِك على إبراهيم وآل إبراهيم). أي صلِّ على محمد وآله لأنك حميد فاعل ما يوجب الحمد أو محمود في كل أفعالك أو الحامد عباده على الطاعات، مجيد أي كثير الخير والجود والإحسان إلى عبادك لأنك مبتدئ بالعطية قبل المسألة والإستحقاق والواسع القدرة بفيض النعمة فلا يليق بك منع الطالب عن مطلوبه وهو اقتباس من قوله تعالى: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ (هود: من الآية ٧٣) وصلوات اللّه أي رحماته المتصلة بالكل والجزء، وبركاته أي خيراته القديمة النامية بالبرّ والمتكاثرة بفيض البركة التي هي النفع والزيادة والبقاء ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ (مريم: من الآية ٣١) وتحياته أي سلامه الذي يسلم به كل خلق ويُسلّم كلَّ أنواع برّه، وأصل التحية: من الحياة، كتعزية من العزاء، والتشبيه بين إبراهيم وآله ومحمد وآله سببه أن الملائكة قالت في بيت إبراهيم: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ (هود: من الآية ٧٣) وقد علم أنّ محمداً وآله من بيت إبراهيم.

ومن أسماءه عز وجل السلام ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

(الحشر: ٢٣) فاللّه سليم من صفات الإضافة والغير ومنزّه عن أفعال النقص والزيادة أي بريءٌ بذاته المقدسة لأن له الكمال المطلق في ذاته وأفعاله ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ (الأحزاب: ٤٤) لأنه عز وجل يسلم على أولياءه يوم القيامة لأنه المُعطي السلامة الجنة بالتحية عليهم والمطهر عباده بالتوحيد العرفاني ومخلصهم بإقامة شريعته من الشك والشرك والشبهات.

حينما تحصل للسالك حالة الصحو والشعور ويرجع من حالة الغيبة والسكر إلى حالة الحضور واليقظة فيدخل في التسليم الحضوري بعد أن يكون سلم من الغيبيات والكثرات والمفارقات ورجع إلى الوحدة بالحقائق الثابتة وإلاّ يكون سلامه وتسليمه لقلقة لسان وزمزمة شفاه وطنطنة كلمات وهو في بيت ظلمة النفس ووسوسة شيطانها فلا سلام له روحاني، فالسلام على النبي هو أن اسمه من نور خالقه ولهذا كان التسليم لأمره ونهيه وهذا هو السير من تعدد حركات إسراء الظواهر إلى معراج الحقيقة ببواطن المظاهر لقول الصادق ﷺ: معنى السلام في دبر كل صلاة الأمان أي من أدّى أمر اللّه وسنّة نبيه خاشعاً منه قلبه فله الأمان من بلاء الدنيا وآفاتها وبراءة من عذاب الآخرة والسلام إسم من أسماء اللّه تعالى أودعه خلقه ليستعملوا معناه في المعاملات والأمانات والإضافات وتصديق مصاحبتهم فيما بينهم وصحة معاشرتهم، وإذا أردت أن تضع السلام موضعه وتؤدي معناه فلتتقِ اللّه وليسلم منك دينك وقلبك وعقلك ولا تدنسها بظلمة المعاصي ولتسلم حفظتك من إلّا تبرمهم ولا تملّهم وتوحشهم منك بسوء معاملتك معهم ثم صديقك ثم عدوك فإن من لم يسلم منه من هو الأقرب إليه فالأبعد أولى، ومن لا يضع السلام مواضعه هذه فلا سلام له ولا تسليم وكان كاذباً في سلامه وإن أفشاه في الخلق قولاً.

في خبر المعراج: وذهبت أن أقوم فقال: يا محمد اذكر ما أنعمت عليك وسمِّ باسمي، فألهمني اللّه أن قلت: بسم اللّه وباللّه لا إله إلّا اللّه والأسماء

الحسنى كلها للّه، فقال لي: يا محمد: صلِّ عليك وعلى أهل بيتك، فقلتُ: صلى اللّه عليَّ وعلى أهل بيتي وقد فعل، ثم التفتُ فإذا أنا بصفوف من الملائكة والنبيين والمرسلين فقال لي: يا محمد: سلِّمْ، فقلتُ: السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته فقال: يا محمد إني أنا السلام والتحية والرحمة والبركات أنت وذريتُك.

فالعارف يسلّم على من يدخل عليه ومن ينتقل عنه، فتسليمه على من ينتقل إليه (بالنبي الكريم ورحمة اللّه وبركاته السلام علينا وعلى عباد اللّه الصالحين السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته) إنما هي التسليم للنبي وآل بيته المفتَتَح الوجود وأما التسليم على الحاضرين إنما للدخول عليهم بالقبول.

التكبيرات

وفي حديث المفضل بن عمر قلت لأبي عبد الله ﷺ لأي علة يكبر المصلي بعد التسليم ثلاثاً يرفع بها يديه؟ فقال: لأن النبي لما فتح مكة صلى بأصحابه الظهر عند الحجر الأسود فلما سلّم رفع يديه وكبّر ثلاثاً وقال: لا إله إلّا اللّه... ثم أقبل على أصحابه فقال: لا تدعوا هذا التكبير وهذا القول في دبر كل صلاة مكتوبة فإن من فعل ذلك بعد التسليم وقال هذا القول كان قد أدى ما يجب عليه من شكر اللّه تعالى على تقوية الإسلام وجنده.

الـدعــاء

الدعاء طلب الرحمة على وجه الخضوع والإفتقار وهو من أسباب نزول الرحمة وإصابة الخير وغيرها ووجوبه وفضله معلوم عقلاً وشرعاً ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر: ٦٠) قال الباقر ﷺ هو من الدعاء وأفضل العبادة الدعاء.

في التفسير ورد: يستكبرون عن عبادتي أي لا يدعونني بالتضرع والخشوع والإستكانة بل تظهر أنفسهم بصفة التكبّر والعلوّ.

﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (السجدة ١٦) يلتمسون من ربهم فكّ الأسير وجبر الكسير ويستدعونه لتكميل نفوسهم بمشاهدته المسرّة التي لا يحجبها شيء وإتمام نورهم والسعادة بمعرفة تجلياته الموصوفة بجريان حكمة العقل والفيض الأقدس من عالم المعاني والأسماء ومعدن القضاء إلى حيّز ذواتهم ومنزل نفوسهم بهذه الصلاة والدعاء الحقيقي والتعبد العقلي، فمن صلّى بهذه الصلاة والدعاء خلص من عذاب حبس الوجود الطبيعي وتقلباته ونجا من أسر القوى الحيوانية وارتقى في مدارج الاصطفاء بمحو هيئات ظلمات النفس.

فالدعاء سبب من الأسباب الذي بشروطه يحصل المؤمن على المبتغى فكون الشيء هنا متوقفاً على سببه لا على علته لا يدافع كونه ممّا قضى حصوله، فالدعاء يحتاج صاحبه إلى صلاح نفسه وتطهيرها من دنس أخلاط الجسمانيات وأكل الشبهات والتحرر من سورة الغضب وغليان الشهوة والمجانبة للمشاقّة لغيره كالمخاصمة والمكاشرة والنظر في طبيعة ما يدعو به حتى يكون قد أقام نفسه

أحسن مقام، فعاد على الناس أمنه وجوده فإن دعا أصابت دعوته ولم تُردّ، وإن غادر من شروط الدعاء وخالطه شيء بغيره من المحظورات كان من أدعية شيطان مثله وزالت الإصابة، فمن أهمها خلوص النية وسلامة الطوية وسهولة السجية متعلقاً بالأعالي من الأعمال يفضل طبيعة البسيط على المركب والصافي على الممتزج والكدر ويبتعد عن أثر العلة ومعلولاتها ويدرك أن طبيعة الحياة الجسمانية وتقلباتها مبعدة له عن محلّه وانها منهكته لتعلق هواه بآثار ذيلها وأن الشغل عنها يخدم مستقره الذي ظعن عنه من البقاء فيها ومكاثرة الدائرين فيها، فهذا ما يمكنه إصلاحه من نفسه بعد أن تنبّه من غيلتها وفاق من سكرة طبائع كؤوسها وحبوب مخدراتها.

روي عن جابر أنه جاء سراقة بن مالك بن جعشم فقال: يا رسول اللّه: بيّن لنا ديننا كأننا خلقنا الآن، ففيمَ العلم اليوم، فيما جفّت به الأقلام وجرت به المقادير، أم فيما يستقبل؟ قال: بل فيما جفّت به الأقلام وجرت به المقادير، قال: ففيمَ العمل؟ قال: اعملوا فكلٌ ميسّرٌ لما خلق له وكلٌ عامل بعمله.

فالنبي ﷺ بيّن الحكمة في سابق الأمور واللاحق منها فرهّب بسابق القدر ثم رغّب في العمل ولم يترك أحد الأمرين للآخر، لأنّ الإنسان ميّسر لما خلق له لوجوب الفطرة التي تميل بطبعه النقي الميال إلى صبغة اللّه عز وجل، فالدعاء سبب لمناجح العبد وهمة تدفعه لتحصيل المرغوب وتصحيح نسبة العبودية والإنغماس في غمرات النقصان الإمكاني فلا يزال العبد يدعو حتى يتصل بغايته ويحصل له مطلوبه ولم يكن هذا الشيء خارجاً عن قانون القضاء، عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: وفرائض الصلاة سبع: الوقت والطهور والتوجه والقبلة والركوع والسجود والدعاء.

والدعاء بعد الصلاة هو أنك أتممت صلة الوصال بالإقرار وعرفت من تدعوه ولذلك تنزّه الخاطر في شيء من علم الحق.

عن جعفربن محمد ﷺ أنه قال في قول اللّٰه عز وجل: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ (الشرح: ٨) قال: الدعاء بعد الفريضة، إياك أن تدعه فإنّ فضله بعد الفريضة كفضل الفريضة على النافلة، ثم قال: إن اللّٰه عز وجل يقول: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر: ٦٠) وأفضل العبادة الدعاء وإياه عنى، وسئل عن قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ (هود: ٧٥) قال: الأوّاه الدَّعَّاء، وعن أمير المؤمنين ﷺ أنه قال: قال لي رسول اللّٰه: يا علي اقرأ في دُبر كل صلاة آية الكرسي، فإنه لا يحافظ عليها إلّا نبيّ أو صديق أو شهيد.

وفي المأثور كان الإمام علي ﷺ يقول في دبر كل صلاة مكتوبة: إلهي تمّ نورك فهديتَ فلك الحمدُ، وعظُم حلمك فعفوتَ فلك الحمد، وبسطت يدك فأعطيت فلك الحمد، ربنا وجهك أكرم الوجوه وجاهك خير الجاه وعطيتُك أنفع العطيات وأهنئُها، تُطاعُ ربنا فتغفر، تجيب المضطر وتشفي السقيم وتُنجي من الكرب وتقبل التوبة وتغفر الذنوب، لا يجزي بآلائك أحدٌ ولا يُحصي نعمائك قولُ قائل.

فالدعاء دافعه القلب السليم واللحظ البصير لنيل المفهوم من المعطي الكريم الغني للمعطى له الفقير المحتاج فتتحقق ثوابت المصاديق ووسيلته رسول القلب وهو اللسان ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾ (الشعراء: ٨٤).

فهذا الدعاء الصافي هو الوسيلة لكشف الهبات والعطيات التي ينعم بها الداعي، بعد أن تكون قد طهرت النفوس من أرجاس الباطن المظلم كالإستكبار والتعالي والأنفة وحب الرئاسة وتأهلتْ لاستقبال الفيض النازل من بحر ضياء القدس الغامر للمساكين والفقراء المؤهلين بعالم الإمكان في دار الحرمان والعري ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ (الإسراء ٢٠).

فالدعاء ينطلق من اللسان بياناً، ومقلوبه عاد أو أعاد إلى العقل عوده وجملة العودة والرجوع إلى النور الكلي العقل الجامع.

ومن شروط الإيجاب معرفة ما تدعوه، قيل للمولى الصادق ﷺ: ندعو فلا يُستجابُ لنا؟ فقال: لأنكم تدعون من لا تعرفون.

عن أبي حمزة قال لي الباقر ﷺ: إنما يعبد اللَّه من يعرف اللَّه، فأما من لا يعرف اللَّه فإنما يعبده هكذا ضلالاً، قلتُ جعلتُ فداك، فما معرفة اللَّه؟ قال: تصديق اللَّه عز وجل وتصديق رسوله وموالاة علي ﷺ والإئتمام به وبأئمة الهدى عليهم السلام والبراءة إلى اللَّه عز وجل من عدوهم، هكذا يُعرف اللَّه عز وجل.

ولما سئل الصادق ﷺ: ما جهة الدعاء؟

قال الصادق ﷺ: تبدأ فتحمد اللَّه وتذكر نعمته عندك ثم تشكره، ثم تصلي على النبي ثم تذكر ذنوبك فتقرّ بها، ثم تستعيذ منها (تستغفر) فهذا جهة الدعاء.

القنوت يأتي بمعنى الدعاء والإطاعة والإقرار بالعبودية لقوله تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ (البقرة: من الآية ٢٣٨) وبمعنى العبادة والصلاة وبهذا فسر قوله تعالى: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ (آل عمران: ٤٣) ويأتي بمعنى الصمت والسكوت طاعةً كما روي عن زيد بن أرقم قال: كنا نتكلم في الصلاة حتى نزلت ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ (البقرة: من الآية ٢٣٨) أي ساكتين فأمسكنا عن الكلام). وفي الشرع عبارة عن الدعاء في الصلاة على هيئة مخصوصة والقنوت هو الإقرار، بالإسناد إلى حمزة الثمالي عن علي بن الحسينﷺ قال: قلت قولك مجّدوا اللَّه في خمس كلمات، ما هي؟ قال: إذا قلت: (سبحان اللَّه وبحمده) رفعت اللَّه تبارك وتعالى عما يقول العادلون به، وإذا قلت: (لا إله إلّا اللَّه وحده لا شريك له) فهي كلمة الإخلاص التي لا يقولها عبدٌ إلّا أعتقه اللَّه من النار إلّا المستكبرين والجبارين، ومن قال: (لا حولا ولا قوة إلّا باللَّه) فوض أمره إلى اللَّه عز وجل، ومن قال: (أستغفر اللَّه وأتوب إليه) فليس

بمستكبر ولا جبار إن المستكبر الذي يصرّ على الذنب الذي قد غلبه هواه فيه وآثر دنياه على آخرته، ومن قال: (الحمد للّه) فقد أدّى شكر كلّ نعمة للّه عز وجل عليه.

قال أمير المؤمنين ﷺ: ليخشع الرجل في صلاته فإنه من خشع للّه في الركوع فلا يعبث بشيء في صلاته والقنوت في كل صلاة ثنائية قبل الركوع في الركعة الثانية.

قال أبو قرة: فما بالكم إذا دعوتم رفعتم أيديكم إلى السماء؟

فقال أبو الحسن ﷺ: إن اللّه استعبد خلقه بضروب من العبادة، وللّه مفازع يفزعون إليه ومستعبد فاستعبد عباده بالقول والعلم والعمل والتوجه ونحو ذلك، إستعبدهم بتوجه الصلاة إلى الكعبة، ووجه اليها الحج والعمرة واستعبد خلقه عند الدعاء والطلب والتضرع ببسط الأيدي ورفعها إلى السماء لحال الإستكانة وعلامة العبودية والتذلل له.

أركان الصلاة

أركان جمع ركن وهو الجانب القوي الذي يعتمد عليه، ومصطلحاً: ركن الشيء: ما لا وجود لذلك الشيء إلّا به إذ قوام الشيء بركنه).

وأركان العبادة: جوانبها التي عليها مبناها وبتركها يكون بطلانها، وعرف الركن من الصلاة من ماهيتها لا من خصوصياتها، بما تبطل به الصلاة بزيادته أو بنقصانه عمداً كان أو سهواً، وأركانها: النية والتكبير والقيام والركوع والسجدتان.

الفرض لغةً هو القطع ومصطلحاً عند البعض ما يساوي الركن أي فرض الشيء وركنه متساويان أي شيء واحد في المعنى، وعلى هذا فالفرض أو الركن ما كان حقيقة الشيء، والشرط ما توقف عليه وجود اقتضاء الشيء إذ لم يكن من حقيقة الشيء، ولهذا ما يُشترط في صحة الصلاة من طهارة وستر واستقبال ومكان وزمان ونحوها مما لم يكن من حقيقة نفس الأمر، فمن شروط صحة الصلاة دخول الوقت وطهارة المكان وأما أركانها فعن أبي جعفر ﷺ قال: لا تعاد الصلاة إلّا من خمسة: الطهور والوقت والقبلة والركوع والسجود، ثم قال: القراءة سنّة والتشهد سنة والتكبير سنة ولا ينقض السنة الفريضة.

فالفرض هو ما يُثاب على فعله ويعاقب على تركه.

فالركن والفرض مصطلحان لكلٍ موضعه فحينما نقول أركان الإسلام شيء وحينما نقول أركان الصلاة شيء آخر فلذلك تقول فرض الصلاة فيصبح الركن من جملة الفرض أي جزء من ماهيتها كالركوع فهذا من وجه فيكون فرض الصلاة أعمّ من أركانها لأنّ بترك الركن عمداً أو سهواً أو غفلة يبطل الواجب فهذا دون الجزء المفروض (أي غير الركن الذي بتركه تعاد الصلاة) الذي يبطل

به الواجب عمداً لا سهواً ولا غفلةً ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٖ شَدِيدٖ﴾ (هود: ٨٠).

في المصطلح: ركن الشيء: ما لا وجود لذلك الشيء إلّا به لأنّ قوام الشيء بركنه الواجب في الصلاة: القيام، النية وتكبيرة الإحرام والقراءة والذكر والركوع والسجود والتشهد والتسليم والترتيب والموالاة، فالركن ما تبطل به الصلاة بتركه عمداً أو سهواً بالزيادة أو بالنقصان، والبقية أجزاء غير ركنية لا تبطل الصلاة بتركها سهواً أو غفلةً وانما تبطل عمداً بالزيادة والنقصان ﴿وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ (التوبة: من الآية ١١٢) ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾ (المؤمنون: ٩) لأنّ من أسرار العبادة أن تكون إرادةُ النفس في ملك البدن نافذة وتكون مملكة البدن ودولة النفس منقهرة ومضمحلة في كبريائها وممنوعة العصيان والتمرد وبهذا تكون مستسلمة لملكوت القلب ويحصل للنفس تجليات فعلية فلا تنسى ركناً ولا تسقط حداً ولا تترك فرضاً لأنها مستأنسة بذكر مولاها وبهذا يكون المصلي ملتفتاً إلى أحوال نفسه قاهراً طبيعة الغفلة المتسللة كدسّ السموم ومنسجماً بالعبادة ظاهراً وباطناً وأما الفاقد للإنسجام النفسي والوئام اللفظي بالمعنوي كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ﴾ (التوبة: من الآية ٥٤) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ (النساء: من الآية ٤٣) لا تأثير لها لقول رسول اللّه ﷺ: يا أبا ذر ركعتان مقتصدتان في تفكرٍ خير من قيام ليلةٍ والقلب ساه.

فمن علامة قبول الصلاة حضور القلب، في الحديث أن الصادق ﷺ قال: فاجعل قلبك قبلةً للسانك لا تحركه إلّا بإشارة القلب.

الإمـــام والمأمـوم

قال أمير المؤمنين عليه السلام: وليس من إمام يصلي بقوم فيكون في صلاتهم تقصير إلّا كان عليه أوزارهم ولا ينتقص من صلاتهم شيء ولا يتممها إلا كان له مثل أجورهم ولا ينتقص من أجورهم شيء، وانظر الوضوء فإنه تمام الصلاة، ولا صلاة لمن لا وضوء له واعلم أن كل شيء من عملك تابع لصلاتك واعلم أنه من ضيّع الصلاة فإنه لغير الصلاة من شرائع الإسلام أضيع.

قال النبي ﷺ: لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ولم يجدوا إلّا أن يستهموا عليه لاستهموا.

ومما ورد عن النبي ﷺ: سدوا فرج الصفوف ومن استطاع أن يتم الصف الأول فالذي يليه فليفعل فإن ذلك أحبّ إلى نبيكم وأتموا الصفوف فإن اللّه وملائكته يصلون على الذين يتمون الصفوف.

قال رسول اللّه ﷺ يا علي لا تقومن في العيكل، قلت وما العيكل يا رسول اللّه؟ قال ﷺ: تصلي خلف الصفوف وحدك.

قال النبي ﷺ: الإمام سترة لمن خلفه.

لأنه يحمل أعمال المأموم ولذلك قال النبي ﷺ: (لا تختلفوا في إمامكم) فالإختلاف يكون بمسابقة الحركة من الصورة والصناعة من تقديم وتأخير في أفعال الصلاة وراء الإمام والإقتداء بالإمام يكون بلزوم المأموم نفسه حكم اتباع الإمام ولا يخالفه في قول ولا فعل كحركة وسكون من تقديم وتأخير، لأن جملة الحركات الباطنة والظاهرة متممة بالإقتداء به أثناء الصلاة، كما تثبت صورة المطلوب المقيدة بالوقت من حركة الفلك بتحقيقها، والناس نيام في مسجد

الدهر عن نفحات الرب عز وجل وما وصل العارفون إلى كعبة الأسرار واتصلوا بالله عز وجل إلّا بهذه الصلاة لأنها فرض عليهم كما أنّ التكاليف لا تسقط ما دامت أرواحهم في أجسادهم وكذلك الصوم والحج والصدقات والزكوات.

فالصف الأول هو الخطُّ الذي يحجب النقطة ويبرز الصورة المناسبة للكلمة العالية، وفي عالم الوقوف بين يدي الله يحتجب الكلُّ في حضرته القاهرة بنورها، ومن انتهى إلى هذا المقام قيل واقف بين يدي الله عند أهل النظر والتحقيق وهو عالم المناص، ففي الركوع والسجود تكون الكثرة وفي الحركة تبرز الصور فتنتقل من شكل الوقوف كالألف الذي تلا وكبّر إلى الركوع وهو توسط النفس بحركة الإنحناء مع النظر إلى مكان السجود، لقول الرسول ﷺ: إن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر.

قال رسول الله ﷺ: ثلاث لو تعلم أمتي ما لها فيها لضربت عليها بالسهام: الأذان والغدو إلى الجمعة والصف الأول.

قال النبي ﷺ: الدنيا ليل الآخرة والخلق قد سكنوا في ليلهم.

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ﴾ (يونس: ٦٧) فالليل حاجبٌ بظلمته كاللباس الذي يستر عورات الجسم، والناس نيام عن كشافة صور الحقائق وإن كانوا في اليقظة، فالناس نيامٌ عن ليل الآخرة، وهم نائمون في زمن الدنيا التي هي ليل الآخرة، وقد سكنوا فيها وناموا مطمئنين في ظلمات طبعهم فاستيقظت جهالتهم، وقد نودوا للصلاة والناس نيام في إنسان عيونهم وأسماعهم وهم ينظرون بأجسادهم، وصلاة الليل سنّة وعند العارف فرض والمسلم مقيد بالظاهر والعارف مقيد بالباطن والظاهر جسداً وروحاً، وأفضل الصلوات صلاة الجماعة لقول الرسول ﷺ (صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة) ووجه الإستدلال أن الله قد كلفهم بصلاة الجماعة في وقت الشدة والحرج فكيف بغير ذلك ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ

﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ (النساء: من الآية ١٠٢) فلو لم تكن الجماعة واجبة لما كلفهم بأن يصلوها على هذا الوجه.

الإمامة في الصلاة أي يرتبط المصلي المأموم بإمام يقتدي به في وقت الصلاة مستوفياً شروط البيان في الإمامة، أن يكون مؤمناً عاقلاً بالغاً طاهر المولد فلا تصح الصلاة خلف ابن الزنا ومن عليه شبهة وفيه نقص أو زيادة في الخلقة وأن يكون رجلاً ولا تصح الصلاة خلف مجهول الحال وأن يكون ملازماً للتقوى مانعاً نفسه عن ارتكاب الكبائر والصغائر وصائنها من الشبهات والمخالفات. ولا يجوز أن يأتم بالناس من بلسانه عيب فيكون نطقه مخالفاً لحقيقة الألفاظ ومبدلاً الحرف بغيره كأن يُبدل الراء غيناً والسين ثاءً والشين سيناً أو غير ذلك وهذا يقال له ألثغ لأن اللثغ هو تحول اللسان من حرف إلى حرف، أما الفأفأة وهو الذي يكرر الفاء في كلامه والتمتام وهو الذي يكرر التاء، والأليغ هو الذي لا ينطق بالحروف صحيحاً، أو من ينقص من الحروف ويبدّل حرف الكلمة كالقلب كلب، وعليه فلا يجوز إئتمام الكامل بالناقص صفةً وخلقةً في جميع المراتب ومن لا يُفصح ببعض الحروف.

كما لا يجوز أن يؤمّ الناس الأجذم والأبرص والمحدود بعد توبته والأغلف وإمامة من يكرهه المأموم، كما لا يجوز مَنْ به صفة مشهورة في خلقته أن يأتمّ بالناس.

ولا يجوز للمأموم أن يتقدم على إمامه فتبطل صلاته، كما لا يجوز الإقتداء بمأموم يقتدي بإمام آخر، ولا يكون بينهم حاجز أو فاصل حائل بينهما بمقدار لا يسمح بصدق صلاة الجماعة وأما إذا كانت الصفوف مترامية فتصح الصلاة لاتصال الصفوف ببعضها ولو بعدت المسافة (لو مدّ مسجدي هذا إلى صنعاء لكان مسجدي).

﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (الإسراء: ٧١) أي بكتابهم وورد بدينهم، وورد بمن ائتموا به من نبي وإمام وكتاب، فالأمام هو المستقبل وهو ضد خلف وهو ظرف والإمامة هي القدوة والرئاسة العامة، الحضور هو إجابة الدعوة بالإمام الذي يحضرهم بالتوجه إليه للكمال واتمام الوجهة ولذلك تُدعى الأمة باسم إمامها لكونه الغالب عليهم بالحبّ والقدوة، ولذلك يأتون كتابهم بعقولهم لانبعاثهم بصورة السعداء فأولئك يقرأون كتابهم دون غيرهم لقبولهم الدعوة وإقرارهم لإمامهم بالحق لقوة اتصالهم بنوره ولا يظلمون أي لا يدخلون في نقصٍ ولا في جهلٍ لأنهم متعلقون بحبل اللّه، فصورهم كاملة ووجوهم ناظرة، فتيلا أي لا يلجون في ظلمة هيولى الأبدان وتستولي عليهم قذارة القمصان ولو قليلاً لاستقرار الإيمان وطمأنينة القلب.

التعفير

عفّر تعفيراً: ألزقه بالعَفَر وهو وجه الأرض كالعفير والغُبار والتراب والثرى.

في القاموس: العفَرُ والعَفْرُ: ظاهر التراب والجمع أعفار، وعفّره فانعفر وتعفّر: مرّغه فيه أو دسّه، وتعفير الإناء هو فركه وتدليكه بالتراب وذلك عند تنجسه.

وعفر مقلوب رفع وفرع فمن هذين المقلوبين يبدو الإرتفاع والظهور والإنتشار وهذا من أسباب المعرفة، والعَرف: الريح الطيبة، ومعارف الأرض ما عُرف منها وفي ذلك معرفة المحسوس ترتقي إلى المعقول فتصبح من أهل العرفان، والمعارف الوجوه فعريف القوم أي سيدهم، وبهذا تستدل بالمماثلة على المثال والممثول وتتعلق الإرادة والعيان بالمثل الأعلى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (الروم: من الآية ٢٧).

الجبهة من الإنسان: هي مستوى فيما بين الحاجبين إلى الناصية وهي موضع السجود، والمراد بتعفير الجبهة السجود على التراب والمقصود بذلك الإلتصاق به لتستشعر غاية الخضوع والذل وأعلى مراتبه للّه عز وجل، في الحديث: أوحى اللّه عز وجل إلى موسى عليه السلام أن يا موسى أتدري لِمَ اصطفيتكَ بكلامي دون خلقي؟ قال: يا ربِّ ولِمَ ذلك؟ قال: فأوحى اللّه تبارك وتعالى إليه يا موسى إني قلبت عبادي ظهراً لبطنٍ فلم أجد فيهم أحداً أذل لي نفساً منك، يا موسى إنك إذا صليت وضعت خدّكَ على التراب.

ومعرفة تعفير الخدين هو رمزٌ لبداية النشأة والنهاية للجسم لأن الأرض هي أصل تراكيب الأبدان ومنها تتغذى الأجسام وتتمدد وبها تتمكن فالتراب هو أصل النشأة ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ (طه: ٥٥) فالخدّ

الأيمن العقل النظري والأيسر عقله العملي والصورة ما به الشيء بالفعل، فتتفكر في السجود والتعفير من خلقك ومن يُعيدك ومن يُخرجك فتخضع وتتذلل فترفع التكبّر من رأسك لأنّ التراب مكان الأسرار وفيه سَرارُ الأجسام ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ (البلد: ١٦) قد لصق بالتراب لشدّة فقره، ومن كِنى الإمام علي عليه السلام أبو تراب لأنه صاحب الأرض كلها وحجة على الأمم وإليه حركتها وسكونها.

فتكون بهذا التعفير قد أقررت بأن أصلك من التراب وبقدرة اللّه عز وجل خرجت من التراب وأنك تأخذ عن الأرض العبر والإعتبار وتقرّ بالفناء لوجهك الفاني البالي للوجه الذي لا يفنى ولا يزول ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن: ٢٧) فبهذا التعفير تكون في الحقيقة متوجهاً إلى المنعم وتسليمك الأمر إليه وعفّرت باطنك بماء الرحمة وهو التراب الأصلي أي بيّضته بالعبادة فاستنار بالمعرفة، في الحديث: إن امرأةً شكت إلى النبي صلى الله عليه وآله أن مالها لا يزكو، فقال النبي صلى الله عليه وآله: ما لونها؟ فقالت: سود، فقال صلى الله عليه وآله: عفّري (أي استبدلي أغناماً بيضاً فإنّ البركة فيها).

عن اسحاق بن عمار عن أبي عبد اللّه عليه السلام أنه قال: كان موسى بن عمران عليه السلام إذا صلى لم ينفتل حتى يلصق خدّه الأيمن بالأرض وخدّه الأيسر بالأرض.

عن محمد بن سنان عن اسحاق بن عمار قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السلام يقول: إذا ذكرت نعمة اللّه عليك وكنت في موضع لا يراك فيه أحد فالصق خدّك بالأرض، وإذا كنت في ملأ من الناس فضع يدك على أسفل بطنك وأحنِ ظهرك وليكن تواضعاً للّه عز وجل، فإنّ ذلك أحبّ.

وفي حديث علي عليه السلام: لا تجزي صلاة لا يصيب الأنف فيها ما يصيب الجبينين.

التكبير بعد كل صلاة

هي معرفة ثمرات التوحيد برمزية التكبيرات الثلاث بأنّ ليس في العالم الأعلى ولا الأوسط ولا الأسفل إلّا الله ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ١١٥) فالمشرق هو الظهور والمغرب هو البطون والله عز وجل الحاضر الموجود الذي لا يجري عليه شيءٌ من ذلك، كما يأتي أنّ تلك العبارات والألفاظ بمعنى عالم الجلاء بشهود الجمال وعالم الخفاء بصفة الجلال، فالعارف كيفما تولّى وتوجّه ظاهراً أو باطناً فهو على معرفة بحقيقة التجلي بجميع الصفات عن جعفر بن محمد بن مالك الفزاري الكوفي قال: حدثنا محمد بن الحسن بن زيد الزيات قال: حدثنا محمد بن سنان عن المفضل قال: قلت لأبي عبد الله لأي علة يكبّر المصلي بعد التسليم ثلاثاً يرفع بها يديه؟ فقال: لأن النبي لما فتح مكة صلّى بأصحابه الظهر عند الحجر الأسود فلما سلّم رفع يديه وكبّر ثلاثاً وقال: لا إله إلا الله وحده وحده وحده أنجز وعده ونصر عبده وأعز جنده وغلب الأحزاب وحده فله الملك وله الحمد يحيي ويميت ويميت ويحيي وهو على كل شيءٍ قدير، ثم أقبل على أصحابه فقال: لا تَدَعوا هذا التكبير وهذا القول في دبر كل صلاة مكتوبة فإن من فعل ذلك بعد التسليم وقال هذا القول كان قد أدى ما يجب عليه من شكر الله تعالى ذكره على تقوية الإسلام وجنده.

جملة من أحكام الصلاة وآدابها

قال حمّاد بن عيسى: جعلت فداك يا مولاي علّمني الصلاة: فقام الصادقﷺ مستقبلاً القبلة منتصباً فأرسل يديه جميعاً على فخذيه قد ضمّ أصابعه وقرّب بين قدميه حتى كان بينهما ثلاثة أصابع مفرجات، واستقبل بأصابع رجليه جميعاً ولم يحرّفهما عن القبلة، بخشوع واستكانة، فقال: اللّٰه أكبر، ثم قرأ الحمد بترتيل وقل هو اللّٰه أحد، ثم صبر هنيئة بقدر ما تنفّس وهو قائم ثم رفع يديه حيال وجهه وقال: اللّٰه أكبر وهو قائم ثم ركع وملأ كفّيه من ركبتيه مفرّجات، وردّ ركبتيه إلى خلفه حتى استوى ظهره، حتى لو صُبَّ عليه قطرة ماء أو دهن لم تزل لاستواء ظهره، وردّ ركبتيه إلى خلفه ونصب عنقه وغمض عينيه ثم سبّح ثلاثاً بترتيل وقال (سبحان ربي العظيم وبحمده) ثم استوى قائماً، فلما استمكن من القيام قال: سمع اللّٰه لمن حمده، ثم كبّر وهو قائم ورفع يديه حيال وجهه وسجد ووضع يديه إلى الأرض قبل ركبتيه فقال: (سبحان ربي الأعلى وبحمده) ثلاث مرات، ولم يضع شيئاً من بدنه على شيء منه، وسجد على ثمانية أعظم، الجبهة والكفين وعيني الركبتين وأنامل إبهامي الرجلين والأنف، فهذه السبعة فرض ووضع الأنف على الأرض سنة، وهو الإرغام، ثم رفع رأسه من السجود فلما استوى جالساً قال: اللّٰه أكبر، ثم قعد على جانبه الأيسر ووضع ظاهر قدمه اليمنى على باطن قدمه اليسرى وقال: أستغفر اللّٰه ربي وأتوب إليه ثم كبّر وهو جالس وسجد الثانية وقال كما قال في الأولى، ولم يستعن بشيء من بدنه على شيء منه في ركوع ولا سجود، وكان مجنّحاً، ولم يضع ذراعيه على الأرض، فصلى ركعتين على هذا، ثم قال يا حمّاد هكذا صلِّ ولا تلتفت ولا تعبث بيديك وأصابعك ولا تبزق عن يمينك ولا يسارك ولا بين يديك.

قال الباقر ﷺ: إذا قمت إلى الصلاة فلا تلصق قدمك بالأخرى دع بينهما فصلاً، إصبعاً أقلّ ذلك إلى شبرٍ أكثره، وأسدل منكبيك وأرسل يديك ولا تشبك أصابعك وليكونا يداك على فخذيك وليكن نظرك إلى موضع سجودك، فإذا ركعت فصفّ في ركوعك بين قدميك تجعل بينهما قدرَ شبرٍ وتمكن راحتيك من ركبتيك وتضع يدك اليمنى على ركبتك اليمنى واليسرى على اليسرى وبلغ أطراف أصابعك عين الركبة وفرّج أصابعك إذا وضعتهما على ركبتيك، وأحب إليَّ أن تمكن كفيك من ركبتيك فتجعل أصابعك في عين الركبة وتفرّج بينهما وأقم صلبك ومدَّ عنقك وليكن نظرك إلى قدميك، فإذا أردت أن تسجد فارفع يديك بالتكبير وخرّ ساجداً وابدأ بيديك فضعهما على الأرض قبل ركبتيك ولا تفترش ذراعيك افتراش السبع ذراعيه ولا تضعن ذراعيك على ركبتيك وفخذيك ولكن تجنح بمرفقيك ولا تلزق كفيك بركبتيك ولا تدنهما من وجهك بين ذلك حيال منكبيك ولا تجعلهما بين يدي ركبتيك ولكن تحرّفهما عن ذلك شيئاً، وابسطهما على الأرض بسطاً واقبضهما إليك قبضاً ولا تفرجنّ بين أصابعك في سجودك ولكن ضمّهنّ جميعاً وإذا قعدت في تشهّدك فالصق ركبتيك بالأرض وفرّج بينهما شيئاً، وليكن ظاهر قدمك اليسرى على الأرض وظاهر قدمك اليمنى على باطن قدمك اليسرى وأليتك على الأرض وإياك والقعود على قدميك فتتأذّى بذلك، ولا تكون قاعداً على الأرض فيكون إنما قعد بعضك على بعض فلا تصبر للتشهد والدعاء.

﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (يونس: ١٠).

وهنا استوقفت المطايا ونزل الركبُ ليستحثّ الهمم من نغمات الهموم والسير سربه في غايةٍ كبدايةٍ وكور الليل والنهار سرابٌ أعجم طولها كشفُها وقد علاه غبار السفر ولم تنضج قلباته ولا زالت دار الهجرة ترهج للناظرين للذين

يحملون ثقل الألفاظ وبهاظة الكلمات وطيور الكلم في أجزائها الذبيحة من الجبال مستترةً جزئياتها فإذا حان السعي للبسائط ترفرف لإحياء من كان قد مات، وهكذا تتسجى الكلمات على سرير الصفحات مخفيات يوقظها لطفُ إحسان الصبح المعترض كألف سيفٍ.

الفقير لله تعالى علي سليمان

لبنان /طرابلس / جبل محسن.

تمّت نساختها في / ١٨ صفر / ١٤٣٦ هج.

الفهرس

المقدمة ٥
الصــلاة ١٠
تعريف الصلاة: ١٠
في المصطلح الشرعي: ١٣
أكوار في الصلوات وأدوار في الفرائض ١٦
روزة الصلاة ومكانتها ٢٠
العبــادة ٢٩
قيمومة التكليف بالعقل ٣٥
النيــة فــي العبــادات ٤٤
الوقـت والموقوت والميقـات والمواقيت ٥٣
مبـحث في الأوقـات ٥٨
الزمان والوقت: ٥٨
الميقـات ٧٢
المواقـيت ٧٤
المـوقـوت ٧٥
الفـرض والنافلـة ٧٧
ثبوت الكفر والإرتداد في الضروريات ٨٠
لصوصيـة واختـلاس ٨٣
الطهارة والنظافة ٨٨
فحص في أغـوار الماء ٩٧
في التخـلّي والاختـلاء ١٠٤
فـي السُـتر والسَّـتر ١٠٧
إسدال في الصلاة ١١٠
الإسـلام والإيمـان ١١٣
البلــوغ ١١٦

بهرمانيات في السجود ١١٩
سجود السهو ١٢١
بهمنيات في الركوع ١٢٣
الوُضوء ١٢٦
إيثارات وضوئية ١٢٩
ماهية الوضوء ١٣٢
آلية الوضوء ١٣٤
كيفية الوضوء ١٣٦
سريانيات في الوضوء ١٣٨
الأحداث التي توجب الوضوء ١٤٠
الغُسل ١٤٢
التيمم ١٤٤
جهجهة التيمم في هجهجة الصعيد ١٤٨
كيف وكمٌّ في التيمم ١٥١
علّة وغاية ١٥٧
دحوة الصلاة بعناصر الأكوان ١٧٧
المساجد والجوامع والبيوت ١٨٠
التكبير ١٨٩
يقول العارف بالله (الآملي) وأما وضوء أهل الشريعة: ١٩١
أما وضوء أهل الطريقة: ١٩٣
وأما وضوء أهل الحقيقة ١٩٤
وأما غسل أهل الشريعة ١٩٦
وأما غسل أهل الطريقة ١٩٦
وأما غسل أهل الحقيقة ١٩٩
وأما تيمم أهل الشريعة ٢٠١
وأما تيمم أهل الطريقة ٢٠٢
وأما تيمم أهل الحقيقة ٢٠٧
ضابطة كلية ٢١٠
المعراج الصوري ٢١٤
المعراج المعنوي ٢١٧
ضابطة أخرى كلية ٢٣١

أما صلاة أهل الشريعة ٢٣٥
صلاة أهل الطريقة ٢٣٧
أما صلاة أهل الحقيقة ٢٤٣
وشوع وخشوع في الصلاة ٢٥٣
الصلاة في السفر ٢٥٧
الأعداد الثابتة ٢٦٠
التسبيح ٢٦٢
الحمد والشكر ٢٦٤
الكعبة والقِبلة ٢٦٨
الأذان ٢٧٣
الإقامة ٢٨٠
القيام ٢٨٤
التوجه ٢٨٩
تكبيرة الإحرام ٢٩٠
القراءة ٢٩٢
الركوع والسجود ٢٩٦
الإستغفار ٣٠٢
التشهد ٣٠٥
التسليم ٣٠٨
التكبيرات ٣١٥
الدعاء ٣١٦
أركان الصلاة ٣٢١
الإمام والمأموم ٣٢٣
التعفير ٣٢٧
التكبير بعد كل صلاة ٣٢٩
جملة من أحكام الصلاة وآدابها ٣٣٠
الفهرس ٣٣٣